كتابي

١٠ قروش

فاتنة القسطنطينية

(أو: الخطاب الممزوق !)



للرسام الفرنسي "جان اتيين ليوتار"

حلمي مراد



مدام دى بومبادور   بريشة الفنان الخالد « بوشيه »

(١٧٠٣ - ١٧٧٠)



يد تمسك الكأس .. من وراء الزجاج !

لوحة فوتوغرافية للمصور البرازيلي « أدمار كيرفيلليني »

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الرابع والخمسون (السنة الخامسة) : سبتمبر ١٩٥٦

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

.. لكى لا ننسى !

عزيزى القارىء :

◆ لم يكن للعالم من حديث خلال الشهر المنصرم ، سوى التعليق على الموقف « الكبير » الذى وقفته مصر ازاء « مؤتمر لندن » ، والتندر بتلك اللطمة القاسية التى أسفر عنها المؤتمر لمنظميه .. فلقد خيل لساسة الدول التى « تتزعم » الحرية - أو على الاصح « تزعم » الحرية ! - ان المؤتمر وليمة يجمعون اليها أنصارهم وأذنابهم لينهشوا « ضحية دسمة » طالما اشتهوها ، وطالما امتصوا دماءها ليضعفوا مقاومتها ، لولا ان قدر لها ان تتحرر من قيودها على أيدى بطل ثورتها وزملائه ، وان تنهض فتستمد من شعورها بالحق قوة جبارة تمكنها من الوقوف فى وجه « آكلى لحوم الدول » !

.. كان المؤتمر لطمة قاسية لامريكا وبريطانيا وفرنسا ، اذ أتاح لها ان تشهد وتسمع دولا أبت أن تنساق لاطماع الغاصبين ، وان تغمض أعينها عن الزور والافتئات ، فقامت تدافع عن حق مصر كأنه حقها .. وبذلك آن للدول « العظمى ! » أن تدرك ان عهد القرصنة الدولية والطغيان السياسى المسلح قد انقضى الى غير رجعة !

★ ★ ★

◆ ولكن المؤتمر كان بالنسبة الينا - نحن أصحاب الحق - عدسة مكبرة، أجلت لنا كثيرا من الحقائق التى كانت غير ظاهرة .. فاذا بنا نتبين - لاول مرة فى تاريخنا - أن المظاهرات المسلحة ، والتهديد بالجيوش والاساطيل ، ليست سوى مناورات فاشلة بالنسبة للأمة الواثقة من نفسها ، المتشبثة بحقها، المعتدة بموقفها .. اذ ما لبثت هذه المناورات ان هدأت ، لتشهد مصر والعالم بأسره مهزلة تمثل للمرة الاولى فى تاريخ الدول « العظمى ! » ، وتذكرنا بقصة الجرذان التى اجتمعت لتتساءل : من الذى يعلق الجرس فى عنق القط ؟.. فقد راحت بعض الدول المشتركة فى المؤتمر تتساءل فيما بينها عمن أوتى الجرأة ليعرض قرار المؤتمر الهزيل على مصر ، حتى اذا استطاعت أخيرا ان تؤلف لجنة خماسية ، اذا باللجنة تستأذن مصر أولا فى الحضور ، واذا رئيس اللجنة يصرح بأنه يجلس الى جوار « التليفون » فى فندقه يرتقب رد الرئيس المصرى !

وسجل التاريخ ان مصر بتشبثها بحقها أصبحت قطا .. وان الدول العظمى ! » .. مجرد جرذان !

وثمة حقيقة أخرى أجلاها للعالم ـ وليس لمصر ـ هذا المؤتمر .. تلك هى ان مصر بموقفها العادل ، الحق ، نبهت القوى المناصرة للسـلام ولحقوق الشعوب فى العالم ، فاذا بها تقف فى المؤتمر معارضـة أساليب القرصـنة الاستعمارية فى قوة وثبات

وحقيقة ثالثة ، لا تقل عن سابقتيها أهمية وقيمة .. تلك هى ان الحادث نبه الشعور القومى العربى ، فاذا به يثور كما لم يثر فى أى يوم من الايام، واذا به يحيط مصر بسـياج منيع من التكاتف والتـآزر . وبهتت الدول « العظمى ! » اذ رأت ـ بين يوم وليلة ـ سياجا حصينا يمتد فى وجهها من المحيط الهندى حتى المحيط الاطلسى !

★ ★ ★

◆ وهكذا كانت نتائج مؤتمر « لندن » .. لنا لا علينا !.. ولكنا يجب ان لا نقنع بهذا النصر . وسواء أسفر الموقف عن سلام أو عن حرب ، فان العالم « الحر » كله ـ « الحر » بمعنى الكلمة لا بالمعنى الوارد فى قواميس الاستعمار الغربى ـ على استعداد لمواجهة كل النتائج . فان أسفر عن حرب، فنحن لها ، ولسوف تحارب مصر حتى آخر قطرة من دماء آخر مصرى .. ولن نكون وحدنا !.. أما اذا أسفر الموقف عن سلام ، فهنا تبدأ حلقة جديدة من تاريخ كفاحنا .. اذ يجب ان لا نركن الى هذا السلام بعد الذى تكشف لنا من مؤامرات ودسائس ، وبعد الذى ظهر لنا من سوء النوايا ومن استعداد للغدر !

نعم .. يجب ان لا نشعر بطمأنينة بعد اليوم ، وان لا نأمن جانب أولئك الذين نصبوا أنفسهم زعماء للعالم الحر بعد الآن ، بل علينا ان نظل عـلى حذر ، وان نتعلم ان لا أمان للقراصنة ، ولا طمأنينة من جانب الاستعمار

أجل ، ان واجبنا اليوم .. واجب الامة العربية ، بل واجب الشرق كله ، ان يتعلم كيف يحتقر قراصنة الغرب ، وكيف يكرههم ويلقن أبناءه كراهيتهم ، بل يرضعهم هذه الكراهية من اثداء الامهات !.. ان فلسفة الكراهية قـد تكون بغيضة فى الاحوال العادية ، ولكنها واجبة عندما تكون سلامة المرء ، وحريته ، ووطنه ، وقوميته ، معرضة للخطر ..لا خطر الخصومة الشريفة ، وانما خطر الغدر الخسيس ، والدسائس الدنيئة ، والمؤامرات الداعرة !

★ ★ ★

◆ وليكن أول مظهر لهذه الكراهية هو مقاطعة بضائعهم .. لنسلط عليهم نفس السلاح الذى خيل اليهم ان بوسعهم أن يخضعونا به . فمن الواجب ان لا ننسى أنهم أرادوا هلاكنا حين جمـدوا أموالنا ، ومنعوا صـادراتهم عنا ،

وحاولوا فرض الحصار الاقتصادى علينا ٠٠ أرادوا خنقنا خنقا ، ولكن حكمة القائمين على أمورنا كانت قد حسبت لكل احتمال حسابه ٠٠ كانت قد وضعت فى تقديرها كل سلاح خسيس يمكن أن يلجأوا اليه ، فحصنت البلاد ضده ٠٠ واذا كان القراصنة قد فشلوا ، الا أن فشلهم هذا يجب أن لا يجعلنا ننسى أن النية كانت متوفرة لديهم ٠٠ وهى نية اجرامية ، خبيثة !

يجب ان لا ننسى أنهم حاولوا خنقنـــا والقضاء على اقتصـــادنا القومى ، فلنسلط عليهم نفس السلاح ٠٠ لنقاطعهم ، ولنعلم زوجاتنا وبناتنا وأبناءنا أن التخلى عن الكماليات واجب وطنى مقدس ٠٠ وان التقشف والاقتصاد فى الضروريات أوجب وأقدس ٠٠ ولنذكر أن الانجليز شدوا أحزمتهم على بطونهم خلال الحرب العالمية الثانية ، حتى اجتازوا المحنة التى كانت تهدد كيانهم ٠٠ ولن نكون أقل وطنية أو تضحية أو صبر من القراصنة !

لنقاطعهم ٠٠ ولتكن دعوتنا فيما بيننا فى مصر ، والدول العربية ، والشرق كله : « كراهية ومقاطعة للقراصنة الدوليين ! »

★ ★ ★

◆ ان طمع الغرب فينا ـ وتربصه بكل فرصة ينقض فيها على كسب جديد منا ـ ليس وليد اليوم ، وانما هو قديم ، عريق فى قدمه ٠٠ ولقـــد نقلت اليك فى العدد المـــاضى من « كتابى » فصولا من كتاب الدكتـــور « مصطفى الحفناوى » الذى أوضح أبشع قصص التآمر والخسة والاستغلال ، التى حفت بانشاء قناة السويس ٠٠ وأشرت فى نهاية ذلك الباب الى الصفقة الانتهازية التى أبرمها السياسى الانجليزى الداهية « دزرائيلى » ٠ وقد رأيت ان أقدم لك اليوم سيرة هـــذا الرجل الذى سرق من مصر حصتها فى أسهم قنـــال السويس ، ووطد نفوذ انجلترا على هذا الشريان الحيوى ، حتى جاء الرئيس جمال عبد الناصر فشطر أذرع الاخطبوط بضربته البـــاترة ، اذ أمم شركة القنال ! ٠٠ ولقد اضطررت فى سبيل موافاتك بسيرة هذا « الاسرائيلى » ـ كما يترجم اسمه ـ الى أن أؤجـــل مرة أخرى نشر باب « رأيت وسمعت لك فى أوربا » ٠٠ وأعتقد أنك ستلتمس لى العذر فى هذه المرة أيضا ، ففى مثـــل الفترة العصيبة التى تجتازها بلادنا الحبيبة ، يصبح واجبا عـــلى كل مواطن أن يبصر مواطنيه بحقيقة ذلك العـــالم الحر ، وطبيعة ساسته وأطمـــاعهم وتاريخهم القاتم معنـــا ، حتى نعرف أعداءنا عـــلى حقيقتهم ، ولكى لا ننسى ماضيهم معنا !

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيـــع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان عـلى الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صـــاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حيـــاة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حيـــاة موسولينى** » ، والثـــالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون «**ترويض النمرة**» . والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون «**الجريمة والعقاب**» ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **اقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣

◆ **وتطلب** من ادارة «**كتابى**» : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العـــدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على احد بنوك القاهرة ، ولا تقبـــل العملة الاجنبية او اذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات « كتابى »

صدر منها حتى الآن :

قصة مدينتين ـ ذات الثوب الابيض ـ الخالدون ـ الخاطئة ـ حياة امراة (جزءان) ـ الخطيئـــة الاولى وفتـــاة من الاقاليم ـ أوديب ـ مدام بوفارى (جزءان) ـ عاشقات فى الخريف ـ قلوب ضالة ـ ديكاميرون (ألف ليلة وليلة الايطالية) ـ الظمأ للحب ـ جين اير (جزءان)

وثمن كل من الاول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصـــا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشك نفادها) ، والثانى والتاســـع والعاشر والحـــادى عشر والثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الاولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « **كتابى** » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) . ١٢٠ قرشا وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية **Money Order** عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا وألمانيا وأستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف أجر البريد الجوى

المطبعة العالمية

١٦ ، ١٧ شارع ضريح سعد بالقاهرة
تليفون ٢٩٣١٧

دزرائيلى

أو

الرجل الذى سرق من مصر حصتها فى أسهم القناة !

بقلم الكاتب الفرنسى

"اندريه موروا"



تلخيص : محمود حلمى

« اليهودى الدجال ! »

◆ لا تزال الدول الغربية تتخبط فى خبال من جراء تاميم شركة قناة السويس • بيد ان هذا الخبال استحال لدى بريطانيا الى نوع من السعار • فان المطامع البريطانية الاستعمارية فى مصر ، بل والشرق كله ، لم تجد مايخدمها قدر قناة السويس • وقد قدم لك « كتابى » فى العدد الماضى قصة المؤامرات الدوليـــة الدنيئة التى اقترنت بحفر القناة ، وكيف ابتاعت بريطانيا نصيب مصر من الاسهم ، فتمت لهـا السيطرة عليها • واليوم ، نقدم لك حياة السياسى البريطانى الداهية « دزرائيلى » ـ الذى أبرم هذه الصفقة ـ كما كتبها الاديب الفرنسى الكبير « اندريه موروا » • وستتبين رغم تلطف « موروا » أية نفسية طبع عليها « دزرائيلى » ، وأية عقلية انتهازية ، استغلالية ، أوتيهـــا هذا السياسى الذى كان يصفه أقطاب السياسة البريطانية فى عصره بـ « اليهودى الدجال » و « المهرج » و « القرد الذى يفكر بعقليـــة حمار » !

الشعب الهائم أبدا !

◆ **فى** يوم عيد القديسـين من عام ١٢٩٠ ، أمر « ادوارد الاول » ـ ملك انجلترا ـ باقصاء جميع اليهود عن بلاده ، بعد ان كانوا يعيشون فى انجلترا عيشة راضية • وكانت الحروب الصليبية قد نشبت ، فأخذ الرهبان يجوسون خــلال القرى مؤلبين الناس على الطوائف « الكافرة » ، وقد أدى الامر الى هجرة ستة عشر ألف يهودى من انجلترا ، حطـوا رحالهم فى فرنسا • ولـكن استقرارهم هنـــاك لم يطل ، اذ لم يلبث « فيليب » ـ ملك فرنسا الذى كان يلقب بالجميل ـ ان أحس بضائقة مالية خانقة ، لم يجد وسيلة لتخفيف وطأتها سوى أن يصادر ثروات اليهود ، وان يردهم الى تشردهم من جديد •• ومن ثم طردهم فى سنة ١٣٠٦ • **ولاذ الشعب ـ الذى كتب عليه ان يعيش هائما مشردا ! ـ بأسبانيا ، حيث أقام أبناؤه**

قرنين من الزمان ، لا يعكر عليهم صفوهم أحد • ولكن الدهر كان لهم بالمرصاد ، فاذا أسبانيا تتنكر لهم وتنكل بهم ، حتى بدا أنهم ولابد سيفنون عن آخرهم ، ما لم يبادروا الى الهجرة!

•• وكأنما شاء القدر اذ ذاك أن يهادنهم ـ ولو لفترة ! ـ فاذا جمهوريتا (البندقية) و (أمستردام) تفتحان لهم أبوابهما • بل ان فرنسا عادت تدعوهم اليها ، وترحب بهم • وحتى انجلترا لم تلبث أن خففت من كراهيتها لهم • وتقدم اللورد «فيرفاكس» ـ في سنة ١٦٤٩ ـ بالتماس الى «كرومويل» لذلك • ولم تحن نهاية القرن السابع عشر ، حتى كانت قد استقرت فى لندن جالية صغيرة من يهود أسبانيا والبرتغال ، لم يلبث أبناؤها ان وصلوا الى أرقى المراتب فى الدولة والمجتمع ، حتى انهم صاروا ينظرون فى ازدراء الى اليهود الذين كانوا يتدفقون على لندن من الشرق !

وفى عام ١٧٨٤ ، وفد على انجلترا شاب يهودى ايطالى يدعى « بنيامين الاسرائيلى » ـ أو « دزرائيلى » كما تنطق باللغة الايطالية ـ فاشتغل بالتجارة ، ولكنه لم يلبث ان منى بخسارة فادحة ، أوشك معها على الافلاس ، لولا ان سيدة يهودية غنية ـ تدعى « سارة » ـ ساعدته بأموالها على المضاربة فى البورصة ، فتحسنت أحواله • وما لبث أن أنجبها ابنا أسماه « اسحق » عنى بتربيته ، أملا منه فى أن يصبح من كبار رجال الاعمال • ولكن الابن مال الى الادب والشعر ، ولم تفلح دموع أمه ، ولا نصائح أبيه ، فى صرفه عن هذا الميل • ثم خطر لبنيامين أن يوفد الفتى ـ حين بلغ الخامسة عشرة من عمره ـ الى فرنسا وهولندا لعله يتحول عن هوايته ، ولكن « اسحق » تذوق هناك طعم التفكير الحر ، المتمرد على كل ماهو قديم ، فلما عاد الى أبويه ـ بعد ثلاث سنوات ـ انصرف عن المساهمة فى أعمال أبيه الى المطالعة ، والتأليف ، وقرض

الشعر • وما ان بلغ الخامسة والثلاثين ،حتى تزوج من يهودية حسناء رزق منها بولد سـماه « بنيامين » ، وبنت سماهـا « سارة » ، تيمنا باسمى والديه !

يعتنق المسيحية فى سن الثالثة عشرة !

◆ **ونشأ** « بنيامين » وهـو لا يكاد يلتقى بأبيـه الا حـول المـائدة ، فى مواعيد الوجبات ، اذ كان الاب يعتكف ـ طيلة نهاره وشـطرا من ليله ـ فى مكتبته ، متوفرا عـلى القراءة والتأليف ، اللهم الا فى يوم الاحد حين كان يصطحب زوجتـه وطفليه الى دار أبويه • ولم يستعذب « بنيامين » الصـغير شيئا فى طفولته قدر النغمات التى كان يوقعها جده عـلى « المندولين » ، و « المكرونة » التى كانت جدته تتقن اعدادها !

وذهب الغلام الى المدرسة فى سن مبكرة • وبين جدرانها ، اكتشف ظاهرة غريبة : تلك هى انه لم يكن من نفس العنصر الذى كان زملاؤه ينتمون اليه !•• كان يهوديا رغم ان الصبغة الانجليزية كانت تصبغ حياته وحياة أهله • وكانت يهوديته هذه تدفع بزملائه الى نبذه ، مما جعله يشعر بأنه أحقر منهم شأنا • **على انه لم يكد يبلغ الثالثة عشرة ، حتى اصطحبه أبوه بنفسه الى كنيسة « سانت اندروز » حيث أتم « تعميـده » ، وبذلك أصبح مسيحيا ! وكان أصدقاء الاب قـد أنذروه بأن ابنه سيحرم من كثير من حقوقه المدنيـة ، وسـيجد أبواب الوظائف مغلقة فى وجهه ، ما لم يعتنق الدين المسيحى !**

وأظهر الفتى على مر الايام سعة خيال وطموح ، حتى انه كان منذ صباه يتصور نفسه رئيسا للوزراء ، أو قائدا للجيش • ولكن خياله كان عارما ، لم تكف هذه الاحلام لتخفيف ضغطه ، فأخذ « بنيامين » يوجهه الى تأليف مسرحيات صـغيرة كان يخرجها بنفسه ، ويقوم بتمثيل الدور الاول فيها •• وهـو دور كان يحرص على ان يجعل صاحبه بطلا أو عظيما !••ولم

يكن الغلام ليستطيع ان يخفي احتقاره للطلبة الذين لم يؤتوا حظه من الذكاء . وأراد زملاؤه ان يؤدبوه ، فتحرشوا به فى فناء المدرسة ، وتقدم منه أقواهم وقال له : « اننا لم نعد نطيق أن يتعالى علينا أجنبى ! » ، فلكمه بنيامين لكمة قوية، وبدأ العراك . ومع أنه كان أضعف من خصمه ، إلا أنه كان يلاكم بثبات ودراية ، فلم يلبث الغريم أن سقط على الارض دون حراك . واستبدت الدهشة بالطلبة .. فما كان يخطر لهم ببال أن بنيامين كان يتدرب على الملاكمة منذ ثلاث سنوات فى الخفاء !

يولع بتاريخ الدسائس والمؤامرات !

• **وكان** من جراء هذا الحادث ان طرد « بنيامين » من المدرسة . وكان البقاء فى البيت ثقيل الوطأة على الفتى الذى كان يجتاز أدق مراحل العمر .. اذ كان فى الخامسة عشرة فى ذلك الوقت !.. كما كان مركب النقص الذى نشأ فى أعماقه منذ أحس انه أقل من زملائه شأنا ـ فى صغره ـ يلح عليه فى العمل كى يصبح عظيما .. وفكر فى ان يصل الى غايته عن طريق الادب ، ولكنه ما لبث ان تبين ان الادب لايحقق مجدا سريعا ، وأنه فى الواقع كان على درجة من الجهل لا تمكنه من أن يغدو مؤلفا ناجحا . ومع ذلك فانه تفرغ عاما بأكمله لدراسة الادب القديم والتاريخ . **وشغف ـ بصفة خاصة ـ بكل ماعثر عليه فى كتب التاريخ عن الدهاء السياسى والدسائس والمؤامرات والجمعيات السرية .. وكانت أحب الشخصيات اليه ، هى شخصية « ريشيليو » !**

على أن الأب ما لبث ان قلق لانصراف ابنه عن بناء مستقبله، فاتفق مع محام من أصدقائه على أن يلحقه بمكتبه . ولكن الفتى عارض بشدة ، لولا أن أقنعه أبوه بأن العمل مع المحامين يهيىء له فرصة كى يدرس الحياة على حقيقتها ، ويلم بأحوال

الناس ومواطن القوة والضعف فى نفوسهم ، ممـــا ييسر له اختيار أصلح مهنة فى مستقبله . وبالفعل ، قدر لبنيامين ان يلتقى بكثير من الساسة ورجال الاعمال والمـال ، وان يدعى الى الحفلات الساهرة ، فكان يحرص على التأنق فى ملبسه ، وعلى التقرب الى النساء والظفر باهتمامهن . ولكنه كان يصدر فى سلوكه عن حذر وتردد ، اذ انه لم ينس قط ما أدركه فى المدرسة من انه « أجنبى » !

وما لبث ـ بعد أن زار ألمانيا مع أبيه ، وشاهد بعض روائع المسرح ـ ان عقد العزم على أن لا يشتغل بالمحاماة

فشل فى ميدانى المال والادب !

◆ **وكان** قد لاحظ ـ أثناء عمله فى مكتب المحـــامى ـ ان كثيرا من النـــاس كانوا يجمعون ثروات ضخمة ، وبسرعـة عجيبة ، عن طريق المضاربة بأسهم مناجم أمريكا الجنوبية .. اذ كانت الثورات مشتعلة فى ذلك الوقت فى المســتعمرات الاسبانية والبرتغالية ـ المكسيك وبوليفيا وبيرو والبرازيل ـ فاستغلت انجلترا الفرصة وناصرت المستعمرات الثائرة ،الامر الذى مكن رجال الاعمال الانجليز من الحصول عـلى امتيازات كثيرة هناك . **وبذلك بدت انجلترا أمام العالم كنصيرة للحرية، فى الوقت الذى كانت تملأ فيه جيوبها من ذهب المستعمرات .. شأنها دائما فى سياستها الخبيثة !**

وأقبل « بنيامين » على المضاربة ، فسرعان ما لفت بذكائه ونشاطه أنظار أحد كبار رجال المال ، فقربه اليه . وراح الاثنان يعملان معا ، حتى قدر لاسهم أمريكا الجنوبية ان تنخفض ، فخسر الشاب ـ الذى كان قد تجـاوز العشرين من عمره ـ سبعة آلاف جنيه ، بينما أفلس زميله !

ومرة أخرى ، عاد المغامر الشاب الى الادب ، فوضع قصـة « فيفيان جراى » ، ونشرها تحت اسم مستعار . والذى يقرأ

هذه الرواية ، يستطيع أن يلمح بين سطورها السياسة التى كان دزرائيلى الشاب قد بدأ يرسمها لحياته . فهو يقول فيها ان « **الانسان ليس وليد الظروف ، ولكن الظروف هى التى من خلق الانسان وصنعه** » .. ولابد انه كان يفكر فى نفسه حين كتب : « **كان من أول مبادىء مستر فيفيان جراى ، ان كل شيء ممكن .. ان فى الحياة بشرا يمنون بالفشل ، بكل تأكيد، ولكنا اذا تعقبنا فشلهم وجدناه يرجع الى نقص فى شجاعتهم المادية والمعنوية !** »

وأثارت الرواية ضجة فى المجتمع البريطانى ، اذ تعمد دزرائيلى خلالها أن يفضح أسرار الحياة الخاصة لبعض الشخصيات اللامعة . على أن النقاد لم يلبثوا أن عرفوا حقيقة المؤلف الذى شهر بنجوم الطبقة الراقيه ، فشنوا عليه حملات قاسية ، عنيفة ، ألقت به الى مهاوى الحزن والقنوط ، حتى كاد ييأس من الحياة ، لولا ان صحبه بعض أصدقائه الى ايطاليا . ومع أن الرحلة سرت عنه آلامه النفسية ، الا انها لم تقض على نوبات من الصداع القاسى أخذت تنتابه متلاحقة ، حتى ارتاب الاطباء في أن يكون مصابا بالتهاب فى أنسجة المخ

الشاب الفاشل يناقش « محمد على » فى السياسة !

◆ **والواقع** ان مصدر النوبات الاليمة كان نفسيا ، فقد أضنى الشاب شعوره بالفشل ، وتحرقه الى بلوغ المجد فى قفزة واحدة .. كان طموحه قد تحول الى طمع مسعور !

وبمساعدة أخته « سارة » استطاع ان يتقبل تعاليم أبيه التى كانت تدعو الى الصبر والاناة ، فهدأت آلامه النفسية ، وتبدد قنوطه ، واستعاد ثقته فى نفسه ، فعكف على تأليف رواية « الدوق الصغير » ، التى درت عليه خمسمائة جنيه استعان بها على سداد بعض ديونه . ثم هفت نفسه ذات يوم

الى أن يحج الى بيت المقدس ٠ ولعله كان يرمى من وراء ذلك الى أن يستتر أى مظهر تبقى لاصله الاسرائيلى ، اذ كان لايفتأ يقول لنفسه ان من سوء حظ المرء ان يولد يهـــوديا ٠٠ ثم لا يلبث فى سويعات انتعاشه المعنوى ان يردف قائلا : « ولكن هذا الحظ السىء خليق بأن يغدو فى حد ذاته مصدر قوة ! »

٠٠ والواقع ـ كما يقول بعض المؤرخين ـ ان حنين دزرائيلى الى الشرق ، والى موطن العبريين ، كان قويا ، لانه كان «**عبريا يهوديا فى كل شىء اللهم الا ديانته ٠٠ وحتى هذه لم يخترها لنفسه !** »

وبدأ رحلته فى نهاية يونيو سنة ١٨٣٠ ، مصطحبا خطيب شقيقته « سارة » ٠ فزار الاثنان اسبانيا ، ومالطة ، ثم عرجا على تركيا ، وسوريا ، وبلغا بيت المقدس فى النهاية ٠ حتى اذا اتجها عائدين الى بلادهما ، زارا مصر ٠ وقد خرج دزرائيلى من هذه الرحلة بتجارب وخبرة انعكست عـــلى مؤلفاته ، بل وعلى حياته ٠ اذ يقول مؤلف كتاب « ١٠٠ حيـــاة عظيمة » : « **كان لهذه الرحلة أثر فى رسم سياسته الخارجية فيما بعد، وفى ميله الى توجيه بريطانيا الى امتلاك الشرق !**

ولقد أطلق دزرائيلى العنان لنزواته الرعناء خلال هـــذه الرحلة ، فكان يرتدى طاقية حمراء ، ونعلين خفيفين احمرين ، وسترة و « بنطلون » من قماش مخطط بخطوط أفقية زرقاء٠٠ وكان يدس تحت حزامه شتى أنواع الاسلحة !٠٠ ولقد دفعه الطيش ـ المبنى على نزعة من أصله ـ الى أن يلج مسجد عمر فى بيت المقدس ، لانه عرف أن المسجد أقيم على هيكل سليمان، فأراد أن يقف على هذا الاثر التاريخى ٠ ولكن بعض المتعصبين فاجأوه ، وكادوا يفتكون به !

وفى مصر ، قدر له ان يقابل الوالى « محمد على » ، رغم ان نفوذ هـــذا الاخـــير كان فى عنفوانه اذ ذاك ٠ ومن عجب أن « الوالى الكبير ! » سمح لنفسه بأن يناقش الشاب ـ ذا الثياب

العجيبـــة ـ بعض المســـائل السياسية !



على ان الرحله انتهت نهاية أليمة ، اذ أصيب خطيب أخته خلالها بالجدرى ، ومات ٠فرجع دزرائيلى آلى لندن وحيدا مثقل الفؤاد ، وان حمل فى حقائبه مشروعى روايتـين ٠٠ وكانت الصدمه قاسية على أخته ،فبرح بها الحزن على خطيبها ،وعقدت العزم عـلى أن لا تتزوج قط ، ومن ثم وقفت حياتها على رعاية أخيها !

يرشح نفسه ضد ابن رئيس الوزراء !

◆ **وما** لبث دزرائيلى ان شعر بأن لا سبيل الى المجد الذى كان يتوق اليه الا عن طريق السياسة ٠٠ وان لا سبيل الى سلم السياسة الا عن طريق البرلمان ٠ ولكن عضوية البرلـمان البريطانى لم تكن سهلة فى ذلك الوقت ، بل كانت شـبه مقصورة على الاغنياء وأصحاب الاراضى الذين يمكنهم ثراؤهم من شراء أصوات الناخبين ، ونقلهم فى عربات خاصة الى مقر لجان الانتخاب ، واطعـامهم ، واستئجار الاشـقياء لارهاب خصومهم وأنصار هؤلاء الخصوم !٠٠ ومـع ذلك فقد أقدم دزرائيلى على ترشيح نفسه فى الانتخابات المحلية ، عن دائرة « وايكومب » ٠٠ ولم يكن غريمه فيها سوى الكولونيل جراى ٠٠ ابن رئيس الوزارة البريطانية !

وتبارى الغريمان في القاء الخطب ٠٠ ومـع ان جراى كان

كثير التلعثم ، فقيرا في فصاحتـــه ، الا أن بلاغة دزرائيلى لم تنفعه . فسقط في الانتخابات .. وتكرر فشله في الانتخابات العامة التي أجريت بعد ذلك بعدة أشهر !

وأراد دزرائيلى أن يروح عن نفسه ــ بعد المعركتين ــ فأخذ يتردد على الحفلات والسهرات ، حيث كان يلفت اليـه أنظار النساء والرجال بأناقته ووسامته وحلو حديثـــه . وتعرف بهذه الوسيلة الى عدد من علية القوم بينهم الوزراء والنــواب ورجال الاعمال

على أن دزرائيلى لم ينس ــ خلال هذا النشاط ــ الغاية التى أصبحت تشغل كل باله ، فكان لا يفتأ يدرس مبادىء الحزبين الرئيسيين اللذين كانا يتناوبان حكم بريطانيا فى تلك الفترة ــ وهما حزبا المحافظين والاحرار ــ ويدرس الفرص المتاحـة أمام كل منهما ، والفرص المتاحة له هو ، عن طريق كل منهما ! **.. وقد فطن الى أن طريقه الى البرلمان انما كان يمتد خـلال قاعات الاستقبال في دور الطبقة الراقية ، حيث تركت رحلته الطويلة فى الشرق آثارها ، فلم يعد أحد يذكر عن ماضـيـه سوى انه .. كاتب ناشيء ذو مواهب ، وشـاب مليح يسرف في العناية بانتقاء أغلى الثياب ، ورحالة عاد من الشرق بقصص مشوقة !**

وكانت أجمل الامسيات تلك التى يقضيها فى دور الطبقة الراقية ، وفى دار آل « نورثون » بالذات . فقد كانت مسز نورثون احدى حفيدات شـاعر انجلترا العظيم « شريدان » ، وكانت بناتها الثلاث قد وهبن جمـــالا جعلهن كربات قدماء الاغريق . وقد قدر للشاب ان يلتقى فى احدى زياراته للدار بلورد ملبورن ــ وكان من كبار الوزراء ، ومن أبرز أعضـــاء حزب المحافظين ــ فأعجب السياسى بلباقة الشاب ، وسـأله متلطفا : « ماذا تتمنى ان تصبح ؟ » . فقال دزرائيلى على الفور: « **أتمنى ان أصبح رئيسا للوزارة !** » .. وهنـــا تنهد لورد

ملبورن قائلا : « اقص هـذه الفكرة عن رأسك ، فهى ليست ميسورة فى عصرنا هذا ٠٠ بل ان رؤساء الوزارات معروفون منذ الآن ، وفى وسعى ان أحدس اسم رئيس الوزارة المقبل٠٠ وما أظننى أخطىء اذا قلت انه سيكون لورد ستانلى » !

يؤلف كتابا عن الدستور !

• **وانتهى** دزرائيلى أخيرا بأن انضم الى نادى « كارلتون » ـ قلب حزب المحافظين النابض وقتذاك ـ وعلق شارة الحزب فى صدر سترته ، فى الوقت الذى ركز بصره على التقويم ، يرتقب موعد الانتخابات التالية ، وقد عول على أن يرشح نفسه ٠ ولكنه لم يركن الى البطالة فى فترة الانتظار ، بل أصدر فى عام ١٨٣٥ كتابا عن الدستور ، ظفر باعجاب الدوائر السياسية ، ولفت اليه الانظار ، حتى لقد قال دوق ولينجتون بعد ان قرأه : « لابد لهذا الشاب من مقعد فى البرلمان ! » ٠٠ كما أرسل له سير روبرت بيل ـ زعيم حزب المحافظين ـ خطابا رقيقا يهنئه فيه على كتابه

وفى تلك الاثناء توفى وليم الرابع ـ ملك بريطانيا ـ وخلفته على العرش الملكة فيكتوريا ٠٠ وكانت فى الثامنة عشرة من عمرها ٠ وكما يقضى الدستور فى مثل هذه المناسبة ، تقرر حل البرلمان واجراء انتخابات عامة جديدة ٠ واذ ذاك ، عرض مستر وندهام لويس ـ الذى كان من أقطاب المحافظين ـ على دزرائيلى ان يرشح نفسه عن دائرة (ميدستون) التى رأى أن النجاح فيها مضمون ٠ والحق ان وندهام ماكان ليعرض على الشاب دائرة كهذه ، لولا أن ليدى وندهام أوصته به خيرا ، اذ كانت تعجب بذكاء هذا « السياسى الصغير » ولباقته٠ **ومن الطريف ان دزرائيلى كان ينفر منها ـ فى أول تعرفه اليها ـ ويتحاشى مجلسها ، ويقول ان الانصات الى ثرثرتها « لون من العقاب » !**

وكاد اليأس يستولى على النائب الشــاب ، لولا ان تذكر ـ فيما بعد ـ عندما ترملت !٠٠ وفى هذا وحده مايصــور شخصيته على حقيقتها ٠ فقد كان مخلوقا لا يحجم عن شيء فى سبيل الشهرة والمجد !

النائب المحترم !

◆ **وفى** ٢٧ يولية ١٨٣٥ أجريت الانتخابات العامة ، وفاز دزرائيلى ، فأصبح ـ أخيرا ! ـ نائبا فى مجلس العموم !

وفى يوم افتتاح البرلمان ذهب دزرائيلى الى المجلس وهــو يشعر بالزهو والسرور ، وحرص على ان يجلس خلف زعيمه سير « روبرت بيل » ، رئيس حزب المحافظين ٠ وما ان وجد نفسه جالسا بين مجموعة من الشخصيات البــارزة ، حتى ساوره شعور بالرهبة والتهيب ، فظل أسبوعين لاينبس بكلمة ٠٠ ولكن فرصة الكلام لم تلبث ان سنحت له ، أثناء مناقشة المجلس لاحد القوانين ، فأعد لهذه المناسبة خطبة بليغة خيل اليه أنه سيكتسح بها المجلس ٠ على انه لم يكد ينطق بأول عبارة ، حتى فوجيء بالضحكات الساخرة ، إذ كان قد حشـا العبارة بالكلمات الضخمة ، الطنانة ٠ وحاول دزرائيلى عبثـا أن يتم خطابه ، فقد أخذ النواب يقابلون كل فقرة منه بالمقاطعة والضحك ، حتى آضطر أخيرا الى الجلوس ، وقد استولى عليه الحزن والقنوط !

وكاد القنوط يستولى على النائب الشــاب ، لولا ان تذكر اذ ذاك معاكسات زملائه الطلبة واهاناتهم له أيام المدرسة ، ثم تذكر تلك الملاكمة التى كانت سببا فى فصله من المدرســة ، ولكنها كانت ـ فى آلوقت ذاته ـ ســببا فى احترام زملائه له ٠ ومن ثم لم يتردد فى ان قال موجهــا الخطاب الى رئيس المجلس : « **لست فى دهشة ياسيدى من هذا الاستقبال ، فكم من أشياء بدأتها وسط المثبطات ، ولكننى فزت بالنجــاح فى**

النهاية ٠٠ ولسوف أجلس الآن ، ولكن ٠٠ لسوف يأتى وقت تنصتون الى فيه ! »

يتزوج ٠٠ ليصل الى غاياته !

◆ **واذ** ظفر المغامر الشاب بمقعده فى مجلس العموم ،وبدأ يخوض بحر السياسة ، أخذ يساوره الشعور بالحاجة الى الاستقرار ، ففكر فى الزواج ٠ وكان قد تعرف الى كثير من حسان المجتمع ، ومن بنات الاسرات الغنيه ٠ ولكنه أحس - حين بدأ يفكر فى الامر جديا - بأن حاجته الى قلب حنون عطوف ، تفوق حاجته الى جمال فاتن !

وحدث فى ذلك الوقت ان توفى مستر وندهام ، ولما تنقض ستة أشهر على دخول الشاب البرلمان ٠ ولما كان مدينا لليدى وندهام - اذ كانت هى التى حثت زوجها على مساعدته للفوز بمقعد فى مجلس العموم - فقد أخذ يتردد عليها من آن الى آخر ، يواسيها ويسرى عنها ، ومن ثم توثقت بينهما الصلات ، ولم يعد يرى حديثها « لونا من العقاب » ، كما كان يقول من قبل ، وانما بدأ يشعر نحوها باحساس غامض مبهم، حار فى تعليله ٠٠ اذ لم يجد انه كان حبا ٠٠ ولكنه مع ذلك لم يكن يقل عن الحب قوة !٠٠ وما لبث ان تبين أخيرا ان هذا الاحساس القوى الذى كان يساوره نحو الارملة - رغم فارق السن - لم يكن سوى صداقة عميقة ، قائمة على الفهم المتبادل، وعلى التقدير الصادق !٠٠ وكان هذا كافيا لتشجيعه على الزواج من « مارى آن ٠٠ ليدى وندهام » !٠٠ **كان هذا هو الحافز الظاهرى على الاقل ، اذ لاينبغى ان نغفل هنا مكانة السيدة فى المجتمع ، ورجاحة عقلها ، وثروتها - اذ كانت تملك بيتا وايرادا قدره ٤ آلاف جنيه فى العام - وكلها عوامل كانت كفيلة بأن تسهل سعيه نحو غاياته !**

ولما عرض الزواج على « مارى آن » ، بدا عليها التردد - اذ

كانت تكبره بعشر سنوات ! ـ ولكنه ألح ، فطلبت اليـــه ان يمهلها لمدة عام ، كى تفكر وتختبر طباعه .. وأخيرا عقـــد قرانهما فى كنيسة سانت جورج فى ٢٨ أغسطس ١٨٣٩ !

أفاق خطير لا يؤمن جانبه !

◆ **لم** يكد السياسى الناشىء يحظى بقسط من النجـاح فى مجلس العموم ، حتى اشتد آمله فى أن يصبح وزيرا ، لاسيما وان زواجه من مسز وندهام أوحى اليه بأنه أصبح أهلا ـ من الناحية المالية والاجتماعية ـ لان يظفر بمكانة أرقى من مجرد عضوية البرلمان !

وكانت سماء الحياة فى انجلترا ملبدة ـ فى تلك الفترة ـ بغيوم ضائقة اقتصادية عصيبة . فقد كان من جراء استخدام الآلات فى الصناعة ، ان كسدت أسواق الحرف اليدوية ،وكاد الغزالون والنساجون ان يموتوا جوعا ، وانتشرت البطالة ،مما دفع الشعب الى المطالبة باجراء انتخـابات عامة ، أملا منه فى أن تتولى الحكم وزارة جديدة تعمل على اصلاح الاحـــوال . واشتد تذمر الشعب حتى ان وفدا من الناخبين تقدم الىمجلس العموم يحمل توقيعــات اثنى عشر ألف شخص ، للمطالبـة بالاصلاح . **واذا بدزرائيلى يسـبق النـواب الى تبنى مطالب الوفد .. وهكذا أثبت « الاسرائيلى » مرة أخرى براعتــه فى اقتناص الفرص ، اذ كان تحمسه للمطالب خليقا بأن يكسبه مكانة شعبية !**

وفى ٣٠ أغسطس سنة ١٨٤١ ، كلف سير روبرت بيل ـ زعيم المحافظين ـ تأليف الوزارة الجديدة . وكان احتمـــال اشتراك دزرائيلى فى هذه الوزارة يرقى فى نفســـه الى حكم اليقين ، حتى انه لم يتورع أو يخجـل من ان يكتب الى بيـل يسأله مقعدا فى الوزارة !.. ولكن بيل أجاب فى اقتضـاب بالرفض ، اذ وجد من زملائه وأنصاره معارضة قوية فىاسناد

أى منصب الى ذلك الشاب الذى وصـــفوه بأنه : « **أفاق خطر لا يؤمن جانبه !** »

وكانت الصدمة قاسية عـــلى دزرائيلى ، فأخذت مراجل السخط تغلى فى أعماقه ، حتى دفعتـــه الى أن ينضم الى كتلة مستقلة من النواب المحافظين المتـذمرين ، كانت تطلق عـلى نفسها اسم : « انجلترا الفتاة » ! ٠٠ وسرعان ما اســـتطاع ببراعته الانتهازية أن يصبح الرأس الموجه للجماعـــة ، فراح يبشر بالسياسة التى ظلت شعاره طيلة حياته بعـــد ذلك : **سياسة العمل عـــلى قيام نظام اقطاعى عـلى النمط القديم ، تؤازره طبقة قوية من الارستقراطيين ملاك الارض ، وتسانده الكنيسة !**

يشترى ضيعة وهو غارق فى الديون !

◆ **ومع** ان دزرائيلى ظل عضواً فى حزب المحـــافظين ــ من الناحية الرسمية ــ الا انه نشط الى مناوأة الحكومة فى مجلس العموم ، والتنديد بسياستها ، والاقتراع ضـد مشروعاتها ٠ واستاء روبرت بيل أيما استياء من هذا التمرد الذى بدا كلون من ألوان « القرصنة » السياسية ٠ حتى اذا استفحل عصيان دزرائيلى وانقلب الى خرق لمبادىء الحزب ونظمه ، لم يستطع زعيم المحافظين أن يحتفظ بصبره ، واضطر الى طرد دزرائيلى من الحزب ٠ وكان رد الشاب الواسع المطامع ، ان اشتط فى حملاته على حكومة بيل ، حتى أصبحت المناقشـــات تمتد فى مجلس العموم ــ فى كثير من الليالى ــ الى الفجر !

وهنا ظهرت بجلاء شخصية « الأم » فى زوجته التى كانت تكبره ٠٠ اذ كان يجدها ــ حين يعود الى داره فى الســـاعة الرابعة أو الخامسة صباحا ــ ساهرة فى انتظاره ، وقدأضاءت جميع حجرات البيت ٠٠ وكثيرا ماكانت تقبع فى عربتها أمام باب المجلس ، وقد حملت له طعام العشاء !٠٠ واســـتمرت

المعركة خمس سنوات ، سقطت بعدها حكومة روبرت بيل ، وتولى الحكم لورد جون رسل . واذ ذاك ، أصبح دزرائيلي زعيم المعارضة في مجلس العموم . ولكنه أحس بأن مركزه الاجتماعى فى حاجة الى تدعيم ، اذ رأى ان من مستلزمات السياسى الناجح ان يكون من أصحاب الضياع .. وهى صفة لم يكن فى وسعه ان يوفرها لنفسه ، فقد كان فى تلك الآونة غارقا فى الديون ، التى بلغ مجموعها عشرين ألفا من الجنيهات !.. ولكن دزرائيلي كان يدرك ان الفرصة السانحة هى فرصته الذهبيه ، فسعى حتى أقنع أباه بأن ينزل له فورا عن النصيب الذى كان مقدرا ان يورثه اياه عند موته - وكان يصل الى عشرة آلاف من الجنيهات - كما أغرى الاغنياء من أصدقائه على أن يقدموا اليه قروضا .. وبذلك استطاع ان يبتاع ضيعة « هيويندن » ، وأصبح « الافاق الخطر » - الداعى الى الاقطاع المدعم بارستقراطية ملاك الاراضى - واحدا من كبار الملاك !

الدجال السياسى يؤلف قصصا !

• **وكانت** تلك الفترة من حياة دزرائيلي مليئة بالطرائف.. فان دزرائيلي لم ينس - فى غمرة النضال الحزبى - ارضاء خياله وميله الى الادب . فنشر فى سنتى ١٨٤٤ و ١٨٤٥ روايتين نسجهما حول الظروف التى كانت تكتنف العمال الزراعيين والصناعيين فى تلك الآونة ، وهما روايتا « كونينجسبى » و « سيبيل » اللتان اعتبرتا جزءا من حملته على وزارة بيل ، واللتان نبهتا الخواطر الى المساوىء والاخطار التى كانت تتهدد الاقتصاد البريطانى اذ ذاك !

ثم أصدر فى سنة ١٨٤٧ رواية أخرى هى « تانكريد ».. وقد حفت بهذه الرواية ظروف كانت حرجة بالنسبة لدزرائيلي . فان حملاته الشعواء على بيل أوغرت عليه صدور علية القوم

والصفوة المختارة من المثقفين ، حتى لقد بلغ الاستنكار بكثير منهم الى أن ربأوا بأنفسهم ان يصافحوه !٠٠ **وسرى استهجان مسلكه حتى الى البلاط الملكى ، فاذا الملكة فيكتوريا وزوجها الامير « ألبرت » يعتبرانه سياسيا ذا مطامع لا تقوم على مبادىء، ولا تقرها مبادىء !٠٠ وكان أقطاب المحافظين فى عجب من الانتصارات التى كان ينالها دزرائيلى ، ولما كان يكتسبه من نفوذ على النواب ٠٠ فلما سقط بيل ، راحوا يتساءلون : « كيف استطاع الدجال اليهودى ان يدفع مثل ذلك الشخص العظيم الى الاختفاء ؟ » ٠٠ و أخذوا يشعرون بأنه مغامر ذو سحر خبيث ، وذو تأثير رهيب !**٠٠وشعر لورد ستانلى ـ الذى كان يتزعم سياسة الحماية الاقتصادية فى مجلس اللوردات ـ بعداء ونفور نحو دزرائيلى ، اذ استنكر أطماعه الجشعة ،حتى انه كان يقول : « لسوف أستقيل اذا دخل هذا الزنيم مجلس اللوردات ! » ٠٠ وكان يرتاب فى أمانته ، ومن ثم فقد كان يأبى ان يدعوه الى مائدته !

قرد سخيف يفكر بعقل حمار !

◆ **فى** هذه الظروف التى كان دزرائيلى يوصم فيها بأنه « الدجال اليهودى » ، أصدر رواية « تانكريد » التى تدور حول نظريات كانت تجول بخاطره ، للتقريب بين اليهودية والمسيحيه ٠٠ وكان يرى ان رسالة الكنيسة فى المجتمع المادى هى حماية بعض مبادىء العنصر السامى ، التى وردت فى التوراة ٠٠ وهى كما نرى محاولة منبعثة عن شعوره بأن أصله اليهودى كان لا يزال يباعد بينه وبين الانجليز ، ويجعله « أجنبيا » ٠٠ نفس العقدة النفسيه التى نشأت فى نفسه وهو تلميذ صغير !

وقوبلت الرواية بحملات شديدة ، حتى ان « كارليل » وجد ان هذا الخطل اليهودى ـ أو « الغباء الحمارى اليهودى »

نسبة الى حمار ، كما عبر عنه ـ لم يعد يحتمل من دزرائيلى ، وتساءل : الى أى مدى يسمح « جون بول » لهذا القرد السخيف بأن يرقص على صدره ؟

وكان من حسن حظ دزرائيلى ، ان أنصاره لم يكونوا يقرأون رواياته !٠٠ على أن الظروف لم تلبث ان دفعته الى حمل رسالة التقريب بين اليهودية والمسيحية الى مجلس العموم ٠ اذ حدث أن انتخب « ليونيل دى روتشيلد » عضوا فى البرلمان عن حى المال ، ولكنه لم يستطع ان يحتل مقعده ، لان القـانون كان يتطلب ان يقسم العضو يمينا مسيحيا ، فى حين كان روتشيلد يهوديا (١)

أخيرا ٠٠ يدخل الوزارة !

◆ **وقدر** له ان يحقق حلم العمر فى سنة ١٨٥٢ ، عندما دعت الملكة « فيكتوريا » لورد ستانلى لتأليف الوزارة ،وسألته عمن يرشحه وزيرا للمالية فأجاب : « دزرائيلى » ٠ وعارضت الملكة ، اذ لم تكن قد نسيت حملاته الشديدة فى البرلمان على سير روبرت بيل ، الذى كانت تكن له تقديرا عظيما ٠ ولمـا ألح ستانلى ، وافقت الملكة على مضض وهى تقول : « اننى أقبله بضمانتك ! » ٠٠ ومن العجيب حقا ان يتحمس اللورد ستانلى لدزرائيلى ، وهـو الذى كان يهدد بالاسـتقالة من مجلس اللوردات اذا ضم اليه !

على ان وزارة ستانلى ما لبثت ان سقطت ، وتولى جلادستون الحكم ٠ ثم دعى ستانلى مرة أخرى الى تأليف وزارة جديدة ، فعاد دزرائيلى وزيرا للماليـة ٠ وكان الشعب اذ ذاك يطالب بتعديل قانون الانتخاب الذى كان يقصر حق الانتخاب عـلى طبقة معينة من أصحاب الاملاك ، فاقترحت الحكومة ان يكون

---

(١) ولعل موقف دزرائيلى هذا كان دعامة فى عـلاقته بروتشيلد ٠٠ تلك العلاقة التى مكنته فيما بعد من ان يستغل ظروف مصر ليسلبها أسهمها فى شركة قناة السويس !

هذا الحق لكل شخص يدفع ايجارا سنويا قدره عشرة جنيهات . وأراد جلادستون زعيم المعارضة ان يحرج الحكومة - اذ كان يضمر كراهية شديدة لدزرائيلي - فطالب بتخفيض هذا المبلغ الى ثمانية جنيهات حتى يشمل حق الانتخاب أكبر عدد ممكن من المواطنين . وأعد دزرائيلي - ردا على ذلك - مفاجأة لم تكن فى حسبان المعارضة ، اذ اقترح فى مجلس العموم منح حق الانتخاب لكل صاحب أو مستأجر مسكن ، دون تحديد لقيمة الايجار ، ووافق المجلس بحماسة على هذا الاقتراح ، ففازت الحكومة بالثقة . وصعق جلادستون لبراعة دزرائيلي الشيطانية !

ولكن السن كانت تتقدم حثيثا بدزرائيلي ولما يحقق حلم الاحلام ، وأمنية الامانى .. ان يصبح رئيسا للوزراء !.. واذ بلغ الحادية والستين من عمره ، أوشك اليأس والقنوط ان يداخلاه . وكأنما أشفق القدر عليه فى اللحظة الاخيرة ، فاذا بنوبات داء النقرس تشتد على لورد ستانلى ، حتى لم يعد قادرا على أداء واجباته

رئاسة الوزارة وصداقة الملكة !

• **ولكن** ستانلي لم يشأ أن يستقيل دون ان يؤثر « اليهودى » بخدمة أخيرة ، اذ نصح الملكة بأن تعين دزرائيلي خليفة له .. وقبلت الملكة النصيحة ! وهكذا ظفر دزرائيلي أخيرا بالامنية التى طال كفاحه من أجلها . وكانت فرحته أبلغ من ان يصفها قلم !.. وكان يجيب على تهانىء أصدقائه قائلا: « **لقد صعدت أخيرا الى قمة الجبل ذى السفح الزلق** » !

وكان من أعجب المعجزات ، ان سلوك الملكة فيكتوريا نحوه لم يلبث ان تغير تغيرا تاما . فبعد ان كانت تكرهه ولا تطيق سماع صوته ، باتت تقربه اليها وتوليه ثقتها .. بل ان الكلفة ما لبثت ان زالت بينهما ، حتى أنه كتب لها يومايقترح

تعيين وزير جديد ، فقال فى خطابه : « ان مستر وارد هانت يصلح وزيرا للمالية ، فهو كالفيل فى ضخامته ٠٠ وحكمته !» ولما سئل دزرائيلى عن سر حب الملكة له قال : « اننى لا أرفض ولا أعارض مطلقا ، وأنسى ٠٠ أحيانا ! » ٠ **وكانت وفاة الامير « ألبرت » ـ زوج فيكتوريا الحبيب ـ مدعاة لازدياد توثق العلاقة بين الملكة ودزرائيلى ، اذ بدا انه الوحيد الذى استطاع أن يفهم حزنها ولوعتها ، وان يخفف عنها ويواسيها !٠٠ وحدث مرة ان أهداها كل الروايات التى ألفها ، فأهدته بدورها الكتاب الذى وضعته عن : « يوميات حياتنا فى اقليم المرتفعات » ، ومن ثم أخذ يقول لها فى بعض الاحيان مداعبا: « نحن معشر المؤلفين ٠٠٠ » !**

ولم يغتظ أحد لهذا الانسجام بين الملكة ورئيس وزرائها ، قدر ما اغتاظ غريمه « جلادستون » الذى كان يرى ان « الالفة بين التاج والدجال العبرى فضيحة لا تطاق ! »

سباق للفوز بأسهم شركة قناة السويس !

◆ **وما لبثت** الانتخابات العامة ان قلبت الميزان بين الغريمين ، فاذا « جلادستون » يرأس الوزارة ، واذا دزرائيلى يتنحى عن الحكم

وكان الناس يتوقعون أن يبادر دزرائيلى الى مناوأة جلادستون ، ولكنه لم يكن غرا متهورا ، بل آثر ان يمهله حتى تتكشف أخطاؤه بعد فترة من الزمن ٠ وراح يشغل نفسه فى فترة الانتظار بتأليف الكتب ٠ ثم ازداد انصرافا عن منازلة غريمه حين شغل بمرض زوجته التى اشتدت وطأة السرطان عليها ، والتى ما لبثت ان توفيت فى سبتمبر سنة ١٨٧٢ وهى فى الحادية والثمانين

وقوى نفوذ دزرائيلى أكثر من ذى قبل ٠٠ نفوذه فى الدولة، ونفوذه على الملكة ٠ فقد كان خبيرا بقلوب النساء ، عليما بما

يرضيهن ، لبقا يجيد تزويق الكلام · وقد بلغ من ايثار الملكة اياه ، انها سمحت له بأن يجلس كلما مثل بين يديها ، عندما علمت ان داء الروماتيزم قد برح به ·· وكان جلادستون يرقب هذا الود فى حنق ولا يفتأ يقول : « من حظ دزرائيلى ان انجلترا تحت حكم ملكة ·· لا ملكا ! »

وما لبث جلادستون ان استقال ، وألف دزرائيلى وزارته الثانية · وفى ابان وزارة دزرائيلى الثانية ، تمت المؤامرة التى عانت مصر من جرائها ٨١ سنة ·· مؤامرة سلب حقوق مصر فى قناة السويس · فقد نمى الى دزرائيلى – فى نوفمبر سنة ١٨٧٥ – ان الخديو اسماعيل فى حاجة ماسة الى المال ، اضطرته الى أن يعرض نصيب مصر من أسهم قناة السويس للبيع ، وكان مائة وسبعة وسبعين ألف سهم · واذ كان دزرائيلى واسع الافق ، نشط الخيال ، فانه لم يحتج الى وقت طويل كى يتصور مدى ما سيعود على بريطانيا من نفوذ سياسى ونفع مادى اذا هى أصبحت صاحبة السيطرة على القناة · وقدر ان هذه هى فرصته الكبرى كى يخلد اسمه فى تاريخ الامبراطورية ، فأبرق الى ممثل انجلترا فى مصر ،يسأله مزيدا من البيانات

وعلم دزرائيلى ان الخديو قد اتصل سرا بشركة فرنسية وافقت على شراء الاسهم بثلاثة ملايين وستمائة وثمانين ألفا من الجنيهات ، وان موعد البيع قد حدد بعد أيام قلائل ، فأدرك ضرورة العمل السريع لضمان الفوز بالصفقه · ولكن الامر كان يحتاج الى موافقة البرلمان ، وكان البرلمان فى عطلة ، والوقت لا يتسع لدعوته ·· فماذا يفعل ؟

وهنا خفت فطرته اليهودية الى الهامه ، فدعا مجلس الوزراء ، وحصل منه على الموافقة على الخطة التى انتواها ، ثم أوفد سكرتيره الخاص الى « روتشيلد » – المالى الكبير – ينبئه بأن

دزرائيلي فى حاجة الى أربعة ملايين من الجنيهات

وكان روتشيلد جالسا يأكل عنبا ، حينما استقبل « مونتاجو كورى » ـ السكرتير ـ فسأله وهو ينزع القشر عن احدى حبات العنب : « وما الضمان الذى تقدمونه ؟ » ٠ فأجاب كورى : « الحكومة البريطانية » ٠ واذ ذاك قال روتشيلد : « اذن ، فسأقدم لكم المبلغ ! »

وبادر دزرائيلي بالكتابة الى الملكة قائلا : « لقد سويت الصفقة ٠٠ وأصبح نصيب الخديو بأسره ملكا لك » ! (١)
وطربت الملكة ايما طرب ، لاسيما وان الصفقة كانت كفيلة بأن تغيظ بسمارك ، الذى كان يتصرف فى السياسة الدولية وكأنه الحاكم بأمره فى أوربا كلها ٠ وكان جزاء دزرائيلي ، ان أنعمت عليه فيكتوريا بلقب «ايرل بيكونسفيلد » و«فيكونت هيويندن »

يكسب قبرص لانجلترا بالتهويش !

• **وحدث** فى نفس العام ان قامت ثورة اقليمى (البوسنة) و (الهرسك) ثم تبعهما أهل بلغاريا ، منتقضين على سيطرة تركيا ٠ وخفت روسيا لمعونة الثوار ، ثم أعلنت الحرب على تركيا ، وأوفدت رسولا الى انجلترا ليستوثق من حيادها ، فاشترط دزرائيلي ، فى مقابل الحياد ، ان يحترم القيصر قناة السويس ، والدردنيل ، والقسطنطينية ٠ وقبل القيصر الشروط ، ولكنه ما لبث ان أمر قواته بالزحف على القسطنطينية بعد ان استولى على بلغاريا ٠ وهنا ثار الرأى العام البريطانى ، وأخذ يدعو حكومته الى اعلان الحرب على روسيا ٠٠ وذهبت الجماهير فى تحمسها الى درجة بعيدة ٠ ولكن مؤتمر برلين أنقذ الموقف ، اذ تولى تسوية الازمة التركية الروسية

ومع ان دزرائيلي حضر المؤتمر مريضا محطما ، الا انه هدد

---

(١) فضل اسماعيل العرض البريطانى الذى كان يزيد على العرض الفرنسى بمائة وأربعين ألف جنيه ، وان لم يفطن الى ان الامتيازات التى منحها لبريطانيا تفوق المبلغ الذى دفعته له ٠٠ وهكذا تمت أكبر عملية نصب دولية فى التاريخ !

بشن الحرب على روسيا اذا هى لم تسحب جيوشها من نصف الاراضى البلغارية ، ومن ولاية ارمينيا .. ونجح «التهويش» ، فأذعنت روسيا للتهديد ، بينما عقد سلطان تركيا مع دزرائيلى اتفاقية سرية تعهدت فيها بريطانيا بالمحافظة على أملاك الدولة العثمانية . وفى مقابل ذلك استولت على جزيرة قبرص . وهكذا خرجت بريطانيا وهى أكثر الدول كسبا ، دون ان تطلق رصاصة واحدة !

وعاد دزرائيلى الى بريطانيا ، فاذا البلاد تستقبله استقبال الفاتحين . ومنحته الملكة وسام ربطة الساق ـ وهو أرفع الاوسمة البريطانية ـ جزاء خدماته الجليلة !

ولكن الشعب الذى كرمه ، لم يلبث ان انقلب عليه فى الانتخابات العامة ، تحت ضغط الازمة المالية والزراعية التى اشتدت ببريطانيا اذ ذاك . وكان من نتائج هزيمة المحافظين، أن استقال دزرائيلى ، ليترك الحكم لغريمه جلادستون .ولكن الملكة لم تشأ أن يودع صديقها الحكم دون ان تكرمه ،فعرضت عليه لقب دوق ، بيد انه اعتذر ، وقال ان خير ما تكرمه به ، هو ان تمنح سكرتيره الخاص لقب لورد . فأجابت رجاءه ، وكان هذا التكريم لسكرتير رئيس الوزارة المستقيلة شرفا لم يسبقه مثيل . حتى ان جلادستون كان يعلق عليه بقوله فى سخرية : « **ان مثل هذا الشرف لم يتح لاحد منذ عين الامبراطور كاليجولا حصانه قنصلا !** »

ولم يطل العمر بدزرائيلى بعد ذلك ، اذ اشتدت عليه وطأة المرض ، وما لبث ان لفظ آخر أنفاسه فى ١٩ ابريل سنة ١٨٨١ **ومات « الدجال اليهودى الساحر » ـ كما كان خصومه يسمونه ـ بعد ان حقق الاحلام التى كانت تراوده منذ طفولته .. بعد أن جعل « اليهودى الاجنبى » الذى كان زملاؤه ينكبونه ويضطهدونه ، أكبر رأس فى البلاد بعد الرأس الذى يحمل التاج !**

ترقب الجزء الثالث والاخير من

جين اير

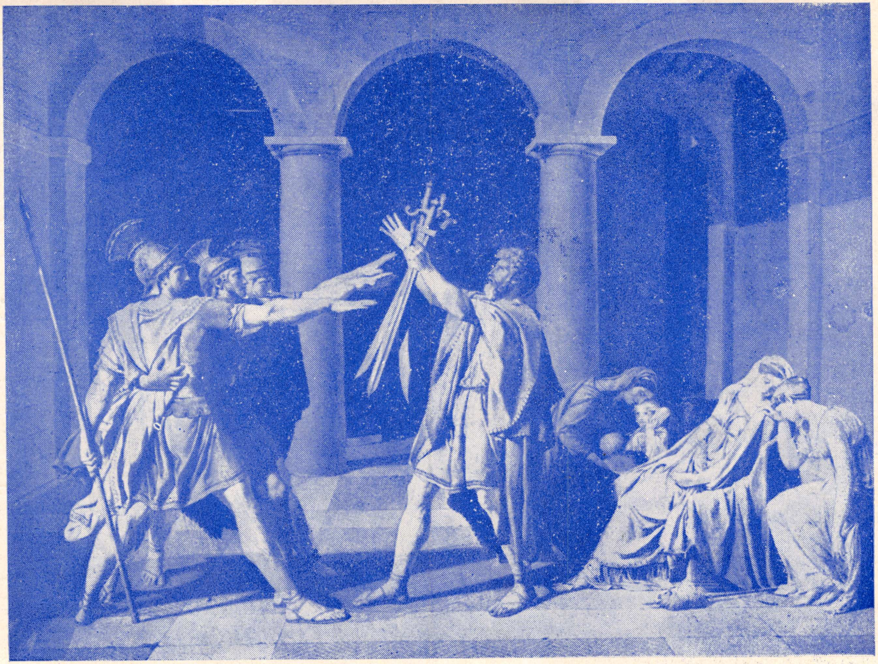
توافيك به « مطبوعات كتابى » فى منتصف سبتمبر



انه أبدع أجزاء القصة الخالدة ، اذ تبلغ فيه « شارلوت برونتى » - مؤلفتها - بالمأساة ذروتها ، ثم تتحول فتميط اللثام عن الاسرار والالغاز التى اكتنفت قصر ثورنفيلد وأهله .. وتكشف غوامض : الضحكات الرهيبة ، وحريق مخدع روشستر ، وحادث الاعتداء على ميسون ، ولغز الشبح الذى مزق خمار الزفاف .. واذا المأساة تنجلى عن مآس تعرضها المؤلفة العبقرية فى براعة ، لتصل فى النهاية الى المصير الذى أرادته لجين وروشستر !



سيدة تتزين ..   لوحة زيتية للرسام « انطوان واتو »
(١٦٨٣ - ١٧٢١)



أولاد « هوراس » الثلاثة يقسمون لابيهم قسمهم الرهيب ! القصة للاديب الفرنسي الخالد « كورني » - اقرأها في هـذا العدد - واللوحة للفنان « جاك لويس دافيد » (١٧٤٨ - ١٨٢٥)



عطش!
قصة مصرية بقلم:
الدكتور حسين مؤنس

كانت للحاج أمين أسراره ووسائله للاحتفاظ بالشباب .. وكانت لزوجه الصغيرة فتحية وسيلتها فى الهرب من الشيخوخة .. وقد التقت الوسائل والاسرار كلها ذات يوم ، عندما اشتد الحر .. والعطش !

تتفرع حارة « الفحام » من (درب الجناين) ، ومن حارة الفحام تتفرع عطفة «الحمامة» ، ومن عطفة الحمامة ينساب زقاق « الساقية » كأنه ثعبان يتلوى مرتين قبل أن ينتهى ببيت الحاج أمين العطار ..

وهذه المجموعة كلها من الممرات والسراديب معظمها خرائب : نصف البيوت أطلال متهدمة وبقايا بيوت غطت عليها أكوام القمامة .. والبيوت القائمة أقرب الى مناطق الآثار منها الى البيوت

والمنطقة كلها من أول درب الجناين لاتعرف الكهرباء .. ليس فيها كلها سلك واحد ، وليست فيها مياه جارية ، انما هناك حنفية تقوم على باب حارة الفحام ، والنساء يملأن الصفائح ، والسقاءون يملأون القرب ، ويطوفون على بيوت الناس ، وبين هؤلاء السقائين شاب يدرج بين الخامسة والعشرين والثلاثين ، كلما حمل قربة الى أحد البيوت خط على بابه بالطباشير خطا ، وفى آخر الشهر يعد الخطوط ، ويتقاضى عن كل خط قرشا صاغا ..

★ ★ ★

كان يوما حارا من أشد أيام يوليو قسوة : الشمس فوق الرؤوس كأنها سيف مصلت ، وقد سكنت الحركة فى هذا الجو القاسى فبدا الحى كله وكأنه صحراء لايسكنها أحد ..

حتى القطط والكلاب سكنت عن الحركة، وتمددت على الارض فى الظل وفتحت أفواهها تلتمس شيئا من الطراوة !٠٠ واشتد نشاط حنفية الماء ، فجلس عم جبر يحرك مفتاحها ، والنساء ينطلقن بصفائح الماء، والسقاءون يعدون عدوا ٠٠ فهذا موسمهم!

جلس الحاج أمين فى بيته مسترخيا من شدة الحر ٠٠ انه رجل فى الخامسه والستين ، ولكنه عفى ، مكتمل الاشد ، لان الله أوسع عليه وبسط له أسباب العيش من ناحية٠٠ ولانه عطار عارف بأصناف المقويات وأسرارها من ناحية أخرى ٠٠ فهو يملك محل عطارة كبيرا فى درب الجناين ٠٠ محلا تقوم على أبوابه ثلاثة مدقات من الحجر المنحوت يدق الرجال فيها بأعمدة من الحديد : واحد للزعفران ، وواحد للبهارات ، والثالث لسر الحياة وسر ثروة الحاج فى وقت واحد ، ذلك هو « القرطاس العجيب » !٠٠ مجموعة من البذور والحبوب والجذور وأوراق الشجر الجافة ، اخترع خلطتها الحاج أمين٠٠ **انها تعيد الشباب، وتعين على أوصاب الشيخوخة !٠٠ ان القرطاس أكيد الاثر ٠٠ ملعقة من المسحوق السحرى كل صباح يتلوها كوب شاى أخضر بالنعناع ، تلين المفاصل ، وتحل نخاع العظام الذى يتجمد مع الشيخوخة ، وتهدىء العروق النافرة ، وتفتح الشهية ، وتمهد الطريق بين الشيخ والغيد الحسان !**

والحاج أمين شخصيا مخلص للقرطاس ، لايمر يوم دون أن يتناول منه ملعقة ساحرة يعقبها كوب من الشاى الاخضر المعتق، ثم يغفو الحاج اغفاءة يسيرة ريثما يتسرب السر العجيب الى نخاع العظام وسراديب المخ والقلب ، ويفعل فعله المبروك !٠٠ **وهو مخلص كذلك لبنات حواء ٠ فمنذ أدرك الخامسة والخمسين ، وهو يسير بنظام على قاعدة ثابتة ٠٠ كل خمس سنوات شابة جديدة ٠٠ انه نظام خمس سنوات شخصى ، اهتدى اليه هذا العطار الذكى ، قبل أن يخطر ذكر برامج السنوات الخمس ببال أهل السياسة !** ٠٠ وقد نفذ الحاج أمين برنامجه فى نظام تام،

وهاهو ذا فى الحلقة الثالثة من برنامجه ، يقيم مع «فتحية» ٠٠ الشابة الثالثة من شابات عمره المديد ٠٠ وهى فتاة فى الثالثة والعشرين ، تزوجته على رجاء أن تختصر من عمـره ماتيسر ، لترث منه ماتيسر أيضا !

كانت فتاة طيبه القلب ، نصيبهـا من الجمال كثـير ، ومن العافية أكثر ٠٠ ومن الفقر أكثر وأكثر !٠٠ وهذا الامر الاخير هو الذى رمى بها بين أحضان هذا الشيخ ٠٠

ولقد فرحت فتحية عندما طلبها الشيخ ٠٠ فرحت من كل قلبها ، وانتقلت الى « بيتها » مزهوة سـعيدة ٠٠ وأقبلت فى سذاجة ٠٠ ثم أخذت حقائق الحياة الزوجية تتكشف لها شيئا فشيئا ، وكان عليها أن تحل ما استطاعت حله منها ، بطريقتها الخاصة ، وبحسب ما تمليه عليها الظروف ٠٠

★ ★ ★

قلنا انه كان يوم قيظ شديد ٠٠

جلس الحاج امين فى ردهة بيته فى الطابق الثانى ، على كنبة عتيقة الى جوار النافذة وبيده مروحة من ريش الدجاج الملون ،



وقد فتح صدر جلبـابه الابيض وازاح طاقيته الى مؤخر رأسه ، فظهر شعره الاسود المخضوب ٠٠ وبدت قطـرات العـرق على جوانب وجهه ، فمضى يجففهـا بمنديل كبير فى يده ٠ كان الاجهاد الشديد يبدو فى وجهه من أثر الحـر ، وكانت لفحات النسيم تهب من صحن البيت فتمس وجهه دافئة تزيد النفس ضيقا ٠٠ وكان يسمع وقع خطوات زوجه الشابة فى الغرفة المجـاورة ،

تروح وتجيء كأنها تعمل عملا ٠٠ كانت تذهب الى النافذة وتطيل النظر منها ، وتتطلع الى آخر الزقاق ، علها ترى شيئا ، ثم تعود الى الغرفة ، وتمر - فى طريقها الى الباب - بمرآة الدولاب ، فتتوقف لحظة ، تشد خلالها ثوبها الضيق بعض الشيء على جسمها ، وتسوى شعرها ، وتجفف العرق السائل على خديها المحمرين من شدة الحر ٠٠ وصاح الحاج أمين :

- ألم يأت بعد ؟

فأقبلت ووقفت بباب الردهه وقالت :

- ليس بعد ٠٠ لا أدرى ماجرى له !

كان يسألها عن منصور السقاء الشاب ٠ اذ لم تكن فى البيت قطرة ماء ٠٠ فقد فرغ الزيران في المطبخ والحمام،وجفت القلل الثلاث ، وغدا البيت من غير ماء ! ٠٠ كان منصور يأتى دائما مع الظهر ٠٠ وها قد انقضت ساعتان بعدالظهر ولم يأت الرجل، والحر يتزايد ، والعطش يشتد ، والصبر ينفد !

وصاح الحاج أمين :

- راح فين الولد ده ؟٠٠ راح فين ؟ والله ماهو جايب ميه تانى هنا ٠٠ لازم أجيب واحد بداله ٠٠

ومرت سحابة من الروع بوجه الزوجة وبادرت تقول :

- دلوقت ييجى ٠٠ النهارده نار والناس كلها عايزه ميه ٠٠

- ناس مين ٠٠ فيه ناس أحسن منا ٠٠ فيه ناس اولى من الحاج أمين ٠٠ الحق على ٠٠ أنا اللى فتحت بيته وشغلته !

وكان القلق يأكل قلب الزوجة الشابة ٠٠ وكانت أشد شوقا الى رؤية هذا السقاء من زوجها !٠٠ لقد تعبت من النظر من النافذة واستكشاف الطريق ٠ وكانت تنظر الى زوجها الشيخ خلسة فترى شرر الغيظ فى عينيه ٠٠ كانت لاتستقر فى مكانها : من السلم الى النافذة ، ومن النافذة الى الحمام ،ومن الحمام الى غرفة النوم ، لتلقى نظرة عجلى على هيئتها ٠٠ ثم تعود الى النافذة ٠٠

وقال الحاج امين فى صوت يتجلى فيه ضعف الشيخوخة :
ـ ح أموت ياناس ٠٠ هلكت من الحر ٠٠ هلكت من العطش ٠٠
وفجأة صاحت فتحية :
ـ أهه ٠٠ أهو جاى ٠٠

★ ★ ★

وفاض الفرح فى كيانها ٠٠ وأسرعت الى غرفة النوم وألقت نظرة على هيئتها ، وشدت ثوبها على جسدها، ونظرت الى زوجها ضاحكة وقالت :
ـ أهو جه ياسيدى ٠٠ ماتزعلش !
واقتربت منه ، وجففت العرق من وجهه ، وقبلته ٠٠
وانفرجت أسارير الرجل ، وانبسط وجهه ، ونسى غضبه ٠٠ بينما أسرعت هى الى السلم تستقبل السقاء
ورأته صاعدا بحمله الثقيل من الماء على ظهره ، فابتسمت ٠٠
ورفع الشاب رأسه وابتسم ٠٠
وجعلت ترقبه يصعد درجة درجة ، حتى اذا أدرك الدرجة الاخيرة ، وصار قبالتها ، قالت بعتاب :
ـ كده ؟!
ونظر اليها الشاب طويلا ولم يجب ٠٠ ثم رفع صوته وقال :
ـ ياساتر ٠٠ ميه ٠٠
فصاح الحاج :
ـ تعال ياشيخ تعال ٠٠ تعال أحسن روحى قربت تطلع ٠٠
ودخل السقاء وهو يقول :
ـ ماتآخذنيش والله ياحاج ٠٠ الميه كانت مقطوعة ٠٠ اعمل ايه ٠٠ والله دى أول قربة اشيلها النهاردة وحياة الحسين ٠٠
فقال الحاج :
ـ يالله ٠٠ بس ٠٠ املا الزير ٠٠ واملالى القلة ٠٠ يالله قوام

وأسرعت فتحية الى الحمام لتساعد السقاء ٠٠ وملأ الزير الكبير ٠٠ وبقيت فضلة من الماء فملأ قلتين ٠٠ وحملت فتحية احداهما وأسرعت الى الشيخ ، فقال :

ـ هنا ٠٠ ضعيها على الشباك لتبرد ٠٠

وبحث السقاء عن طباشيرته فلم يجدها ، فتناول قطعة من جص الحائط وخط بها خطا ٠٠ وخرج متمهلا ، فقال له الحاج أمين :

ـ والقربة الثانية ٠٠

ـ العصر زى العادة ٠٠

وخرج ٠٠ وكانت فتحية قد سبقته الى السلم ، ووقفت وظهرها الى الحائط وقد تبدت هيئة جسدها الغض الجميل ٠٠ ونظر اليها منصور ، وفتل شاربيه ، ثم قال :

ـ الدنيا نار ٠٠ هلاك !

ولم تقل فتحية شيئا ٠٠ كانت شفتاها منفرجتين وقد تبدى فيهما عطش شديد ٠٠ وكانت عيناها نصف مغلقتين ، وقد تدلى شيء من الشعر الاسود على جبينها الاسمر ٠٠



ورفع الرجل يده وهو يبتسم ومر بكفه الخشن المبلل على ذراعها العارية

وبعد ثوان كانت الزوجة الشابة ، والسقاء الشاب فى الغرفة المسروقة بالطابق الأسفل من البيت ، وكانت فتحية تعتبرها غرفتها الخاصة ٠٠ اذ كان فيها بعض حاجاتها !

★ ★ ★

وكان الحاج أمين مشغولا اذ ذاك بأمر خطير ..

انتظر لحظـة حتى بردت القـلة بعض الشىء ، ثم نهض الى دولابه وأخرج مفتاحا وفتحه ، وتناول كوبا وضع فيه أربع قطع من السكر . انه يحتفظ بالسكر فى دولاب ملابسه ، لان تجاربه مع الزوجات الشابات علمته أن يحترس منهن فى هذه الناحية .. انهن شرهات الى السكر .. والحاج أمين رجل دقيق مدبر ..

ثم فتح الشيخ علبة صغيرة ، وأخرج منهـا حبـة فى حجم الحمصة .. انها دواء مجرب للكبد .. والكبد فى عرف الحاج أمين هو « بيت » الشباب ومصدر الحياة .. انه يتناول هـذه الحبة عصر كل يوم .. ثم يظل جالسا هادئا عشر دقائق ، حتى يصل مفعولها الى الكبد ومنه ـ فى رأى الحاج أمين ـ الى نخاع العظام !

وتناول الرجل اكسير الحياة .. ثم ظل مكانه ساكناً .. وانتبه بعد نحو ربع ساعة ، وتلفت حوله فراعه الصمت المخيم ، وتساءل : أين فتحية ؟ ثم هتف :

ـ فتحية .. فتحية ..

وانقضى نصف دقيقة دون أن يسمـع حركة .. ثم سـمع وسوسة من بعيد ، ثم صوت أقدام .. سمع أقداما تهبط السلم على عجل ، فنادى مرة أخرى :

ـ فتحية ..

وسمع وقع قدميها يرقى السلم نحوه .. ثم سكن كل شىء لحظة .. كانت بالباب تسوى من هيئتها .. وفى نفس الوقت كان وقع أقدام خفيفة يهبط السلم من بعيد ..

ونظر اليها الرجل طويلا ثم قال :

ـ أين كنت ؟

ـ كنت .. كنت أضع شيئا من الماء للبط !

وكان البط فى حوش البيت ..

واقتربت فتحيــة من النــافذة .. وفى هــذه اللحظة رأت « منصور » السقاء يخرج من البيت ويصلح من هندامـــه ، ثم يسير فى هدوء .. وتتبعته عينها وفيها ابتسامة هادئة ..

وأطال الحاج النظر اليها .. كانت هيئتها تعجبه بل تفتنه !

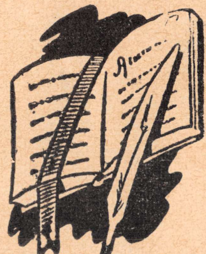
ثم قال :

ـ هل شربت ؟ اما كنت عطشى ؟!

فقالت فى شبه الهمس ، وهى ترى منصور السقاء ينحرف ويختفى فى حنية العطفة :

ـ شربت .. شربت خلاص !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص : ◆ أموك : لستيفان زفايج ◆ قلب عذراء : جون جالزورثى ◆ مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى ◆ التلميذ : بول بورجيه ◆ أحدب نوتردام : فيكتور هوجو ◆ جريمة حب : بول بورجيه ◆ جين اير : شارلوت برونتى ◆ أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون ◆ مانون ليسكو : الاب بريفو ◆ حديقة الله : روبرت هتشنز ◆ عندما تحقد المرأة : جورج أونيه ◆ آسيا : ايفان تورجنيف ◆ الحب الاول : تورجنيف ◆ تاييس : أناتول فرانس ◆ بلاد العميان : هـ . ج . ويلز ◆ نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون ◆ كوخ العم توم : هارييت بيتشر ستو ◆ الزوج والعشيق : سومرست موم ◆ البوهيمية : هنرى مرجيه ◆ فتاة لها ماض : بول بورجيه ◆ شيرى : كوليت ◆ الجريمة والعقاب : دستويفسكى ◆ لحن كرويتزر : تولستوى ◆ أميرة مصر : جورج ايبرز ◆ الامطار : سومرست موم ◆ افروديت : بيير لويس ◆ جيجى : كوليت ◆ الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه ◆ ليبوريللا : ستيفان زفايج ◆ كانديد ◆ اشجان فرتر ◆ فرانشسكا ◆ لوريت ◆ المعطف ◆ يوميات زوجة ◆ الافق المفقود ◆ النار الخالدة ◆ الوحل ◆ أبناء وعشاق ◆ « اليهودى التائه » ◆ « صباح الخير أيها الحزن » ◆ علاج الحب ◆ العانس ◆ « آدم بيد » ◆ وهاك اليوم « أحزان الشيطان » !



أحزان الشّيْطان!

القصة الخالدة للروائية العالمية "ماري كورللي"

تلخيص : محمد بدر الدين خليل

الكتاب الذى طبع ٣٢ مرة فى ١٤ شهرا !

◆ لم تكد الطبعة الاولى من « أحزان الشيطان » تظهر فى نوفمبر سنة ١٨٩٥ ، حتى أحدثت الرواية ضجة هائلة فى الاوساط الادبية وغير الادبية. فقد كانت فكرتها المبتكرة أقوى من أن تمر دون ضجيج !.. ولقد حاول بعض النقاد المتزمتين والمغرضين ، أن يرموا « مارى كوريللى » بالمروق والكفر ، ولكن حملتهم لم تستطع ان تقف أمام تيار اعجاب الرأى العام ، فاذا بالقصة تطبع عشر طبعات فى الستين يوما الاخيرة من سنة ١٨٩٥ ، ثم يعاد طبعها اثنتين وعشرين مرة خلال سنة ١٨٩٦ ، فكأنها طبعت اثنتين وثلاثين مرة فى أربعة عشر شهرا !.. وهو رقم قياسى فى تاريخ الادب العالمى ، قديمه وحديثه . واليوم ، وقد انقضى ستون عاما على ظهور الكتاب ، نجد ان عدد طبعاته - بالانجليزية وفى انجلترا وحدها - قد زاد على سبعين طبعة .. فضلا عن انه ترجم الى جميع اللغات الحية ، فقام دليلا ملموسا على عبقرية « مارى كوريللى » التى بلغ من سعة أفقها ، ان أقامت قصة - بكل مافى القصة من خيال وعواطف ومواقف وأحداث - على فكرة لم يسبقها اليها كاتب أو كاتبة. فالمعروف ان الشيطان أقسم - حين طرد من الجنة - ان يغوى بنى آدم، ماعاشت الارض.. ولكن أحدا لم يحاول ان يبحث عما اذا كان الشيطان يسعد حقا اذا ماتهالك انسان فى شباكه .. وهل هو يشقى حقا اذا قوى انسان على صده ومقاومته ؟!

فلنر كيف عالجت « مارى كوريللى » هذه الفكرة الطريفة ، دون أن تحيد عن ايمانها كما حاول بعض النقاد أن يتهموها !

◆ **أتعرف** مامعنى أن تكون فقيرا ؟ .. لا ذلك الفقر الذى يتشدق به بعض أناس يعيشون فى العام على خمسة آلاف أو ستة آلاف جنيه، ومع ذلك يقسمون فى تبجح على انهم لايعرفون كيف يدبرون أمور عيشهم ، وانما الفقر الحقيقى .. الفقر المدقع ، القاسى ، الفظيع ، المر ، التعس ؟.. هذا هو الذى أعنيه .. انه اللعنة الطاحنة التى تستبقى الالهام السامى تحت

أثقال الهم المقيت ٠٠ انه السرطان المعنــوى الذى ينهش قلب المخلوق الطيب النوايا ، فيجعله حسودا ، خبيثا ، هــداما !٠٠ ولقد طالما تساءلت : « لماذا ينعم الاشرار ويزدهرون كالشجرة الطيبة ؟! » ٠٠ على اننى أعتقد أن بوسعى اليوم ان أساعد على حل هذا اللغز فى ضوء تجربتى الخاصة ٠٠ ويالها من تجربة!٠٠ ولكن ، منذا الذى يصدق ان رجلا فانيا صادف مثل هذه التجربة الغريبة ، الرهيبة ؟٠٠ ولكنها صحيحة ، وأكثر صــدقا من أى صدق !

★ ★ ★

◆ **فى** ليلة اشتد بردها الى درجة جعلتها تقر فى اذهان أهل اوربا كلها ـ لا أهل الجزر البريطانية وحدها ـ كنت أنا «جوفرى تمبست » وحيدا فى لندن ، أكاد أموت جوعا ٠٠ ومن النادر ان يحظى الشخص الذى يتضور جوعا بالعطف الذى يستحقه ، لان من الصعب اقناع الناس بأن يصدقوه ٠ والمتخمون منهم هم أكثرهم تكذيبا ، واســترابة فى وجود مخلوقات جــوعى !٠٠ **أما أنا فقد عرفت فى تلك الفترة بالذات معنى الجوع ، وان كنت اليوم موضع الحسد !٠٠ عرفت الالم الناهش فى الامعاء ، والضعف الذى يذهب بالوعى ، والحيوان الذى يصرخ فى البطن ينشد مجرد القوت !٠٠** وكنت أشعر بأننى لا أستحق هــذا العذاب ، فقد كنت مجتهداً مذ مات أبى وخلفنى لاكتشف ان كل بنس فى ثروته من حق الدائنين ، فلم يتبق لى شىء من دارنا ، ولا ضيعتنا ٠٠ لم تتبق سوى صــورة لامى ـ التى ماتت وهى تضعنى ـ فى اطار صغير مرصع بالاحجار الكريمة !٠٠ وهكذا كنت مضطرا الى ان أعمل وأشقى ، فاستغللت تعليمى الجامعى فى الميدان الوحيد الذى لاح اننى أصلح له ٠٠ ألا وهو الادب ! وسعيت لدى كل صحيفة فى لندن أنشد عملا ، فرفضنى بعضها ، وقبلنى بعضها على سبيل التجربة ، ولكننى لم أتقاض من اى

منها مرتبا ثابتا ، اذ ان الذى يبغى ان يكسب عيشـه بعقله وقلمه،لايلاقى ـ فى البداية ـ سوى الاعراض والنبذ،والازدراء بانتاجه ورده اليه دون قراءة ٠٠ فهو لايلقى من العناية مايلقاه القاتل فى سجنه !

على اننى كنت من الشباب بحيث لا افارق الامل بسهولة ، بل كنت ارى أن عجلة الحظ لن تلبث أن ترفعنى بمصادفة ، فى يوم من الايام ، كما كانت تدوسنى وتسحقنى فى تلك الآونة ، فجعلتنى هذه الفكرة قادرا على ان أواصل العيش ٠٠ ورحت أكافح بعد ذلك فى سبيل الخبز ، بتقديم بعض القطع للصحف اليومية ، فى غير انتظام ، وبالحياة على وعود لم تتحقق ، فلم يأت شهر يناير حتى وجدت نفسى مع الجوع وجها لوجه ، وقد تأخرت شهرا عن دفع ايجار مسكنى ٠ وآخذت أهيم على وجهى طيلة النهار ، أطوف بادارات الصحف ، دون ان أحظى بعمل ٠ وحاولت ان أبيع أصول قصة من تأليفى ، كنت أراها صالحة للنشر ، ولكنى كنت أخفق دائما فى ان أحظى بناشر يقدرها !

★ ★ ★

◆ **وعدت** يوما الى مسكنى أحمل قصتى المرفوضة ، فاذا بصاحبة البيت تصادفنى على السلم ، وتسألنى أن أدفع الايجار فى اليوم التالى ٠ وكانت مؤدبة ، ولكن أدبها أثار كبريائى ، فوعدتها بشمم ٠ وما ان ولجت غرفتى حتى ألقيت بأصول القصة على الارض ، ورحت أسب وأصخب ٠٠ **ولكننى كنت عاجزا عن ان أذكر « الله » بخير أو شر ، لاننى ـ فى الواقع ـ لم أكن اذ ذاك أؤمن باله ، وكانت نفسى مدفوعة الى الضلال ، وعقلى مكبلا ، وجسمى منهارا بتأثير العوز ، وكل حالى ميئوسا منها !٠٠ كنت فى حال اذا قدر لملاكى الخير والشر ان يتراهنا على روحى ، فلن ينتظرا طويلا كى يعرفا نتيجة الرهان !٠٠ وكنت أعرف أنذالا جمعوا ثروات طائلة ، فى حين اننى جاهدت**

فی صبر وامانة دون ما جدوى !٠٠ وكانت الليلة قارسة البرد ، حتى لقد تيبست أصابعی ، فاقتربت من المصباح الزيتی الذی تكرمت علی به صاحبة البيت ، واذا بعينی تقعان علی ثلاث رسائل : رسالة فی مظروف أزرق طويل ، توحی بأنها تضم دعوة أو اعتذارا من صاحب عمل ، وأخرى فی مظروف يحمل خاتم بريد (ملبورن) ، والثالثة فی مظروف مربع ، سميك ، يحمل شعارا باللونين الاحمر والذهبی

وكانت رسالة (ملبورن) هی أول رسالة فضضتها ، اذ كنت قد كتبت منذ بضعة أشهر الی صديق هاجر الی هناك وعلمت انه قد أصاب حظا طيبا ، فجرؤت علی أن أسأله ان يقرضنی خمسين جنيها ٠٠ وتوقعت ان يضم جوابه رفضا ، اذ ما الذی يدعونی الی ان أتوقع ان يكون مختلفا عن غيره من البشر ؟٠٠ وكان المصباح سیء الاضاءة ، فاضطررت الی أن أسوی شريطه أولا ٠ ومن حجرة مجاورة ، كانت تنبعث أنغام كمان تعزف عليه يد ماهرة ٠٠ أنغام عذبة ، ارتاحت اليها نفسی ، اذ انها هدأت سورة الحيوان الذی كان ينهش بطنی طلبا للقوت!٠٠ وازدادت الانغام نعومة وحنانا ، بينما تسللت الی الحجرة نسمة باردة ، فارتجفت وأنا أفض الرسالة٠٠ واذا بها تضم اذنا مصرفيا بمبلغ خمسين جنيها ! ٠٠ وتسارعت دقات قلبی ، واختلط الارتياح بالعرفان بالجميل فی أعماقی ٠ وكانت ثمة رسالة من صديقی يعرب فيها عن أسفه لما ألاقيه من عنت الحظ ، ثم يردف قائلا: « سأقدم لك خيرا ٠٠ سأبعث اليك بصديق ، وهو صديق صادق ، وليس منافقا ٠٠ وتستطيع ان تعهد اليه بأعمالك الادبية ، فهو يعرف كل امریء تقريبا ، ويغشى جميع الاوساط الصحفيه ٠ ثم انه رجل خير ، فاضل ، ويؤثر بخيراته – بوجه خاص – المجتمع ورجال الدين ٠ وقد يبدو هذا غريبا ، ولكنه يعلله بأنه أوتی من المال مايحار فی أن يكتشف وجوها لانفاقه!٠٠ وان رجال الكنيسة الموقرين يبدون دائما استعدادا لارشاده

الى بعض هذه النواحى . وكذلك هو يسر دائما اذا ما اهتدى الى ناحية يستطيع فيها ـ بماله ونفوذه ـ ان يفيد الغير . ولقد ساعدنى فى الخلاص من مأزق عسير .. لقد حدثته عنك ، وهو رجل يستطيع أن يفعل مايحلو له ، اذ يرى ان الدنيا بأسرها ، وبمبادئها الخلقية وحضارتها وما الى ذلك ، انما تخضع لسلطان المال ، ونصيبه من المال لاحدود له .. فاستفد منه ، وهو على استعداد لان يفعل كل مايفيدك ! »

وضحكت حين وجدت ان « جون كارينجتون » ـ صديقى ـ قد وقع رسالته بالاسم الذى أطلقناه عليه أيام الجامعة : « بوفلز » ! .. وتنهدت الصعداء . فقد غدا بوسعى أن أفى لصاحبة البيت بوعدى غدا . وفضضت الرسالة الزرقاء ، وما ان ألقيت نظرة على ماتضمنته ، حتى ذهلت .. ورحت أعيد قراءتها دون أن أفقه شيئا ، ثم بدأت ومضات من المعنى تبرق فى ذهنى .. لا .. مستحيل .. ان الحظ لايمكن ان يجن بهذا الشكل .. لابد أنها خدعة أو دعابة ! .. **كانت الرسالة اخطارا من دار شهيرة للاعمال القانونية ، تنبئنى فيها بأن قريبا بعيدا من أهل أبى ، قد مات ، تاركا وراءه خمسة ملايين من الجنيهات.. أنا وارثها الوحيد ! .. خمسة ملايين ! أنا المتضور جوعا ، الذى لاصديق له ، ولا أمل ! .. ووجدتنى أصيح بصوت عال : « هل مست الحظ نوبة من الخبل ؟ .. من يتصور هذا ؟ .. ولى أنا دون الناس جميعا ؟! .. وفجأة ! .. ياللسماء ! .. ان بوسعى الآن أن أهز المجتمع باشارة من أصبعى ! »**

ورحت أقهقه بصوت صاخب ، فاذا بشخص يقهقه مثلى . وأخلدت الى الصمت مبهوتا ، أصيخ السمع ، فاذا المطر فى الخارج ينساب دافقا ، والريح تهب معولة ، وعازف الكمان فى الغرفة المجاورة لايزال يعزف . وخيل الى ان القهقهة التى سمعتها لم تكن غير وهم أوحته الى أعصابى المرهقة . ورحت أفكر فى هذه الثروة الطائلة .. كل شىء أصبح رهن اشارتى :

ألقاب ، مراتب شرفية ، ممتلكات ، بل حتى الصداقة والحب ٠٠ كلها أشياء تشترى بالمال !٠٠ وهممت بأن أغادر حجرتى ، واذا ببصرى يقع على الرسالة الثالثة ٠ وكانت انغام الكمان فى الحجرة المجاورة تزداد عنفا ٠ وفضضت الرسالة فاذا بها قد كتبت بخط بديع ، أنيق ، وحملت توقيع « الامير لوتشيو ريمانيز » ٠٠ نفس الصديق الذى وعدنى به « بوفلز » ، وقد وصل الى لندن ، فكتب يحدد موعدا يزورنى فيه٠٠ وكان الموعد فى تلك الليلة ذاتها ، وبعد نصف ساعة تقريبا ٠ ولست أدرى أى سحر ربط بصرى بذلك الخط الجميل الذى كتبت به الرسالة ٠ وكانت الريح تشتد عواء ، وأنغام الكمان فى الغرفة المجاورة تزداد عنفا ٠٠ وشعرت بعقلى وكأنما تحول الى قبضة من بخار ، وبقلبى وكأنما أثقله أسى مباغت ، وبأعصابى وقد اشتد بها التوتر !٠٠ وخيل الى ان ثمة من يرقب حركاتى ، وان شرا يوشك أن ينقض على ٠٠ ثم تذكرت حالى ، وثيابى الخلقة الزرية ، وموعد الامير الاجنبى ، فخجلت من أن ألقاه بهذه الحال ، وعولت على أن أتسلل من مسكنى قبل وصوله ٠٠ وفى تلك الاثناء ، انطفأ المصباح ، وادلهم الظلام حولى !

★ ★ ★

◆ **وما** لبث باب الغرفة ان فتح ، اذ جاءت صاحبة البيت تعلن مقدم الزائر ٠ وانكمشت فى الظلام حابسا أنفاسى كى تظن انى غير موجود !٠٠ وأخذت تنادينى المرة تلو المرة ، حتى منعنى الخجل من أن أمضى فى الاستخفاء ٠ وما ان أجبت ، حتى أقبل من خلف المرأة شخص مهيب القامة ، فبادرت أعتذر له بأننى أشفقت من استقباله على هذا النحو ، ورحت أشرح له كيف انطفأ المصباح ، وساد الظلام ، حتى اننى لا أكاد أتبين يده كى أصافحه ٠٠ فهتف فى لهجة رقيقة أضفت على كلماته سحرا : « لنجرب ٠٠ هاك يدى ، فاذا كانت يدك تكن أى ود ، فسوف تلتقى اليدان فى الظلام ، ودون ارشاد! » ٠٠ **وبسطت**

يدى على الفور ، فاذا بقبضة دافئة تمسك بها في شيء من السيطرة والنفوذ ! وفى تلك اللحظة ، أقبلت ربة البيت تحمل خير مصابيحها ٠٠ **وذهلت لمنظر زائرى : كان أطول منى قامة ، مع اننى أعتبر طويلا ٠٠ وخيل الى اننى لم أر قط مثل جماله ومخايل الذكاء التى كانت تتبدى على أساريره ٠ وكان رأسه البديع ينم فى الوقت ذاته عن سلطان وحكمة ٠ أما وجهه فكان بيضاويا فى اتساق بديع ، وكان شحوبه المفرط يزيد من تألق عينيه السوداوين اللتين اختلط فى مقلتيهما الفرح بالاسى ، بشكل عجيب !٠٠ وكان فمه أكثر قسماته تعبيرا ٠٠ كان فما بديع الشكل ، ولكنه صيغ بحيث يتجلى فيه العزم والصلابة ، فاذا استرخت عضلاته ، نم عن أنفة وصرامة ، بل وقسوة !٠٠ أما اذا ابتسم ، فانه كان أكثر من أى شيء فى الدنيا تعبيرا عن العواطف !٠٠** وقال الرجل اذ رآنى أقلب البصر فى الحجرة العارية الباردة : « أرانى جئت فى ظرف غير مناسب ٠٠ هكذا أنا دائما لسوء الحظ ، فحاول ان تغفر لى ! »

وقدم الى رسالة من صديقى ، الذى كان يعرفنى فيها بالامير ، فقلت : « أرجو المعذرة لما تجلى على من دهشة وذهول٠٠فالواقع اننى توقعت أن تكون كهلا ياسيدى الامير! » ٠٠فقال :«لايوجد فى أيامنا كهول ياسيدى٠٠بل ان الحديث عن السن فى مجتمعنا يعتبر خارجا عن أصول الادب ٠ ومع ذلك ، فما أظنك تتصور حقيقة عمرى ! ٠٠ ان مظهرى لاينم عن سنى ! »

وكان « كارينجتون » يقول فى رسالته ان الامير ينحدر من نسل أمراء (كلدانيا) و (صور) ، وانه عاش حياته بعيدا عن موطنه لظروف لاسلطان له عليها ، وانه طاف الدنيا بأسرها تقريبا،وأوتى براعة فذة فى قرض الشعر ، وعزف الموسيقى ، كما انه واسع الاطلاع فى الآداب والعلوم ٠ وعدت أعتذر للامير عما اضطرنى اليه فقرى من تقصير فى استقباله ، فهتف : **« ما الذى يخجلك ؟٠٠ ان العبقرية تنمو وتتفتح فى أحقر**

الاكواخ ، ولكنها تموت فى أفخم القصور !» ٠٠ فقلت : « هذا خطأ قديم ٠٠ ان العبقرية تهفو الى ان تجرب القصور مرة ٠٠ فهى عادة تموت جوعا ! »

ـ هذا صحيح ، ولكن كم من الحمقى يتغذون على العبقرية فى موتها بهذا الشكل !٠٠ لقد مات « شوبير » وهو معوز ، ولكن تأمل المكاسب الهائلة التى جناها ناشرو الالحان من نشر ألحانه !٠٠ انه توزيع بديع من صنع الطبيعة ٠٠ ان يذهب الامناء ضحايا ليوفروا العيش للئام المجردين من المواهب !

وعجبت ، اذ وجدت آراءه تقرب من الافكار التى كانت تدور فى رأسى ٠٠ وقلت له : « لابد أنك تسخر ياسيدى » ، فقال وقد انبعث من عينيه وميض قوى : « اذا لم أكن مؤمنا بالتعاليم التى خرجت بها من تجاربى ، فبماذا أومن اذن ؟ ٠٠ إننى أدرك دائما صدق الحكمة القديمة: «للضرورة أحكام ، مادام الشيطان هو الذى يسوق القافلة » ! ٠٠ ان الشيطان يسوق الدنيا بالسوط ، ومن العجيب انه يسوس فريقه بسهولة ، بالرغم من آراء الذين يؤمنون بأن هناك الها »

ودعانى الامير لتناول العشاء معه فى فندقه ، فلما أشرت الى ان مظهرى لم يكن لائقا فى تلك الليلة ، ووعدت بأن ألبى الدعوة بمجرد تسلم ميراثى ، قال : « ان هذه الثروة التى تغتبط بها تبدو فى نظرى تافهة ، وهى خليقة بأن تنفد فى ثمانى سنوات أو أقل ! ان الثروة التى تتيح ضمانا ضد الهم، تتمثل فى أن يكون للمرء دخل لايقل عن مليون جنيه فى السنة ! **٠٠ ان جشع الانسان لاينضب ياسيدى العزيز ، وهو اذا مانال أمنية ، اتجه الى أخرى ، وما أغلى ثمن مايهفو اليه !٠٠ ان أية حسناء بارعة تستطيع ان تخلصك سريعا من ملايينك الخمسة ٠٠ وسباق الخيل وسيلة أسرع لتبديد الثروة ٠٠ لا ، لا ، انك لست غنيا ، بل أنت مازلت فقيرا ٠٠ كل ماهنالك ان حاجاتك لم تعد ماسة ! »** ٠٠ وعاد الى الحديث عن مظهرى ، فقال: «انك

فى خير مظهر ، اذ ليس يعنى بالثياب سوى الفقير ، والمغرور ، والنساء الطائشات ٠٠ وكم من سترة غير دقيقه الصنعة تزين ظهر رئيس لوزارة ! »

ونهض فلف عباءته الحريرية حوله قائلا : « ماقيمة السترة اذا كان الكيس متخما ؟!٠٠ فما أن تنشر الصحف انك مليونير، حتى تجد حائكا شهيرا يبادر الى ابتكار طراز على نسق ثيابك الحالية ، ويسميه « موضة تمبست » ! ٠٠ وبهذه المناسبة ، أرجو أن توليني هذا الشرف البسيط ٠٠ وهو ان أكون ممولا لك الى أن تنتهى الاجراءات القانونية وتتسلم ثروتك » ٠٠ وكانت لهجته الودية الصادقة خير مشجع لى على قبول اقتراحه، فدسست فى جيب معطفى أصول القصة المرفوضة ، وغادرت المسكن التعس ، الى الابد!٠٠وفيما كنت أجتاز الباب الخارجى مع زميلى ، أرسل عازف الكمان المجهول فى أثرنا أنغاما نائحة، معولة ، كأنها صرخات الوداع !

* * *

• **وكانت** عربة الامير فى الخارج ، يجرها جوادان أسودان أصيلان، فما ان جلست فيها ، حتى غرقت فى الحشيات الوثيرة ٠ وتنازعنى الشعور بالجوع والهناءة ، والعربة تنطلق بنا فى الطرقات ٠ وسألنى زميلى وعلى شفتيه ابتسامة اختلط فيها الخبث بالسخرية : « **ألا تشعر بالدنيا عند قدميك ككرة ترتقب أن تركلها ؟٠٠ انها دنيا سخيفة ، حمقاء ، تفضل العبث على الحكمة ! ولهذا تجدنى أسيطر على مملكة واسعة ٠٠ أعنى اننى أحكم حيثما يطيع الناس نفوذ المال !** » ٠٠ فقلت : « أراك متشائما ، ساخرا ٠ ألا تقر بأن فى الدنيا أشياء لايمكن ان تشترى بالمال ، كالشرف والفضيلة ؟ » ٠٠ وتأملنى لحظة وعلى شفتيه ابتسامة مستهترة ، ثم قال : « **أظن ان للشرف والفضيلة وجودا ، ولكن تجاربى علمتنى أن بوسعى دائما أن أشترى كل**

شیء ٠ ان مايسميه معظم الناس شرفا وفضيلة ليسا سوى وهمين سريعی التقلب ، ولو انك دفعت ثمنا كافيا لانقلبا الى رشوة وفساد ، فی لمح البصر !٠٠ فاذا شئت أن أحدثك عن نفسی ، فاننی أمير انحدر من سلالة لاتستطيع أعرق أسراتكم أن تنافسها حسبا وأصلا ، ولكن مملكتی تحطمت منذ زمن بعيد ، وتفرق رعاياى فی كافة الامم !٠٠ على ان لی من الثراء نصيبا وافرا ، مما يمكننی من أن أمهد طريقی الى كل غاية ٠ ولسوف تعرف يوما سيرتی عندما تتوثق صلاتك بی ٠٠ ان لی أسماء والقابا عديدة ، ولكننی أوثر عليها هذا الاسم البسيط ، كما ان أصدقائی الحميمين ينادوننی باسم « لوتشيو ! »

واستقبلنا لدى باب الفندق شخص جليل المظهر ، فی ثياب سوداء ، عرفت انه التابع الخاص للامير ٠٠ وقد عهد اليه زميلی بأن يستأجر لی حجرة من أفخم حجرات الفندق ٠ وكان الامير يشغل جناحا كاملا ، فتناولنا عشاءنا فی غرفة خاصة منه ، وقام التابع الخاص بدور رئيس الخدم ، فاستطعت ان أتبين وجهه جليا ، واذا به شديد السمرة ، تحمل أساريره مايوحی بالشر والخبث !٠٠ ولكننی سرعان ماعاتبت نفسی على تسرعها فی الحكم على الرجل ، الذى كان يدعى « آمييل »

وسألنی صديقی عما اذا كنت سأواصل جهودى الادبية ، فأكدت له ذلك ٠٠ ولكنه سألنی : « **ألا تظن ان الالهام قد لاينساب من كيس متخم ورأس فارغ ؟٠٠ لاتغضب !٠٠ اننی أعتقد ـ مما سمعته ـ ان رأسك ملیء بالافكار ٠٠ الافكار الرائعة ، المبتكرة ، ولكن المسألة هی : هل ستستمر هذه الافكار فی النمو والتوالد اذا ما امتلأ كيس نقودك ؟! فالسائد ان الالهام يأتی من أعلى ، والنقود من أسفل ٠٠وكثيرا مايحدث ، عندما تهبط النقود على صاحب الالهام ، أن يفارقه الله ، ليحل الشيطان محله !** » ٠٠ فقلت : « اننی أعتقد ان المال هو الضرورة اللازمة لصاحب الالهام كی يصل الى القمة! » ٠٠ولكن صديقی

قال والجد يسيطر على ملامحه : « ما أظنك تمارى فى أن الشىء الذى يأتى من التراب ، ينحو دائما نحو التراب ٠٠ والذهب يستخرج من جوف الارض، أما العبقرية ، فلا يدرى أحد مأتاها، ولكنك لاتحفر الارض للوصول اليها ، لانها شىء علوى ! ٠٠لقد ألفت أنت كتابا ، فانشره وانظر النتيجة ، لو انك وفقت فى أن تحدث ضجة ! »

* * *

◆ وسألنى عن موضوع الكتاب ، فقلت انه قصة ترقى بنفوس القراء وتطهر أفكارهم ، واذ ذاك قال : « **أؤكد لك انه انه لايصلح لهذا العصر ٠٠ انه قد يروج اذا انت دعوت النقاد الى عشاء فاخر وشراب جيد !٠٠ أما اذا شئت ان ينجح من تلقاء نفسه ، فيجب ان يكون فاضحا ٠٠ أن يدور حول المسائل الجنسية ، وتصوير الرجال والنساء كحيوانات لا هم لها فى الحياة الا الانتاج ٠ فاذ ذاك ، لن يوجد بين النقاد من لايصفق له ٠٠ ولن تجد فتاة فى الخامسة عشرة لاتخلو اليه فى خدر العذراء لتلتهم صفحاته !٠٠ ان الناس لايريدون لافكارهم أن تسمو وتتطهر بالروايات التى يقرأونها للتسلية ! » ٠٠**
فقلت : « لو لم تكن صبوحا ، لظننتك جاحد القلب ٠٠ ثم ، ألست تفعل الخير دائما ؟ » ٠٠ فهتف مبتسما : « أجل ، اننى أعمل دائبا لارضاء شهوات الانسان !٠٠ والشىء الذى يبدو واضحا لى ، هو أن احدا منهم لايسعى لان يقطع صلته بى٠ثم ، منذا الذى يضع الحد الفاصل بين الفضيلة والرذيلة ؟٠٠ لقد كان للنبى ابراهيم ثلاث زوجات وعدد من المحظيات ، ومعذلك فقد كان الفضيلة مجسمة ، ولو انه كان يعيش فى لندن اليوم لاعتبر بغيضا ! »

وكان رأسى قد أثقل ، فلم أحاول الجدل ، بل أبديت رغبة فى أن آوى الى فراشى ، ومن ثم نادى « آمييل » ، فعلم منه انه احتجز لى غرفة فى مواجهة جناحه الخاص ٠ واذ استأذنت

مضيفى ، بعد انصراف التابع ، أمسك بيدى ، وتفرس فى برهة ، ثم قال : « اننى أحبك ياجوفرى تمبست ، وبما اننى أرى فيك شيئا أسمى من مجرد الوحش الدنيوى الارضى ، لذلك سأعرض عليك ماقد تعتبره اقتراحا غريبا ٠٠ ذلك هو : اذا لم تكن قد أحببتنى ، فقلها من الآن ولنفترق ، وسأحرص على أن لا أعترض طريقك آلا اذا بحثت أنت عنى ٠ اما اذا كنت تحبنى ، فعدنى بأن تكون صديقا وزميلا لى لبضعة شهور – على الاقل – وسأصحبك الى خير المجتمعات ، وأعرفك بأجمل نساء أوربا وألمع رجالها ٠ اننى أقسم لك مخلصا أننى غير ما أبدو لناظريك ! »

ولم أكن فى حاجة الى ان أفكر ، فوعدته بأن لا أكون البادىء بفصم عرى صداقتنا ٠ واذ حدثنى عمن سيعرفنى بهن من نساء ، تنبأ بأننى قد أقع فى هوى بعضهن ، فقلت : « اننى لم أجد بعد المرأة التى تتفق وأحلامى ! » ، فذكرنى بأننى لست من الجمال بحيث أتدلل وأترفع ٠ واذ ذاك صحت : « هذا لايهم ٠٠ آن للرجل ان يختار زوجته كما يختار أصائل الجياد! » ٠٠ فقال وعيناه تومضان : « والمرأة ؟ » ٠٠ فأجبت : « ليس لها حق الاختيار ٠٠ ان الرجل هو الرجل دائما ، والمرأة تابعة له ، فليس لها أن ترجو اعجابه ، واقباله على أن يعولها ، مالم تكن جميلة ! » ٠٠ واذ ذاك صاح بجد : « **حقا ! ٠٠ اننى شخصيا لا أحبذ الآراء الجديدة ، فالمرأة مجرد انثى للرجل ، وليست لها نفس سوى تلك التى تكتمل بنفسه ٠٠ ولعل من الغريب انها – على نقصها – توقع كثيرا من الشر بالدنيا ، وتقلب خطط أحكم الملوك والوزراء ، رغم انهم رجال ، وكان خليقا بهم أن يتسلطوا عليها ! »**

ثم قادنى « آميل » الى غرفة فخمة ، وثيرة الرياش ٠ ووجدتنى أفكر فى الأحداث التى تتابعت فى يومى ، وفى الامير وآرائه ، فهتفت : « جوفرى تمبست : ان الدنيا أمامك ، وأنت

شاب موفور الصحة ، مليح المظهر ، واسع العقل .. ولك الى جانب ذلك خمسة ملايين من الجنيهات ، وصديق أمير مثر .. لم يعد ينقصك سوى الشهرة ، والشهرة تبتاع بالمال ! » ..
واستلقيت على السرير الناعم ، وفيما كنت أستسلم للنعاس ، خيل الى اننى أسمع الامير ينادى « آمييل » بصوت كعويل الريح الثائرة ، وشعرت بأن ثمة من يقترب من فراشى ويتفرس فى وجهى ، فهببت من مرقدى مذعورا ، وأضأت النور .. ولكنى لم أر فى الحجرة مايريب . ومع ذلك ، ففيما كان النعاس يغشانى ، عاد خيالى يصور لى ان الامير كان يقف على مقربة وهو يهمس بصوت كالفحيح : « هدوءا ! .. لاتزعجه ! .. دع الاحمق فى نعاسه ! »

★ ★ ★

◆ **ما** ان عرف الامير في الصباح التالى اننى أعتزم الذهاب الى الدار القانونية التى أخطرتنى بميراثى ، حتى دفع الى بحافظة فيها خمسمائة جنيه ، لاستعين بها على ان لايلاحظ الموكلون بأمر الميراث اننى كنت على شفا الموت جوعا !

واستقبلت فى الدار باحترام . وما لبثت ان عرفت ان قريبى رآني مرة وانا بين يدى المرضعه ، بعد موت أمى ، فظلت ذكراى ماثلة فى ذهنه وقلبه ، وأوصى لى بكل ثروته ، وبمجموعات من اللوحات الفنية النادرة ، والجواهر والتحف .. وقال لى مستر بنشام ، مدير الدار : « ان هذا الميراث الضخم بالنسبة لشخص فى مثل سنك ، اما أن يكون خيرا عظيما ، واما ان يكون لعنة كبرى ! فان امتلاك مثل هذه الثروة الهائلة ينطوى على مسئوليات جسام » . فقلت : « كثير من الناس يتقبلون مثل هذه المسئوليات باغتباط ، ويرحبون بأن يحلوا محلى .. فأنت مثلا ... » .. ولكنه قاطعنى قائلا : « لا .. ما أظننى أقبل عن مركزى بديلا ، فان عقلى كنز ، يجلب لى ما أعيش عليه ! » .. وهنا تدخل

شريكه مستر « ايليس » قائلا : « اننا نرى فى مهنتنا كثيرا من حالات الارتفاع ومن حالات الانخفاض فى الحياة ، ومن ثم فنحن نتلقى دروسا مستمرة فى القناعه ! » .. ثم التفت الى شريكه، وقال : « هل نخبره يابنثام ؟ » .. وبعد تردد وتلعثم قال لى : « **الواقع ان قريبك .. انه .. بالايجاز ، باع نفسه للشيطان، وهذه الثروه الطائلة هى ثمرة الصفقة !!** » .. وانفجرت مقهقها ، ولكنهما أكدا لى صدق قولهما

وفيما كنت منصرفا ، التقيت بالناشر الذى رفض قصتى فى اليوم السابق ، فما ان عرف اننى سأنشر القصة على نفقتى بعد ان أصبحت مليونيرا، حتى هتف مبهوتا: «رحماك يا الهى! .. كأنه حلم ! » .. ووعدته بأن أدفع نفقات النشر على ان يضع اسمه على الكتاب كناشر ، ورحت أتحدث عن الدعاية التى سأشنها ، وعن التدابير التى سأتخذها مع الصحف بفضل أموالى ، فاذا به يستمهلنى يوما ليفكر فى أن يقبل ان يكون ناشر الروايه . وما ان أمليته عنوانى فى «جراند هوتيل» حتى ذهل ! .. وظل مسمرا فى مكانه، يحملق ورائى بعد ان غادرته. وعرجت فى طريقى على متجر للثياب ، فابتعت بعض الملابس الجاهزة ، كما قصدت الى حائك مشهور فطلبت كمية كبيرة من الثياب ، وأرسلت الى صاحبة مسكنى القديم ماكنت مدينا لها به

ولما عدت الى الفندق ، علمت ان الامير فى انتظارى . ووجدته فى حجرة الجلوس الفخمه ــ بجناحه الخاص ــ وحيدا ، وقد وقف الى جوار كبرى نوافذ الحجرة ، ممسكا بعلبة مستطيلة الشكل من البلور ، يتأمل مافيها بشغف . فلما سألته عما كان بها ، قال : « انها حبيبة مدللة .. هل رأيت أبدع منها ! » .. وكانت هذه الحبيبة العزيزة حشرة ملونة ذات جناحين لامعين يجمعان ألوان قوس قزح ! .. واراد الامير ان يرينى ذكاءها ، فأطلقها فى الحجرة وأمرها بأن ترتد اليه ، فرجعت وهو يقول

لى : « هناك قول مأثور مؤداه اننا فى موت وسط الحياة ٠٠ ولكن العكس هو الاصح ٠٠ ففى وسط الموت نكون فى حياة !٠٠ وهذه المخلوقة النادرة هى من أبدع منتجات الموت ! فقد وجدتها فى صندوق مومياء اميرة مصرية ، وسط فراغ انجاب عنه اللحم فى صدر المومياء ! » ٠٠ واذ أبديت اشفاقى ونصحته بأن يقتلها قال : « انها فى نظرى برهان لايقدر بمال على عدم فناء الكيان الواعى ، فان لها عينين ، وشما ، وذوقا ، ولمسا ، وسمعا ، وقد اكتسبت هذه الحواس بذكائها من جسد امرأة ميتة ، كانت من قبل على قيد الحياة ، ولا بد انها أحبت ، وأثمت ، وتعذبت ، منذ أكثر من أربعة آلاف عام !٠٠ ان بى ميلا الى الخيال المتطرف ، والى الايمان بتناسخ الارواح ، ولذلك يحلو لى أحيانا ان أفكر فى ان الاميرة المصرية كانت خبيثة ، ماكرة ! » ٠٠ واقشعر بدنى ، وهو يمضى متحدثا عن الحشرة كما لو كانت الاميرة بعينها ، زاعما ان الحشرة اذ تغذت على جسد الاميرة ، أخذت عنها بعض صفاتها وشخصيتها ٠٠ فليس من شىء يفنى تماما ٠٠ حتى الفكر !

* * *

◆ **وحدثته** أثناء الغداء عما جرى بينى وبين الناشر ، فقال : « لاعجب فى تصرفه ، فكل شىء يمكن أن يشترى بالمال ٠٠ حتى الملك نفسه !٠٠ **ولا شىء فى الحياة يمنح دون مقابل سوى الماء والهواء ، أما ماعداهما فلا بد من أن يشترى بالدم والدموع والانين أحيانا ٠٠ وبالمال فى معظم الاحوال !** » ٠٠ وقفز من مكانه فجأة وقد جرفه حماس غاضب ، وصاح وهو يطوح بسيجاره بعيدا : « لماذا لاتمطر سماء هذه المدينة اللعينة نارا وحمما ٠٠ انها أهل للعقاب ٠٠ انها تكتظ بقوم يستحقون عذاب الجحيم الذى يقال ان الكذبة والمنافقين يلقون فيه ؟ ٠٠ فاذا كنت أبغض مخلوقا اكثر مما عداه ياتمبست ، فانما أبغض

الرجل الذی یخفی رذائله وراء ستار من سعه الافق والفضیلة. ان مثل هذا الرجل قد لایتورع عن ان یصف ضیاع عفة المرأة بـ « الطهر » ، لانه یعرف ان لاسبیل الى اشباع شهواته الحیوانیة الا باتلاف أخلاقها وجسدها !.. اننی لا أتورع عن ان أجهر بأننی فاسد ، بدلا من ان آستر فسادی وراء مظهر زائف ! .. آجل ، قد أکون حیوانا ، ولکننی أمین ، وأحبذ فی الوحوش أمانتها : فالاسد لاینتحل وداعة الحمامه .. والحیة ترسل فحیحا قبل ان تلدغ . **أما الانسان ، فهو أکثر شرا من الاسد ، وأشد غدرا من الحیة .. انه یصافح زمیله فی ود ، ولا یتورع بعد ساعة عن ان یغتابه من وراء ظهره .. انه یخفی غشه وأنانیته وراء قناع من الابتسام .. انه یسخر من نظام الکون ، ویجدف علی الله ، وهو علی قید شعرة من قبره !..** ماذا یکون رأیك یاتمبست لو اننی قلت لك اننی زمیل خطر ، واننی أحب الشر اکثر من حبی للخیر ؟ »

ـ أقول انك مغرم بالحط من شأن نفسك .. فأنت لست وغدا !

ـ هذا حق .. ولکن فی الکثیر من روح الشیطان .. هل تؤمن به ؟ .. انه شخصیة خیالیة ساحرة ، یدور حولها کثیر من القصص الطریفة التی تصور هبوطه من السماء ، وتزعم انه کان مخلوقا من نور ، یرأس الملائکة ، ویقف الى یمین العرش الالهی .. ثم رأى فی النطفة البشریه عالما جدیدا لن یلبث ان یتطور ، ویغدو أکثر أثرة لدى الخالق من الملائکة ، فسخط ، وانقلب على مولى الکون، وأقسم لیحطمن هذا الانسان الناشیء.. فقبل الرب التحدی ، وأرسله الى الارض مع من انضم الیه من الملائکة ، قائلا : « **لاتعودوا حتی یعتقکم الانسان نفسه ! فکل انسان یغتر بکم سیقیم حائلا جدیدا بینکم وبین السماء ، وکل انسان یتمرد علیکم من تلقاء نفسه ویغلبکم یقربکم من السماء درجة !.. وعندما تنبذکم الدنیا ، أعفو عنکم !** » .. ولا بد

ان المسافة تزداد بعدا بين الشيطان والسماء فى هذه الايام ، لان الانسان لايساعده على اصلاح خطأه !٠٠ ان الانسان أسرع تخليا عن الله منه عن الشيطان ٠٠ فتصور اذن مدى كراهية الشيطان ، أو ابليس ، او سمه ماشئت ، للانسان !

ـ لم أسمع القصة بهذه الصيغة ٠٠ ومع ذلك فلا تزال أمام الشيطان وسيلة ٠٠ تلك هى ان لايحاول غواية أحد !

ـ أنسيت أنه أقسم للرب على ان يقضى علىالانسان ، فوجب عليه أن يبر بالقسم ؟

وتحول بعد ذلك الى الحديث عن كتابى ، فنصحنى أولا بالسعى لنشر اسمى فى الصحف كمليونير ، عن طريق وكالة خاصة للدعاية التى من هذا القبيل ٠٠ ثم أشق لنفسى طريقا الى المجتمعات الراقية وحفلاتها ، وملاهيها ٠٠ واستطرد قائلا : « واننى لاوصى بالحاح بأن تكسب سباق الديربى »٠٠فحملقت فيه بدهشة ، واذ ذاك قال : « اذا شئت ان تكسبه ، فسوف تكسبه ٠٠ سأضمن لك الحصان والجوكى ! » ٠٠ وأذهلتنى لهجته الجازمة ، فملت نحوه قائلا : « أأنت من أصحاب المعجزات ؟ » ٠٠ ولكنه اكتفى بأن قال : « جربنى ! ٠٠ هل أدرج جوادا باسمك فى السباق ؟ »

ـ ولكن الوقت تأخر ، ولن تستطيع هذا الا اذا كنت الشيطان نفسه ٠٠ ثم أننى لا أميل الى السباق

ـ اذن يجب ان تعدل اذواقك وميولك !٠٠ لسوف تحدث أكبر ضجة ادبية فى الموسم اذا انت كسبت الديربى ٠ وعليك بعد ذلك ان تشترك فى سباق اليخوت ، وان تدع يخت ولى العهد ـ أمير ويلز ـ يسبقك بمسافة بسيطة ، وأقم بعد ذلك مأدبة فخمة يدعى اليها امير ويلز ، فلا تلبث ان تدعى الى حفلة ملكية أو اثنتين ٠٠ وفى الصيف اذهب الى (همبورج) لتشرب من مياهها المعدنية ، سواء أكنت محتاجا اليها أو لم تكن !٠٠ وفى الخريف ، ادع طائفة من علية القوم للصيد والقنص فى

الضيعة التى ستبتاعها ، وليكن بينهم بعض أفراد الاسرة المالكة ٠٠ واذ ذاك يلمع اسمك ، وتستطيع ان تتزوج من آية سيدة حسناء من الطبقة الراقية ٠ هذا هو دستور النجاح الاجتماعى ، وليس للذكاء أو المواهب حساب فيه ٠٠ ولا تنس ان علية القوم سيسعدهم اذ ذاك ان يقترضوا منك !

ـ ولكننى لن أقرض احدا ٠٠ ولن أمنح أحدا !

فأبرقت عيناه تحبيذا وقال : « **انك حكيم ٠٠ انفق على نفسك ، لان الانفاق ذاته سيعود بالنفع على الغير ٠ أما أنا فقد اعتدت ان أسجل اسمى فى قوائم المكتتبين للاعمال الخيرية ٠٠ وان أساعد بعض رجال الدين ، اذ ان كثيرا منهم يعملون دائبين للقضاء على الدين بالرياء ، والتملق ، والاغراق فى الملذات ، وكافة الرذائل !** » ٠٠ وأقبل « آميبل » فى تلك اللحظة يحمل برقية من الناشر يعلن فيها قبوله نشر الكتاب،ويطلب الاصول٠ وأطلعت صديقى على البرقية مزهوا ، فقال مبتسما : « كان خليقا به ان يصوغ برقيته بهذا الشكل : « قبلت النقود لنشر الكتاب » ٠٠ وما الذى تنوى عمله ؟ » ٠٠ فقلت : « سأبادر الى اتخاذ ماينبغى ، اذ لابد من التعجيل بنشر الكتاب ، أما بقية المسائل ٠٠٠ » ، فقاطعنى قائلا : « دعها لى ! »

★ ★ ★

◆ **وعشت** لثلاثة أسابيع أو أربعة فى دوامة لم أكد أعرف فى نهايتها نفسى ٠٠ فقد تغيرت تغيرا تاما ٠ وكنت كلما برح بى الشقاء ، فى الماضى ، أستمد من الحرمان جمالا ، ومن الوحدة لذة ٠ أما الآن ، فقد أخلدت هذه الموهبة الخلاقة المبتكرة الى النعاس ٠ كذلك لم أعد أعمل أو أفكر الا قليلا ٠ على ان كتابى لم يلبث ان صار تحت الطبع ، فكنت أجد لذة فى مراجعته ، ولكن هذه اللذة لم تخل من أسى ، اذ لاحظت ان الكتاب اشتمل على آراء ونظريات لم أكن ـ أنا شخصيا ـ أومن بها ٠ ورحت

أفكر فى حيرة : كيف سجل قلمى ـ سواء عن قصد أو دون أن يفطن ـ أمورا كان عقلى ينكرها ؟! ٠٠ وفيما كنت أراجع بعض الصفحات الاخيرة،انتهيت الى انالكتاب كان أسمى منكاتبه!٠٠ واذ لاحظ صديقى الامير « ريمانيز » أساى ، قال : « انامتلاك خمسة ملايين كفيل بأن يغير اى انسان تغييرا كبيرا ٠٠ ثم انك لاتجد مؤلفا واحدا فى كل عدة قرون يكتب معبرا عما يعتمل فى صميم قلبه ، فى تصوير صادق وكما يشعر به ٠ ان كل عصر من العصور لابد ان يمر تحت سيطرة حب المال : فالفن يخضع لحب المال ، وكذلك الادب ، والسياسة ، بل والدين٠٠ وانت لاتملك ان تنجو من هذا الوباء العـــام !٠٠ ثم انك اذا شئت أن تكتب بشعور عارم ، فلا بد لك أولا من ان تشعر ٠٠ ولا بد انك ـ عندما كتبت ماجاء فى الكتاب ـ كنت مرهف الشعور ، مشبوب الاحاسيس ، لانك كنت اذ ذاك فقـيرا ، منبوذا ٠٠ **أما الآن ، فبماذا تشعر ؟٠٠هناك مئات من البؤساء يتضورون جوعا ٠٠ وكم من رجال ونساء على شفا الانتحار لانهم فقدوا الامل ، فبمـاذا تشـعر نحوهم ؟٠٠ هـل انت متـأثر لاحزانهم ؟٠٠ ان من أهـم ميزات الثراء ، انه يمكننـا من ان نصد تعاسات الناس عن اعتباراتنا الشخصية !** »

ودعانى الى قضاء السهرة فى مسرح ٠ وبدا ، اذ اتخذ أهبته للخروج ، فائق الجمـال ، يسمو حسـنه فوق مسـتوى أهل الارض !٠٠ ووعدنى بأن يعرفنى بالليـدى « سيبيل » ابنـة ايرل التون ، فخيل الى انه يهواها ، ولكنه قال : « انها لم ترنى من قبل ، ولا أنا رأيتها ، وانما دعانا الايرل الى مقصورته لكى يقدمنا اليها » ٠٠ ثم أردف فى فتور وعدم اكتراث : « ان ليدى سيبيل معروضة للبيع ، ولكن احدا لم يقدم حتى الآن عرضا كافيا ٠٠ وانا لا أرغب فى الشراء ، فقد أنبأتك من قبل بأننى أكره النساء !٠٠ **لقد أوقعت بى النساء كثيرا من الاذى دائما٠٠ لقد عقن تقدمى ٠٠ انهن أمهات الجنس البشرى ، وكل اخطاء**

هذا الجنس راجعة اليهن . وهذا سبب آخر لكراهيتي لهن ! »
.. فقلت: « أو تطمع في أن يبلغ الجنس البشري الكمال ؟ » .. ووقف اذ ذاك قائلا : « ان كل شيء في الكون يستمتع بالكمال، عدا تلك التحفة العجيبة : الانسان ! »

★ ★ ★

◆ **لايملك** رجل ان ينسى أول لقاء له بامرأة اجتمعت فيها كل عناصر الجمال . فالواقع انني فتنت بالليدي « سيبيل » من أول نظرة ، وزاد من افتناني ان سنحت لي فرصة الحديث اليها على انفراد ، اذ انتحى « لوتشيو » بأبيها جانبا وراحا يتكلمان في بعض شئونهما . على انني لاحظت ان الحسناء كانت لاتفتأ ترقب الامير في اعجاب . ووجدتني أتمتم لنفسي: « كل هذا الحسن معروض للبيع ، وسوف أكون مشتريه! » . وفي تلك اللحظة التفتت الليدي سيبيل نحوي وسألتني : « ألست انت مستر تمبست الشهير.. أعني الذي كثر الحديث عنه في الفترة الاخيرة ؟ .. ما أعظم المتعة التي لابد انك تشعر بها لامتلاكك هذه الثروة الطائلة .. الى جانب انك شاب ، ومليح ! » .. وانحنيت لها ، وقد طربت ، وقلت : « هذا لطف منك ! » ، فضحكت بصوت عذب ، وقالت : « لماذا ؟ .. الانني أقول الحق ؟ .. انك شاب بالفعل ومليح حقا .. في حين ان أصحاب الملايين عادة قبيحو الشكل ، وكأنما القدر يجردهم من الذكاء والجمال ، في مقابل مايمنحهم من المال ! » .. وسرعان ماتخلت عن تحفظها ، فلما انتهت المسرحية ، سمحت لي بأن أرافقها الى عربتها وأساعدها على الصعود اليها ! .. وقال الايرل وهو يصافحني في ود : « تعال لتناول العشاء معنا .. تعال يوم الخميس .. ولا تحفل بالرسميات ، فان زوجتي مفلوجة ، ولا تقابل سوى نفر قليل من الناس ، بينما تتولى أختها شئون

البيت ٠٠ الخالة شارلوت ، أليس كذلك ياسيبيل ؟ ٠٠ ها ، ها ٠٠ لو قدر لزوجتى ان تموت ، لما تلهفت على الزواج من مس شارلوت فيتزروى ٠٠ اختهـا !٠٠ ها ، ها ٠٠ الى يوم الخميس اذن ! »

وفيما كنت مع الأمير ، تقلنا العربة الى الفندق ، سألنى : « ألم تعجب بها ؟ ٠٠ انها باردة بعض الشىء ، ولكن الثلوج كثيرا ماتخفى تحتها براكين !٠٠ وليست فى طريقك عقبات ، فان أحوال اللورد التون سيئة ، حتى انه يستضيف امريكية ثرية تدعى مس « ديانا تشيزنى » فى قصره مقابل ألفى جنيه فى العام ٠ ولما كانت الكونتس التون مشلوله ، فانها تكل واجباتها الى أختها مس فيتزروى ٠٠ وسيبيل غير مرتاحة لكل هذه الاحوال ، لاسيما وانها تشعر بأن اباها يرقب الامريكية كخليفة لامها !٠٠ لاتعجب ، فهكذا أحوال كثير من اللوردات وسيدات الطبقة الراقية ٠٠ ان الدم « الازرق » يزداد فقرا ، ولا يغذيه غير المال ! »

★ ★ ★

◆ **أشار** على ناشر كتابى « جون مورجسن » بأن يطبع ـ على نفقتى ـ كمية يوزعها دون مقابل على الصحف والنقاد وعلية القوم ، مستغلا الدعاية المبذولة للكتاب ، ثم يطنب فى امتداحه فى الصحف ، معلنا ان « الطبعة الاولى » قد نفدت فى نفس يوم نشرها ، وان « الطبعة الثانية » وشيكة الصدور !٠٠ وسخر حين احتججت بما فى هذه السياسة من مجافاة للامانة ، ثم نصحنى « لوتشيو » بالاتصال بشخص يدعى « مكهوينج » له نفوذ بالغ على جميع النقاد الادبيين ٠٠

وصحبنى الامير فى ذلك المساء الى منزل كانت صاحبته تديره للمقامرة ٠ وكنت مستعدا للعب والخسارة فى ذلك المساء ، ولكن الذى حدث اننى كسبت جميع أموال غريمى ،

وكان نبيلا يدعى « فيكونت لينتون » . وغادرت الدار وهـو مدين لى بمبالغ طائلة .. **على اننا لم نلبث أن رأينا الفيكونت مرة أخرى فى اثناء الليل ، وكان يهيم فى الطرقات . وما لبث ان بدا عليه انه وصل الى قرار .. اذ لم نبتعد عنه كثيرا ، حتى سمعنا مقذوفا ناريا .. فقد انتحر !..** وهممت بأن أسرع لنجدته ، ولكن « لوتشيو » أمسك بذراعى قائلا : « اهدأ !.. أفتريد أن يتردد اسمك فى التحقيق ؟ » .. وحاولت أن أتملص منه صائحا : « لوتشيو !.. انك عديم الشعور ! » .. فهتف: « لعمرى ، ان ضميرك رقيق !.. يجب أن تحاول جهدك ان تخشوشن وتزداد صلابة اذا شئت ان تنجح ! .. كان حظه التعس هو السبب ، فليس لك ان تلوم نفسك على انه خسر أمواله وانتحر !.. لقد كان عربيدا ، اجتمع عليه الندم ، والحسرة ، والقنوط ، وثورة الكرامة ، والحب الفاشل ، والنظرية العلمية الحديثة .. « اللاشيئية » ، التى تقول ان الانسان يشعر فى بعض الاحيان بأن الحياة عدم ، وان الله لاوجود له .. أو انه لاشىء ! »

وصحت : « انه لامر فظيع يالوتشيو ؟ » ، فقال : « **أتعنى الموت ؟ .. انه لايعادل نصف فظاعة الحياة اذا أساء الانسان العيش فيها !..** ان اعصابك مكدودة ، فتعال وخذ كأسا من الشراب » .. وكنا قد بلغنا الفندق ، فصحبته الى غرفته . وفيما كنت أتناول كأسى ، رحت أتأمله ، فاذا وجهه المليح الشاحب قد اكتسب صرامة غريبة ، وأخذت عيناه تلمعان وكأنهما من فولاذ بارد . وقال : « **لقد كان آخر رهان دفعه لينتون اليك هو روحه .. لماذا ترتجف ؟.. انه لم يكن يؤمن بها .. ولا انت تؤمن بها !.. ان الروح من بقايا خزعبلات الدجل والخرافة ! ماينبغى لغير الشيطان ان يحفل بموته ! ولو اننى كنت الشيطان، لحزنت، لان كل نفس تموت وهى ضالة ، خليقة بأن تذكرنى بهبوطى من السماء ، وان تقيم حاجزا دون**

عودتى اليها ! » ٠٠ وابتسم ٠٠ ولكنى لمحت دمعة تترقرق فى عينيه !

وأويت الى مخدعى ، ولكننى استيقظت فى نحو الساعة الرابعة صباحا ، على يد غير مرئية تهزنى ٠ ورحت أرتجف وأنا أفرك عينى ، اذ رأيت بوضوح ـ على بعد خمس خطوات من سريرى ـ ثلاثة أشخاص ملتفين فى عباءات سوداء ، ويخفون وجوههم بالاقنعة ٠ وهممت بأن أمد يدى الى الجرس ، وأنا أرتعد ، واذا بصوت خفيض ـ ولكنه عميق حافل بالالم ـ يهمس قائلا : « تعاسة ! » ٠٠ وانكمشت مذعورا ، اذ دوت الكلمة فى فى فضاء الغرفة ٠ وتحرك أحد الثلاثة ، فاذا وجهه يظهر من تحت القناع ، أبيض كالمرمر ، يعبر عن القنوط البالغ ٠ ثم انبعثت زفرة حرى ، تحولت الى أنة رهيبة : « تعاسة ! » ٠٠ وجن جنونى ، فقفزت من فراشى ،وحاولت ان أمسك بالاشخاص الثلاثة ، ولكننى لم أقبض على غير الهواء ٠٠ ومع ذلك فقد كانوا لايزالون فى أماكنهم يحدقون فى !٠٠ وسرت فى كل جارحة من كيانى الكلمة الرهيبة : « تعاسة ! » ٠٠ فصرخت : « لا ٠٠ لا ٠٠ لاتحكموا على بهذا القضاء الابدى ! » ٠٠ ثم وقعت مغشيا على !

* * *

◆ **لست** أدرى كيف انقضت الفترة بين تلك الرؤيا الرهيبه وبين انبلاج الصباح ٠ على اننى استيقظت موفور النشاط ، مما جعلنى أرجح ان ما رأيته كان مجرد كابوس فظيع !٠٠ وزاد هذا الاعتقاد رسوخا فى نفسى ، ماذكره « لوتشيو » ـ حين رويت له الرؤيا ـ من ان الشراب الذى اعطانيه فى الليلة السالفة كان قوى المفعول ٠ وتحول بعد ذلك الى اغرائى لشراء ضيعة (ويلوزمير) فى مقاطعة (وارويكشاير) قائلا : « انها ضيعة رائعة ، عريقة ، يرجع جزء من قصرها الى عهد الملكة

اليزابيث ، وهو جميل الموقع ، ولن يكلفك بما فيـه من أثاث أكثر من خمسين الف جنيه ٠٠ ثم اننى أقترحه عليك لسببين: أولهما ، انه بديع ، شاعرى الجو ٠٠ وثانيهما ، ان لورد التون سيرتاح اذا ماعرف انك اشتريته ، اذ انه كان يوما من ممتلكاته، حتى وقع بين براثن المرابين اليهـود ! » ٠٠ فأجبتـــه قائلا : « سأبرق لمحامى بتعليمـاتى فورا ، فانني أحب ان يعلم لورد التون ـ اذا ماذهبنا لتناول العشاء معـه الليلة ـ اننى المالك المرتقب للقصر ! »

وعنيت فى ذلك المساء بأناقتى فوق ما اعتدت ٠ وشرع تابعى « موريس » ـ خلال ذلك ـ يشكو الى « آمييل » تابع الامير ، الذى كان يقدم على تصرفات مستهجنة مع الخادمات ولا يتورع عن ان يوجه اليهن بذىء القول وفاحشه ٠٠ واردف يقـــول : « لشد مايبدو وكأن فيه مسا من الشيطان ٠٠ هناك شيء غريب يحف به ! ٠٠ ثم ان أحداً من خدم الامير عدا « آمييل » لايشاهد هنا ٠٠ فالطاهى يرسل له الطعـام من مكان ما ٠٠ والخادمان اللذان يساعدان آمييل لايقيمان فى غرفتيهما طوال النهار ٠ ٠ ولا أحد يدرى اين تأوى العربة والجياد ، ولا أين يقيم الحوذى والسائس ٠٠ ان الامر يبدو لى جـــد غريب ! » ٠٠ على اننى ابديت له ازورارا عن سماع مثل هـذا الحديث ، وان وجدت نفسى بعد ذلك أفكر فترة فيما ذكره !

وصحبت الامير فى المساء الى قصر لورد التون ، فاستقبلنا اللورد وفى صحبته سيدة صغيرة الجسم ، أنيقة الملبس ، ذات قدمين جد صغيرتين ، وسيدة أخرى قدمنا اليها سيد القصر قبل ان يقدمنا للاخرى ٠ وكانت هذه السيدة هى « شارلوت » اخت روجته ، ومدبرة بيته ٠٠ اما الاخرى ، فكانت «ديانا تشيسنى» الامريكية التى كان أبوها أحد ملوك السكك الحديدية فى أمريكا ٠٠ وكانت من أولئـك الامريكيات اللاتى يبهرن ألبـــاب الرجال بأحاديثهن ، وقد تأملتنى مليا ، ثم هتفت : « اذن فأنت مستر

تمبست الشهير ؟ ٠٠ لقد اعتدت أن أقول ان لاقيمـة للاموال المكدسة مالم يكن صاحبها شابا !٠٠ اعتقد انك واحد من أغنى الناس فى الوقت الحاضر ٠٠ ألسـت كذلك ؟ » ٠٠ فقلت : « ربما كنت كذلك ، ولكن صديقى الامـير أكثر منى ثراء! » ٠٠ فتحولت اليه قائلة : « لعمرى !٠٠ لابد ان الدنيـا تستلقى تحت قدميك ! » ٠٠ فتطلع اليها بابتسامة سـاخرة ، وقال : « ربما ٠٠ ولكنك تعرفين ان من السهل ارقاد الدنيا تحت قدمى اى شخص ! » ٠٠ فهتفت : « لست أحب المجاملات ! ٠٠ اننى أراك انت الآخر شابا ، كمستر تمبست » ، فقاطعها لوتشيو قائلا : « معذرة ، بل انا أكبره بعدة سـنوات ! » ٠٠ وتجلت الدهشة على مس تشيسنى ومس فيتززوى ، بينما انقلب الامير يتحدث عن المال فى ازدراء : « **ما الذى يفعله المال ٠٠ صحيح انه يجعل الدنيا عند قدميك ، ولكن ٠٠ اية دنيـا ؟٠٠ كتلة جوفاء تستحق الركل ! ٠٠ ان الثروة ليست سوى مرآة تريك الطبيعة الانسانية فى اسوأ صورها !٠٠ انهـا تجعل الناس تداهنك وتنافقـك ٠٠ حتى الامـراء يحطـون من أقدارهم كى يقترضوا منك ! وتغدو جيوبك المنتفخة هى المسوغات التى تتيح لك الدخول على الملوك والوزراء ٠ اما اذا كنت عظيمـا حقـا ، وشجاعا ، ونابغة ، واذا كانت لديك أفكار تبقى اذا ما اندثرت الممالك ، فان تلك الدمى المتوجة تزدريك وتشيح عنك !** »

وما لبثنا أن سمعنا وقع قدمين ، ثم اقبلت ليدى سيبيل ، فاذا بوجيب قلبى يشتد ازاء جمالها الباهر ٠ وما ان استقر بها المقام فى الحجرة ، حتى أعربت عن أسفها لانتحـار الفيكونت لينتون ٠ وكانت ترمق لوتشـيو طيلة الوقت ! ثم حان وقت العشاء ، فهبطنا السلم الى الطابق الارضى ٠ وكان من حظى أن أتأبط ذراع الليدى سيبيل ٠ على اننى اكتشفت خلال العشـاء انها لم تكن على ذكاء يضارع جمالها ، وانها كانت سريعة الملل ، شاردة الذهن ، لاتنفك تبدى ازدراءها للرجال خلال حديثها!٠٠

وأثارتني هذه الطباع ، فحفزتني على ان أحاول كسر جموحها ، بأن أعلنت انني مقدم على شراء ضيعة (ويلوزمير) ٠٠ وساد الصمت لحظة ، وارسلت مس فيتزروى زفرة حرى ، بينما تطلعت مس تشيسني بعينين فيهما تساؤل وعجب ٠٠ وقال الايرل بصوت أجش : « لقد ولدت سيبيل فى ويلوزمير » ٠٠ فقلت : « وهذا يزيد المكان فتنة تغرى على شرائه ! »

* * *

• **والتفتت** الى الليدى سيبيل فسألتها عن ذكرياتها هناك، فهتفت وفى صوتها رجفة انفعال : « انني لا أحب فى الدنيا بقعة مثل ويلوزمير ٠٠ ولا أزال أحبها ٠٠ وكثيرا ماكنت أرى فى الحقول التى على الضفة الاخرى لنهر آفون ــ خارج حدود الضيعة ــ فتاة فى مثل سنى ، تلعب وحيدة ٠٠ وكانت ذات وجه جميل ، وشعر أشقر ٠ بيد أن مربيتي كانت تمنعني كلما وددت أن أحدثها وألعب معها ٠٠ وكانت تقول انها أقل منى مكانة ، مع انها كانت من أصل طيب ، اذ كان أبوها عالما مبرزا، توفى فى حداثتها ، فكفلها الطبيب الذى كان يعالج أمها قبل ان تموت هذه الام وتترك طفلتها بلا أهل ٠٠ هذه الفتاة هى مافيس كلير ! » ٠٠ ونظر الى لوتشيو فى تفرس ، ثم قال : « ألم تسمع عنها ياتمبست ؟ » ٠٠ وتذكرت انني سمعت الاسم مرتبطا بعمل أدبى لم أحفل به ، لانني لم أكن أومن بنبوغ المرأة فى الادب أو سائر الفنون ، وانما كنت أرى انها لم تخلق الا لتسلية الرجل ! ٠٠ وقالت ليدى سيبيل : « لكم آسف لانني لم أتعرف اليها فى تلك الايام الخوالى فى ويلوزمير ٠٠ صحيح انها كانت أقل منى مكانة ولكنها اليوم أرقى منى بكثير ٠٠ وهى لاتزال تقيم هناك ، وقد استأجرت الدار التى كان يقيم فيها الطبيب وابتاعت بعض أراض حولها ، وأدخلت من التحسينات ماجعل المكان بديعا ٠ الواقع انني لم أر صومعة شاعرية كتلك الدار

التى تسمى : « ليلى كوتيتج » .. وما أحلى غنائها ! »
وتساءلت عن مؤلفاتها ، فابتسم لوتشيو قائلا : « رواية واحدة ، ولكنها تمتاز بروح غير عادية .. وأرجو ياتمبستان يلقى كتابك القادم مثل مالقيته تلك الرواية ! » .. وهنا أبدى ايرل التون عجبه من ان أكون قد ألفت رواية ، فقال لوتشيو وقد غشيت نظراته غمامة من اسى واستهجان غريبين : « انه يجرى وراء الشهرة ، فان الصيت الذى اكتسبه بثرائه لايشبع آماله !.. انه يسعى الى ان يرقى فوق مستوى قطع الاثاث التي يصير اليها الاثرياء ، ويؤثر ان تقوم شهرته على العبقرية والنبوغ ! » .. فالتفتت ليدى سيبيل نحوى ، وقالت مبتسمة: « أخشى أن لاتدع لكمطالب المجتمع وقتا تواصلفيه التأليف ! .. اظنك كنت -أعنى فى الاصل- مؤلفا تحترف الكتابة ؟ » ..
وتملكنى غيظ غريب : كنت فى الاصل ؟..أولا أزال كاتبا؟.. أو تقتصر كل مؤهلاتى على«دفتر الشيكات» ؟ .. وقلت أخيرا : « اننى مؤلف بالفعل ، وارجو ان أثبت عما قريب جدارتى بأن أحسب فى عداد المؤلفين ، ولا أظن ان المطالب الاجتماعية ستعوقنى عن ان أمضى فى مهنة الادب التى أعتبرها ارقى المهن ! »
وما ان عرف الايرل اننى من آل « تمبست » الذين كانوا يقيمون فى (ريكسمور) ، حتى تذكر انه كان يخرج للصيد مع أبى . وعلمت فى سياق الحديث ان « مافيس كلير » لم تؤتمن المال الا مادره عليها قلمها ، ولكنها موفورة الكبرياء والشمم . وقالت ليدى سيبيل انها قرأت مؤلفاتها ، وتهفو الى التعرف اليها . ومضت تطنب فى امتداحها . وفى تلك الاثناء ، أرسلت ليدى التون خادما يعلن زوجها برغبتها فى ان ترانا ، فغمغمت مس تشيسنى فى رثاء : « ياللكونتيس الرقيقة ! » ، فرمقتها ليدى سيبيل بنظرة متعالية ، عابسة ، جعلتنى أزداد كلفا بها.. فقد أعجبتنى فيها روحها الثائرة !.. وعندما انتهى العشاء ،

غادرت السيدات غرفة المائدة ، فما ان خلوت بالايرل والامير ، حتى فهمت ان سيد القصر كان من النوع الذى يسجد للجنيه ، الى حد انه لن يتورع عن آن يهبنى ابنته مادمت سأدفع الثمن ٠٠ ولكننى كنت أوثر ان أنالها عن غير طريق المال ٠٠ ان أنالها بالحب !

وعندما عدنا الى قاعة الجلوس - حيث سبقتنا السيدات - أقبلت ليدى التون محمولة على مقعد ٠ على ان وجهها كان ذا حسن مشرق ، وكانت عيناها واسعتين،صافيتين ، متألقتين ٠ وقال اللورد التون يحييها فى لهجة بدا فيها الاصطناع : « هذه خطوة غير متوقعة ياعزيزتى ، فنحن لم نسعد بشرف صحبتك منذ ثلاثة أشهر ٠٠ كيف حالك الآن ؟ » ٠٠ فأجابت فى بطء : « فى تحسن ! » ٠٠ وعلقت عيناها بالامير ، اذ قدمتنا ليدى سيبيل اليها ٠ وما لبث اللورد ان سأل عن مس تشيسنى ، فاجابته ابنته فى فتور بارد بأنها آبت الى غرفتها لتكتب رسالة ٠ ورفعت ليدى التون يدها فى وهن ، وسألت ابنتها عن الامير ، فقالت الفتاة فى رفق : « لقد أخبرتك يا اماه ٠٠ انه الامير لوتشيو ريمانيز ، صديق والدى » ٠٠ وظلت يد السيدة مرفوعة ، وكأنها تصلبت ، بينما تساءلت فى لهجتها البطيئة : « وما مكانته ؟ » ٠٠ فانحنى اللورد عليها فى قلق مصطنع ، وقال : « لاتزعجى نفسك ياهيلينا ٠٠ انك ولا بد تذكرين ماحدثتك به عن الامير ومستر تمبست » ٠٠ فهزت رأسها ، وحولت عينيها كارهة عن الامير ، ثم رمقتنى وقالت فى عناء واضح : « انك صغير السن جدا بالنسبة لثرائك الكبير ٠ ٠٠ هل آنت متزوج ؟ » ٠٠ واجبتها بالنفى مبتسما ٠ وما لبثت مغناطيسية لوتشيو انْ جذبتها اليه ، فسألتنى ان أدعوه اليها ، ثم قالت له : « ان وجهك مألوف لدى ، فهل التقينا من قبل ؟ »

- ربما ياسيدتى العزيزة ٠٠ يلوح لى - كرؤيا حبيبة ماضية -

اننى التقيت فى صدر الشباب والسعادة بهيلينا فبتزروى قبل ان تغدو كونتة التون !

- لابد انك كنت اذ ذاك طفلا

- أبدا ٠٠ لانك لاتزالين شابة يامدام ، أما انا فكهل !

فسألته ليدى سيبيل مبتسمة : « كم عمرك الحقيقى ؟ » ٠٠ فابتسم بدوره قائلا : « **لست أملك ان أخبرك ! على ان السن فى حسابى يقدر بالافكار والمشاعر ، لا بالسنوات !٠٠ لذلك لايدهشنك ان أشعر بأننى كهل ٠٠ فى حساب الدنيا !** » ٠٠ ونطلعت اليه الكونتة فى عجب ، بينما تبدى على الليدى سيبيل الابتهاج ٠ وما لبث الأمير ان سأل ليدى التون : « أمغرمة انت بالموسيقى ؟ » ، فابتسمت ولم تجب ٠ وكانت مس تشيسنى قد أقبلت فسألته ان كان يحسن العزف ، واذ ذاك قال : « وأغنى أيضا ٠٠ عندما كنت فى نضارة الشباب ، منذ أجيال ، كنت أخال اننى أسمع الملاك اسرافيل ينشد تسابيحه وسط اضواء السماء الذهبية ! » ٠٠ وران علينا اذ ذاك صمت مفاجىء ، فقد كان فى لهجته ما مس قلوبنا بنفحة من الاسى والحنين ٠ وخفت حدة الالم الطويل فى عينى ليدى التون ، اذ اغرورقتا بدموع حبستها ٠ وسألته مس فيتزروى : « هل تؤمن بالسماء ؟ » ٠٠ فتطلع اليها مبتسما وقال : « **ألا اغفرى لى ياسيدتى ان أقول اننى لا أومن بسماء رجال الدين ٠٠ ولكن ، لا تعبسى يامس فيتزروى ، فأنا مع ذلك أومن بالسماء ٠٠ سماء تختلف عن تلك، وكثيرا ماتتجلى لى فى أحلامى !** » ٠٠ وأمسك عن الكلام ، فاذا بعينى ليدى سيبيل تعلقان به ولا تحيدان عنه ، حتى سرى فى نفسى شىء من الانفعال

★ ★ ★

• **وشرع** يعزف ، فقفزت عن مقعدى اذ انبعثت الانغام الاولى! فما عهدت المعازف تصدر مثل تلك النغمات !٠٠ كأنما كان فيها

سحر استولى علينا جميعا ٠٠ كانت تنتقل بين العاطفة الحنون، وشقشقة الطيور ، وخرير الجداول، وأهازيج الهوى ، وصيحات اليأس المنبعثة وسط ضوضاء عاصفة صاخبة ، وصرخات وداع بين شهقات البكاء ٠ وأمسكت أنفاسى ، ودار رأسى ، وشعرت بأننى أود أن أتحرك ٠٠ أن أتكلم ٠٠ أن أصرخ ! ٠٠ ثم انتهى اللحن بأنغام تشبه تكسر الامواج ، تحمله نسمة سارية !٠٠ وساد المكان صمت لم يكن يعكره سوى خفقان قلوبنا يتتابع عاليا ، عنيفا ، سريعا !٠٠ وخيل الى ان شيئا من تلك الموسيقى سرى فى شراييني مع الدم ، وحرك فى نفسى أحاسيس لاتمت الى الحكمة ، ولا تليق بالانسان !٠٠ ونهضت فسرت الى ريمانيز وقلت: «انك لاستاذ عظيم ٠٠ أفتعرف بماذا توحي موسيقاك؟» ٠٠ فثبت بصره فى بصرى ، وهز كتفيه ، واذ ذاك همست له : « **بالجريمة !٠٠ لقد بعثت فى نفسى أفكار سوء أخجل منها !** » ٠٠ فابتسم ، واومضت عيناه ببريق بارد ، كبريق النجوم فى ليلة من ليالى الشتاء ٠٠ وقال : « **ان الفن يستمد ألوانه من الذهن ياصديقي العزيز ٠٠ فاذا اكتشفت فى ألحانى مايوحي بالشر ، فان ما أخشاه هو ان يكون الشر فى نفسك !** » ٠٠ فأجبت بسرعة : « أو فى نفسك ! » ٠٠ فقال بهدوء : « **أو فى نفسى ٠٠ فكثيرا ما أخبرتك اننى لست قديسا !** »

وسألته مس تشيسني، ان يغنى ، فأطلق صوته بأغنية جاء فيها :

« نامي ياحبيبتي نامي !٠٠ صبرا فسنصون سرنا خبيئا٠٠ تحت غطاء التابوت !٠٠ فليس فى الارض أو الهواء مكان مثله لحب كحبنا ، أو يأس كيأسنا !٠٠ ولكن يحفل الجحيم ولا الجنة بأن يكسبا نفسينا الغارقتين فى خطيئتهما ! »

وكانت الاغنية عجيبة،والصوت قويا ، عذبا،سلب ألبابنا ٠ وما ان فرغ منها حتى ارتفع صوت يقول : « أين حفظت هذه الاغنية ؟ » ٠٠ وكانت المتحدثة هى الكونتة المشلولة ٠ وأسرع

اللورد التون اليهـــا فى قلق ، فصــاحت به : « اذهب عنى ، فلست مريضة ! » ٠٠ ودعت الامير الى جوارها ، وانهمكت معه فى حديث شغلت أنا عنه بالكلام مع الايرل وابنته ، ودعوتهما لزيارتى فى (ويلوزمير) ٠ وفجأة ، دوت فى الحجرة صرخـة حادة ، كصرخة حيوان يتعذب !٠٠ وبهتنا ٠٠ واتجهت أنظارنا الى لوتشيو الذى أقبل بادى الجد ، وقال انه يخشى ان تكـون الكونتة على غير مايرام ٠٠ وانبعثت اذ ذاك صرخة أخرى ٠ ٠ واذا الكونتة قد ارتمت متشنجة ، ثم أغمى عليها !

وفى طريق عودتنا ، أخذ الامير يروى لى قصــة غريبـة عن الكونتة ٠ كانت فى شبابها مندفعة وراء نزواتها ، حتى أن أحد عشاقها دفع عن زوجها ديونه فى احدى الازمات ٠ واذ ابديت استنكارى لقبول اللورد مثل هذا الوضع ، قال : « انه أمـــر عادى فى الاوساط الراقية ! ٠٠ على أننى ارتكبت الليلة غلطة ماكان يجب أن أرتكبها ، اذ غنيت تلك الاغنية ٠٠ ذلك لانها من نظم أحد المعجبين بها فى الماضى ، وكانت تعتقد انها المخلوق الحى الوحيد الذى سمعت أذناه كلماتها ، فسألتنى عما اذا كنت قد عرفت ذلك الرجل٠٠وقلت اننى كنت وثيق الصلة به٠وفيما كنت أشرح السبب فى توثق الصلة بيننا ، انتابها التشنج ٠٠ انه ثأر الطبيعة توقعه بالجسد المنهوك الذى أسرف وأفرط ! »

وما لبث أن تحول بالحديث الى ميدان الحب ، فصارحنى بأنه ادرك مدى شغفى بالليدى سيبيل،وهتف : « اركن الى !٠٠ سأبذل كل جهد فى سبيل تحقيق غايتك ٠٠ أعدك !٠٠ أؤكد لك ان الزواج الذى يربطك بها يروق لى ويرضى نفسى،وسأفعل كل مافى طوقى من أجلكما ! »

* * *

٥ **وأخذت** بعـد تلك الليلة ــ أتردد على دار ايرل التون ، دون ما كلفة ، وأخذ هو يقربنى اليه ، حتى لقد صرح لى يوما

بأنه يسر جدا بأن أغدو زوج ابنته !٠٠ وكان « لوتشيو » قد قلل من زياراته للدار ، ومع ماكنت أعرفه عن عدم اكتراثه بالنساء ، فانني ارتحت الى ذلك ، إذ كنت أخشى ان يتغلب على بجماله الفاتن فيأسر قلب ليدى سيبيل !٠٠ وازددت قربى من اللورد ، حين تطوعت للوفاء ببعض ديون كان عليه ان يسددها في ظرف عاجل ٠٠ كما اخذت أغرق ليدى سيبيل بالهدايا !

وفي ذات يوم ، عاد الامير يستحثنى على ان أقدم خمسمائة جنيه للرجل المدعو « مكهوينج » كي يؤثر على النقاد ، فيطنطنوا لكتابى !٠٠ واستنكرت ان أقدم للرجل رشوة ، فهتف : « رشوة !٠٠ انها ليست رشوة ، وانما هي نوع من البر الادبى ، يوزعه مستر مكهوينج على أدباء فى ضيق ، ولا يعرفهم سواه ! ٠٠ **ان الدنيا فطرت على أخس الحوافز ، فهى تجهد فى السعى نحو أتفه وأسخف الاهداف ! ٠٠ انها ليست نعيما ، ولا هى أسرة سعيدة تضم أخوة متحابين ، وانما هى مستعمرة تغص فوق سعتها بقردة لايكفون عن العراك ، ويخالون أنفسهم بشرا !** »

وسعيت فى ذلك اليوم لشراء نسخة من آخر كتب « مافيس كلير » ، فعن لى ان اسأل صاحب المكتبة عما اذا كانت المؤلفة تعلن عن الكتاب ، فابتسم قائلا : « لا ٠٠ وما أراك ستقرأ لها اعلانا يوما ياسيدى ، فهى أشهر من ان تحتاج الى دعاية ! »٠٠ وأثار الرد فى نفسى شيئا من الغيرة والحسد ، ثم ازداد هذا الشعور حدة عندما قرأت بضع صفحات من الكتاب ، فوجدتها حافلة بأفكار مبتكرة ، ملهمة !٠٠ كانت تلك المافيس كلير تملك مقدرة تعوزنى ٠٠ كانت تكتب ماتريد ان تقوله فى بساطة جليلة ساحرة ، وبحرية ، وشعور داخلى بالقوة !٠٠فلما التقيت بلوتشيو ، دفعت اليه الكتاب قائلا : « أفتراها تدفع خمسمائة جنيه لمكهوينج ؟ » ٠٠ فقال : « لآ ٠٠ ولكنها تتعرض لحملات بدلا من النقد » ٠٠ قلت : « وما قيمة تلك الحملات اذا كان

الناس جميعا يقرأون كتابها ؟! »

وفى تلك الليله ، وجدتنى أكتب خطابا الى صــاحب مجلة أصبح يعترف بمكانتى ، فطلبت ان يسمح لى بكتابة نقدلرواية مافيس كلير فى العدد التالى من مجلته ، بدون توقيع !

وغشينى بعد ذلك ضيق وسأم لاسبيل الى وصفهما،فأكثرت من التردد على بيوت الميسر والدعارة ، ولم أدع وسيلة من وسائل المتعة واللهو الا انتهجتها ٠ وأصبح اغراق الصحف فى امتداح كتابى يثيرنى ويضايقنى ، اذ كنت لا أنفك أذكر الدوافع الموعزة بهذا المديح ٠ ومع ان النقد الذى كتبته لرواية مافيس كلير كان لاذعا ، الا ان أحدا من قرائها لم يتحول عنها ٠ وقال لى لوتشيو اذ قرأه : « لابد انك انت آلذى كتب هذا ٠ ولعله أراح بالك ٠٠ ولكن ، أى أذى ألحقته بك مافيس كلير ؟٠٠ ان موقفيكما جد متناقضين ، فأنت مليونير ، وهى فتاة تعمل دائبة ، وتعتمد فى عيشها على النجاح الادبى ٠٠ ثم انها كسبت شهرتها بذكائها ونشاطها ٠٠ وحتى اذا كنت تكره كتابها ، فما كان ثمـة داع لان تمس شخصها فى حملتك ! » ٠٠ فقلت متحمسا : « اننى أكره النساء الاديبات » ٠٠ واذ ذاك قال : « **لماذا ؟٠٠ الأنهن قادرات على ان يعشن دون اعتماد على أحد ؟٠٠ أفكنت تؤثر ان يبقين جاريات يخدمن شهوات الرجل ومزاجه ؟٠٠ اذا اعترفت بأنك تغار من شهرة هذه المرأة ، وتحسدها عليها ، استطعت ان أفهم سر حملتك ٠٠ كل ما أستطيع ان أقوله ، هو أن هذا لن ينال منها ، ولن يقابل من المعجبين بها بغير الاستهجان ٠٠ أما هى ، فانها مرحة القلب ، ولن تقابل هذا التحامل الا بالضحك ٠٠ ولا بد لك من ان تراها يوما** »

فقلت : « لست أريد أن أراها ! » ٠٠ واذ ذاك قال : «ولكنك لن تملك آن تتفادى لقاءها ، اذآ أقمت فى (ويلوزمير) »

وذهبت يوما الى دار ايرل التــون ، كالعـــادة ، فاذا مس ديانا تشيسني وحيدة فى قاعة الجلوس،وقد قرح البكاء جفنيها،

وادركت انها كانت تتألم لما تلاقيه من ازدراء ليدى سيبيل ،فلما حلوت الى الفاتنة ، فاتحتها فى الامر ، فصاحت : « إنها لن تتألم طويلا ، اذ لم يبق سوى وقت قصير وتموت أمى ، فتصبح هى امرأة أبى » ٠٠ قلت : « أراك متعبة ٠٠ هل يضنيك السهر على أمك ؟ » ٠٠ فضحكت فى مرارة وقالت : « اننى لا أعنى بهـــا اطلاقا ٠٠ لا أستطيع ٠٠ ان وجههـــا يروعنى ، وما أرانى الا خليقه بأن أموت ذعرا آذا انا أكثرت من رؤيتها !٠٠ تصور جثة حية ، لها عينان جامدتان رهيبتان ، وفم أعوج ٠ هـــذه هى أمى ! » ٠٠ وأخـذت ترتجف فى عنف ٠ على اننى مالبثت ان هدأت من روعها ٠٠ وفجأة سألتنى : « اين صديقك ٠٠ لقـد أصبح مجيئه الى هنا نادرا » ٠٠ ورحت أروى لها غرابة أطواره، وكيف انه يكره المجتمع كله أحيانا ، ويعرض عنه ٠٠ وحدثتها عن كراهيته للنساء ، فهتفت : « حتى أنا ؟ »

وبادرت مجيبا : « ليس فى وسع أحد ان يكرهك ٠٠ ولكنى لا أرى الامير ريمانيز يستثنيك من نفوره من النساء ! » ٠ ٠ فقالت وقد شرد ذهنها : « آذن فهو لن يتزوج قط ؟ » ٠٠فقلت ضاحكا : « قط ! » ٠٠ ومضت فترة كنت أرقبهـا خلالهـا فى اعجاب ، ثم لم تلبث ان نهضت فجأة فسحقت وردة كانت فى يدها ، وصاحت وكل جسمها يرتعد : « **اواه ، ليس في وسعى الاحتمال ٠٠ لماذا لاتتكلم وتترع كأس مهانتى؟٠٠ لماذالاتفاتحنى ـ كما فاتحت أبى ـ بأسباب حضورك الى هنا ؟٠٠ لماذا لاتقول ان اختيارك « الملكى ! » قد وقع علي ، وانك تريد ان تتزوجنى من بين نساء الدنيا طرا ؟٠٠ ألا تأملنى ، هل فى السلعة التى تريد شراءها أى عيب ؟** » ٠٠ وراحت تعدد لى محاسن جسمهـا ومفاتنها ، وهى ثائرة ، ثم صاحت : « لماذا تعرضنى للخـزى بتباطؤك فى ابرام الصفقة ؟ »

(اقرأ فى العدد القادم الجزء الثانى والاخير من هـذه القصة الرائعة التى خلدت اسم « مارى كوريللى » بين كتاب الشوامخ العالمية الباقية على الزمن)

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء :

فى هذا الباب ، قرأت معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

فضيحة « كارولين » ملكة انجلترا

عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)

امرأة وملك (مدام دى مانتون)

تيبريوس » قيصر روما

الحب اقوى من الموت

لوكريشيا بورجيا

نيرون : الطاغية السفاح

ليدى هاملتون

مارى انطوانيت

مصرع القيصرية فى روسيا

بولين بونابرت : ملكة الغواية

مأساة ملك بافاريا

الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا

غرام الاميرة اليزابيث تيودور

ديزيريه : خطيبة نابليون

اوليمبيا : والدة الاسكندر

بيرينيس : ملكة فلسطين

تيودورا : الراقصة الامبراطورة

« سانوهى » أو (المصرى)

كريستين : ملكة السويد

رمسيس الثانى

مارى ستيوارت

مرجريت فهمى

وهاك اليوم الجزء الثانى والاخير من حياة الغانية « القاتلة » !



القصة الكاملة لحياة وغراميات "مرجريت فهمي"

غانية من باريس ..
وعاشق من مصر!

الغانية الفرنسية التى هزت محاكمتها باريس ولندن والقاهرة!

تلخيص : فرج جبران

اعترافات الغانية .. « القاتلة » !

◆ مرة أخرى – وأخيرة – نعود معا الى اعترافات الغانية الفرنسية « مرجريت فهمى » ، كما املتها على الكاتب الفرنسى « ميشيل جورج ميشيل » . ولقد روت لنا مرجريت فى الجزء الاول من هذا الكتاب النادر – وهو الجزء الذى نشر فى العدد الماضى من « كتابى » – كيف بدأت حياتها العابثة ، متنقلة بين العشاق ، وكيف انها أخفقت فى الزواج مرتين ، لان تصرفاتها المبتذلة كانت تجعل كلا من الزوجين يرتاب فى مسلكها ووفائها للزوجية ، فيشدد عليها الرقابة ، ويحاول أن يكبح جماح استهتارها !.. ولقد كانت «مرجريت» – أو « ماجى » كما كان يطلق عليها عشاقها – جريئة فى اعترافاتها عن هذه الفترة من حياتها.. جريئة الى الحد الذى يكشف فجورها سافرا . ولكنها لم تكد تبدأ حديثها عن تعرفها بالشاب المصرى الثرى ، المرحوم على فهمى كامل ، وزواجها منه ، حتى انقلبت متحفظة فى كل مايتعلق بمسلكها ، متحاملة فى كل مايتعلق بمسلك زوجها ، تحاول جاهدة ان تصمه بأبشع الوصمات . وهو شىء لايستغرب من غانية باريسية ، ومن قاتلة كان انقاذ عنقها من حبل المشنقة معجزة من معجزات « مارشال هول » . . وقد سبق ان قدم لك « كتابى » فى عدده العاشر ، تفصيلات محاكمتها كما وردت فى سيرة هذا المحامى الانجليزى الاشهر ، الذى خلد اسمه فى تاريخ القضاء الجنائى

من « ماجى ميللر » الى .. « منيرة هانم » !

◆ **كان** لابد لماجى ميللر ، كى تعتنق الدين الاسلامى ، من ان تخرج على الدين المسيحى . وقابلت أحد القساوسة الكاثوليك – ويدعى الاب ماريشال – لهذا الغرض ، فحاول ان يثنيها عن عزمها ، الا انها ردت عليه قائلة : « ليس فى وسعى ان أهرب من هذه الخطوة ياأبى .. ومع ذلك لا يمكن ان أنسى دينى الاصلى الذى نشأت فى أحضانه . وقد سعيت أليك

لتساعدنى على ان أجتاز تلك المحنة » ٠٠٠

ـ ولكن يا ابنتى ٠٠٠

ـ ثق اننى مضطرة الى ذلك اضطرارا !

وتم اعتناق ماجى للاسلام فى المحكمة الشرعية ٠٠ على ان الاب ماريشال قابلها وهى فى طريقها الى المحكمة ـ قبل أن تخطو الخطوة الاخيرة ـ وقال لها محاولا نصحها : « ياابنتى ٠٠ فكرى لآخر مرة فى دينك ! » ٠٠ فأجابته قائلة : « **أرجوك يا أبى ٠٠ انك تؤلمنى ! وخاصـــة انك تعلم اننى نشـــأت فى مدارس الراهبات !٠٠ اننى أحب خطيبى ، ويجب ان أحترم مصالحه ، اذ انه سوف يحرم من ميراثه اذا تزوج من مسيحية ٠ على انى أرجو ان تسمح لى بأن أقدم خمسين جنيهـا مساهمـة منى فى أعمالك الخيرية !** »

وأدرك الاب ماريشال ان لافائدة ترجى من مواصلة السعى ، فأعطاها كتابا من كتب الصلاة ، ثم ابتعد عنها ، بينما واصلت هى طريقها فدلفت الى قاعة المحكمة ، وقد غطت وجهها بنقاب ، ثم تقدمت من القضاة الشيوخ وأحنت رأسها ، قبل ان تنطق بالشهادتين : « أشهد ان لا اله الا الله ٠٠ وان محمدا رسول الله » ٠ وقد نطقت ماجى بالشهادتين بعد ان كتبتهما على ورقة بحروف فرنسية وحفظتهما عن ظهر قلب ! وأعلن عقب ذلك ان اسمها قد أصبح « منيرة هانم » ٠٠ وهو اسم والدة على !

وبعد ان تمت هذه الاجراءات، انسحبت ماجى ومعها شقيقات على ، اللاتى أخذنها الى ٠٠ « الحريم » !

٢٠ مليون فرنك ٠٠ قيمة أثاث منزل الزوجية !

◆ **ومنذ** ذلك اليوم ، امتنع التردد على الحفلات الصاخبة ، واقتصر على مشاهـدة حفـلات الاوبرا ، والجلوس فى احـدى المقصورات «المحجبة» ، التى يصعب على النظارة رؤية الجالسين والجالسات فيها !

و « حددت » اقامة « منيرة هانم » فى الحرملك الذى كان يحرسه « باش أغا » ، عليه ان يلازمها كلما خرجت . أما « الامير » فكان فى وسعه ان يذهب اينما شاء ، وفى أى وقت ، وان يجلس فى اى مكان مع أصدقائه المقربين . كذلك امتنع الخروج سويا ، والتردد على الفنادق ، والرقص معا . واقتصر تناول الشاى على اشتراك شقيقات على والباش أغا . وفى بعض الاحيان ، كان أهل المنزل يستقبلون بعض الزوار من الاسرات السورية أو الارمنية أو القبطية . الا ان كل ذلك لم يمنع من استمرار تقديم الهدايا الثمينة الى الزوجة المرتقبة !

وتقول ماجى فى مذكراتها : « وهكذا لم يكن هناك اى اتصال بين المرأة المصريه وبين الخارج . كما كان على الزوجة ان توطد صداقتها بالباش أغا والا ساءت علاقة الزوجين بسببه ! »

وكان لابد من ان يعقد الزواج فى منزل محايد ، ولذلك فقد أقيم فى مقر الدائرة . وقد تولى العقد ثلاثة من الشيوخ ، قدمت الى كل منهم ساعة ذهبية قبل بدء الاحتفال . وتقدمت اليهم ماجى بمفردها ، وقد أسدلت على وجهها نقابا كثيفا . وهى تروى ماحدث فى تلك اللحظات بقولها : « **لا .. لم أكن هازلة ! فقد سئلت اذا كنت قد تسلمت صداقى ـ وهو ثمانية آلاف جنيه كانت قيمتها تبلغ وقتئذ نحو مليون فرنك ! ـ فقلت : « نعم .. تسلمته ! » .. وتذكرت فى تلك اللحظة اننى سأفقد معاشى من شارل لوران ، زوجى الثانى ، وقيمته ٣٦ ألف فرنك . نعم ، لقد أجبت بالايجاب ، ولكن الواقع كان يخالف ذلك . اذ كنت قد حصلت ـ فقط ! ـ على اقرار من خطيبى ، بأنه سيدفع لى قيمة صداقى فى أوائل العام المقبل ، أى فى سنة ١٩٢٣ ، عندما يحصل على ايراد القطن ! »**

ثم تليت نصوص العقد .. بالعربية أولا ، وبعد ذلك بالفرنسية . وكان على قد منحنى فى بداية الامر حق الطلاق ، ولكنى لاحظت انه أغفل ذلك فى العقد الرسمى الذى تلى على . وهكذا أصبحت سجينة مدى الحياة . الا ان هذا كله لم يكن

يهمنى فى ذلك الوقت . ثم ، أو ليس ذلك دليلا على حبه العظيم لى ، اذ يريد أن يحتفظ بى مدى الحياة ؟! ومع ذلك ، فهل كان من الممكن آن أناقشه الحساب ، وأنا وسط أسرته ، وبعد ان غيرت ديانتى ؟!

وفى ليلة ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، تم الزفاف ، فى قصر الرخام الوردى المطل على النيل .. وهو قصر أقيم على طراز عصر النهضة ، وكان يعتبر من أجمل قصور القاهرة . أما الاثاث فلم يكن هناك ماهو أبدع منه : كانت حجرة النوم التى خصصت لنا هى الحجرة التى كان يقتنيها ملك الصرب، وأدوات غرفة المائدة كلها من الفضة الخالصة ، وقد تكلفت ٤٥٠ ألف فرنك، والمفروشات مصنوعة فى (فينسيا) .. الخ . وكان الاثاث كله يقدر - على الاقل - بمبلغ عشرين مليونا من الفرنكات . ولا يمكن ان تكون فتاة تنتمى الى الطبقة الوسطى التى أنتمى اليها قد وصلت الى هذا الذى وصلت اليه !

صفعتان .. قبل رحلة شهر العسل !

◆ **على** آن المنظر سرعان ماتغير كله .. ومنذ ليلة الزواج الاولى ! .. فان « على » الذى كان يقطر رقة وعذوبة وعطفا ، فى ليالى فنادق رويال وماجستيك واسبانيا ، انقلب فجأة ! .. ولم تعد ماجى - او بالاحرى « منيرة هانم » - بالنسبة له الا شيئا من الاشياء التى يملكها . وكان لابد من ان يجعلها تشعر بذلك .. فهو يمسك بذراعها ، ويلقى بها على الفراش ، فتصيح به :

- على .. على .. ماذا أصابك ؟ .. هل هو الاحتفال الذى أثار أعصابك ؟ لاتكن وحشا قاسيا !

ولكنه يرد عليها قائلا : « وحشا قاسيا ! .. هل بلغت بك الجرأة حد انتقاد تصرفاتى الخاصة ؟! »

وتحاول ماجى ان تقاوم .. ولكن ، من أين لها القوة على

ذلك ؟!٠٠ ويقبض عليها بيدين حديديتين ، ثم يتركها وعلى فمه ابتسامة المنتصر ، المعتز بقوته !

وفى صباح اليوم التالى تغادر العروس مخدعها الى حجـرة الاستقبال ، فيقع نظـرها على زوجهـا ، وقد أحاط به جميـع سكرتيريه وخدمه ٠ وتظن ان زوجها يريد أن يستقبلهـا بهذه المظاهرة ، حتى يشعرها بأنها سيدة المنزل ، فتتقدم اليه باسمة الثغر ٠٠ **ولكنـه يهجم عليهـا فجأة ، ويصفعها بظهر يده على وجهها من الناحيتين ، أمام جميع موظفيه وخدمه ، وهو يصيح فيها : « هذا يعلمك اننى السيد هنا ٠٠ فارجعى الى حجرتك حالا ! » ٠٠ وينظر الى معاونيه قائلا : « لتوضع حجرتها تحت الحراسة ، ولتمنـع من استعمال التليفـون ، أو الاقتراب من النافذة ! »**

وهكذا عادت ماجى الى حجرتها ، ذليلة ، مهيضة ، فأسدلت الستـائر الحريرية على النـوافذ ، وقضـت يومـين فى البكاء والنحيب ٠ وفى اليوم الثالث ، دخلت عليها شقيقتا على ٠ وربتت احداهما ظهر ماجى بيدها ، وهى تقول : « انه لايزال صغـير السن ٠٠ والذى يشفع له انه يحبك ! »

وما لبث على ان دلف الى الحجرة ، فأخذها بين ذراعيه ، ثم حملها بنفسه الى اليخت الذى كان راسيا بجانب القصر ، وقد أعد لرحلة شهر العسل التى كان مقررا ان يقضياها فى الاقصر ٠ وشعرت ماجى بشىء من الاطمئنان بعد حضور شقيقتى زوجها ، كما ان اليخت كان فاخرا ، يعمل عليه ٢٥ بحارا ٠ وكان على فهمى هو المصرى الوحيد الذى يملك مثل هذا اليخت الفاخر ، المتأهب دائما للاقلاع الى أية جهة يحددها صاحبه !

وقبل أن يقلع اليخت بوقت قصير ، قدم على لزوجته دبوسا ماسيا فاخرا ، كان عبارة عن ماسة كبيرة تمثل الشمس ، ومن حولها ماسات صغيرة تتناثر منها الاشعة ٠ وتقول ماجى فى هذا الصدد : « **٠٠ وكانوا قد حدثونى من قبل عن هذه الحليـة**

الرائعة ، وقالوا لى انه اهداها الى ثلاث نساء ثم استرجعها منهن بأساليبه الخاصة . وهاهو ذا الآن يهديها الى أنا .. هدية من زوج الى زوجته الشرعية ! »

« استكشاف العجائب » .. على ضفاف النيل !

◆ « **وسافرنا** الى الاقصر .. واستغرقت الرحلة من القاهرة الى وادى الفراعنة أحد عشر يوما . ومنذ مساء اليوم الاول ، أخذ زوجى يسلى نفسه بلعبة خطرة تكررت كثيرا طوال الطريق . كنت قد استلقيت فى مؤخرة اليخت وشرعت فى القراءة ، حين سمعت فجأة صوت فرقعة بجانبى . ورفعت بصرى ، فاذا على أمامى .. وجها لوجه ، وهو ممسك بمسدسه ، وقد صوبه نحوى . وانطلقت رصاصة ثانية ، فاصطكت أسنانى رعبا .. ولكنه لم يحفل ، بل استمر يطلق الرصاص وهو يقول : « تحركى كما تريدين ، فأنا أعرف جيدا أين ينطلق رصاصى! »

« وحدث ان ألقى اليخت مرساه أمام احدى القرى ، بعد ذلك بساعات ، فتجمع أهل القرية بآلاتهم الموسيقية ، وأخذوا يرقصون ويغنون . وقد كان منظرا رائعا ، سلب لبى وأطرب نفسى . **الا ان على مالبث أن نزل الى القرية برفقة سكرتيريه ، وذلك بحجة « استكشاف عجائب القرية ! » . وقد علمت فيما بعد المقصود بهذه العجائب !**

« وبقيت تلك الليلة وحيدة على ظهر اليخت ، كما بقيت ليالى أخرى كثيرة ، فى حين كان على ينزل الى القرى التى كنا نمر بها، يصحبه سكرتيره عنانى وباقى أفراد بطانته ، «لاستكشاف العجائب » !

« وحدث فى اليوم الثامن ـ بعد ان مررنا بأسيوط ـ ان قاربا تابعا لشركة « كوك » مر بجانب اليخت ومسه مسا خفيفا ، فهب على ببيجامته السوداء ، وأخذ ينفخ فى صفارة ذهبية تحليها الاحجار الكريمة ، مصدرا أوامره لاعداد قاربه

البخارى الصغير . وسرعان ما إستقله ، وشرع فى مطاردة قارب « كوك » حتى أدركه ، فصعد اليه ومعه بعض رجاله . وعاد بعد قليل وهو يسوق أمامه رجلا طاعنا فى السن - لا يقل عمره عن سبعين سنة - كان هو المسئول عن قارب « كوك » . ثم اتجه الجميع الى الشاطىء ، وهناك أمر على الرجل بأن يجثو على ركبتيه ، ثم أخذ ينهال عليه بسوطه !.. وما لبثوا ان تركوا الرجل وعادوا جميعا الى اليخت . وحين وصل على ، لم أتمكن من منع نفسى من الصياح فى وجهه ، معبرة عن اشمئزازى من هذا العمل الوحشى الفظيع !.. **ورأيت عينيه وقد احمرتا ، ثم رفع سوطه وهوى به على ، وهو يصيح : « لقـد استولى الرعب على ذلك الرجل حتى انه ... وسيحدث لك مثل ماحدث له ! » .. ثم انهالت الضربات على ظهرى وذراعى أمام رجاله وخدمه . وبعد ذلك ألقى بى فى قمرتى ، وحرم على اغلاقها أو الخروج منها أو استدعاء رجاله !**

« وكنت - لحسن الحظ - قد احتفظت بوصيفتى الفرنسية الخاصة ، فقمت بكتابة كلمة الى محامى قلت له فيها : « سيدى الاستاذ .. اننى حبيسة سجينة ، فأرجو انقـاذى ! » .. ثم أعطيت الرسالة اليها وقلت لها : « أرجو ان تخفى هذه الرسالة فى صدرك ، وعندما نصل الى الاقصر سلميها لاحد الاجانب ليتولى ارسالها الى المحامى ! »

.. فى وادى الملوك !

◆ « **ولما** وصلت الباخرة الى الاقصر ، نزل على الى قمرتى ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة . وكنت على وشـك الجنون ، فقـال : « هيـا ياعزيزتى .. ان ماحـدث ليس الا مشاجرة « حبية » ! .. واننى لآسف اذا كنت قد سببت لك بعض الالم . وقد أمرت باقامة حفلة كبيرة تكريما لك ، فأرجو أن تتجملى ، لاننى قد دعوت الجنرال مكسويل ، ولورد كارنارفون

الذى دعانا الى حفل افتتاح مقبرة توت عنخ آمون ! »

« ولم أكن بلهاء ! ٠٠ فان هذه الحفلة لم تكن لى ، وانما كان كل ما اشتهاه ، هو ان تقف زوجته الجميلة الى جانبه فى حضور هؤلاء القوم ! ٠٠ وقلت فى نفسى : « انك ياعزيزى فى حاجة الى ٠٠ وسوف أنالك ! »

« سوف أنالك ٠٠ سوف أنالك ! » ٠٠ كان كل منا يردد هذه الكلمة فى أعماق نفسه ٠٠ بل ان اللعبه قد أصبحت عادية !

« وفى مساء ذلك اليوم ، كنت أقف بجانبه ، كاملة الزينة، فاتنة الجمال ٠ وتكرر المنظر فى الايام التالية ، ونحن نتناول العشاء فى فندق « ونتر بالاس » ، وفى وادى الملوك ! ٠٠ وأحسست بأن « الامير » فخور بى، فبدأت أستعيد شجاعتى ٠٠

« وكان زوجى هو الذى يدفع نفقات الاحتفال ٠ وليس فى وسع انسان ان يتصور مدى مافى تناول العشاء فى وادى الملوك من روعة وبهاء ٠٠ فقد نزل بحارة اليخت مرتدين ملابسهم الرسمية البنفسجية اللون ، وطرابيشهم الحمراء ٠ وقدمت الخراف المشوية الكاملة فى صوان كبيرة من الفضة الخالصة كان « على » قد اشتراها بأكثر من ٤٠٠ ألف فرنك ٠ ووقف الزنوج من حولنا وهم يحملون المشاعل، فضلا عن مولد كهربائى خاص استحضر خصيصا لهذه المناسبة ٠ وغنى الثنائى الايطالى بيكالوجا غناء بديعا جدا ٠ وعلى مقربة منا ، كنت ترى الجمال والحمير والعربات ، وهى تكون دائرة حولنا

« وشهدت افتتاح مقبرة توت عنخ آمون ، كما زرت قبور الملوك الآخرين ٠ **وقد علمت انمكاريا ــ مؤجر الحمير ــ اسمه على هو الآخر ، هو الذى عثر على باب مقبرة توت عنخ آمون ، فأرشد اليه مصورا أجنبيا بسيطا ، أنعم عليه فيما بعد بلقب لورد ، وصار اسمه لورد كارتر ! ٠٠ أما المكارى فقد كان كل ماخرج به هو مبلغ ثمانية جنيهات لاغير !**

« وفى خلال هذه الحفلات ، كنت أغنى المقطوعات الشهيرة التى أحفظها ٠ وكان على ينظر الى بحب ووله ٠٠ وربما كان هذا للمرة الاخيرة ، فان المرء لايدرى شيئا عن مستقبله مع هذا الرجل !

يصورها فى تابوت فرعونى !

◆« **وعندما** وصلنـا الى أسـوان ، طلب منى على أن أنام فى تابوت كبير يرجع الى عهد الفراعنة ، رغم مافى هذا العمل من فأل سىء ٠ فلما استلقيت فى التابوت ، التقط لى عدة صور وأنا فى هذا الوضع ، بعد أن طلب منى ان أغلق عينى وأمتنع عن كل حركة !

« وعدنا بعد ذلك الى القاهرة ٠ ولم يحدث مايستحق الذكر خلال رحلة العودة، اللهم الا بضع مشاجرات كان زوجى يحبسنى على أثرها فى قمرتى ٠ وكانت هذه المشاجرات تتكرر كلما لمته على لياليه التى كان يقضيها فى القرى الواقعة على ضفاف النيل ٠ وكان على يأكل فى مثل هذه الليالى « الفول المدمس » فى الازقة والحوارى ، فى حين ان سكرتيره العزيز عنانى كان يأكل الدجاج ! ٠٠ وكان عنانى هذا قبيح الشكل ، أصفر اللون ، ذا شعر أسود كثيف ، تملأ البثور بشرته ٠ **ومع ذلك ، فقد كانت ثورة على بالغة ، فى ليلة لم يعد فيها عنانى الى اليخت ٠ وكان جواسيس على قد أخبروه بأنه اتصل بأحد الاشخاص فى تلك الليلة !! ووقف على ينتظر سكرتيره على ظهر اليخت حتى الساعة السادسة صباحا ٠ ولما عاد عنانى ، نشبت بينهما مشاجرة عنيفة من النوع الذى كان يحدث بينى وبين على ٠ وانتهت المشاجرة بطرد عنانى من خدمة سيده** ٠ وعقب ذلك مباشرة ، ارتمى زوجى فى أحضانى وهو يصيح فى يأس وأسى : « هيا بنا الى باريس ٠٠ الى باريس ! »

الغانية الفرنسية تعض أصبع زوجها !

◆ « **أخيرا** ، وجدت نفسى فى باريس ٠٠ بلدى الذى كنت قد يئست من العودة اليه ، بعد ان ارتبطت بمصر بقيود كانت كفيلة بأن تشدنى اليها مدى الحياة ٠٠ وحيث كنت أعيش بلا صديق ، ولا نقود ، ولا ايراد ، ولا صداق !٠٠ دون نقود ؟٠٠ وأين النقود التى نص عقد الزواج على ان يدفعها زوجى الى كصداق ؟! ٠٠ لقد قال لى على عندما طالبته بذلك المبلغ : « **انك لست فى حاجة الى المال مادمت معى ، وما دمت أقدم لك كل ماتشتهين ٠ أما عن صداقك ، فاننى أحفظه لك ٠ ولا شك انك تطمئنين الى وجوده عندى أكثر من بقائه لديك !** »

« ثم انه كان قد طرد وصيفتى الفرنسية ، عندما علم انها هى التى أرسلت خطابى الى محامى من الاقصر ٠ وبذلك تركنى وحيدة مع هؤلاء الخدم السود الذين كانوا لايفهموننى ولا أفهمهم !

« وكان اذا ضربنى لا أجرؤ على لمسه ٠٠ أنا التى ضربت استوريكا المسكين بالسوط !٠٠ وقد حدث فى يوم ما ان عضضت فهمى فى أصبعه ، فلم يكتف ـ مقابل ذلك ـ بأن يتركنى ملقاة على الارض وأنا أكاد أفارق الحياة ، بل حبسنى فى حجرتى ١٨ يوما ، وتركنى بلا طعام لمدة يومين !

« ولذلك كانت باريس بالنسبة لى هى الفردوس ٠٠ هى الحرية ٠٠ هى الانتقام ! »

صفعة فى باريس ٠٠ يعقبها الرحيل الى لندن !

◆ « **ولكن** ، لم يكن الامر بالسهولة التى تصورتها ٠ فقد منعنى من الاتصال تليفونيا بأحد، كما وضع رقابة على المحادثات الخارجية التى كنت أتلقاها ٠ ولم يكن فى وسعى أن أتناول وجباتى فى مطعم الفندق ، اذ فرض على تناول الطعام فى حجرتى الخاصة ٠ أما هو ، فكان يتناول طعامه فى المطعم الفخم ،



يحيط به أصــدقاؤه ٠ وكان يحــدث فى بعض الاحيــان أن يدعونى الى الغــداء أو العشــاء على مائدته الحافلة الكبــيرة ، فكنت أجد نفسى أشبه بالاسيرة، اذ كان أصــدقاؤه يحيطون بى من كل ناحية ـ ومن بينهم عنانى الذى كان قــد عاد الى خدمــة زوجى ! ـ وكان على ، فى مثل هذه الاوقات ، ان أغض بصرى، وان لا اوجه نظراتى الى أحد !

« وفى ذات ليلة ، كنــا فى مطعم « سيرو » المشهور ، حيث تكرم باصطحابى بعد طول الحاح منى ٠ وحدث ان مــر أمام مائدتنا صديق قديم لى ، فلما رآنى تقدم محييا،فلم يكن من على الا ان هب واقفا وصفعنى على وجهى أمام الجميع !٠٠ وأبدى الجالسون معنا على المائدة دهشتهم لمثل هذا التصرف ، فقلت لهم بكل هدوء : « أوه ٠٠ ان هذا شىء بسيط ! »

« وغادرت مكانى على الفور ، فوقف أحد سكرتيريه مستعدا لمرافقتى الى الفندق ، حتى لا أعود وحدى ٠ **وفى اليوم التالى ، أعلن على اننا سنسافر الى لندن ٠ فلماذا لنــدن بالذات ؟٠٠ السبب اننــا كنا يومئذ فى ٣٠ يونيو ٠٠ وكان من أسباب العظمة والوجاهة ان يتوافد الاغنياء على لندن ، فى هذا الوقت من العام !**

« وسافرنا الى لندن : أنا وهو ، وشقيقته وزوجها ، واثنان من السكرتيريين ، وسائقو السيارات ، وخدمه الخصوصيون ،

وخادمتى الخاصة . فلماذا رافقته الى لندن ؟.. ولماذا لم أصر على البقــاء فى باريس ، موطنى وموطن أهلى وأصــدقائى ؟.. السبب فى الواقع يرجع الى انه لم يكن معى قرش واحــد ، أو قطعة حلى واحدة . فقد كان زوجى يحتفظ عنــده بكل شىء ، بدعوى ان أموالى وثروتى ملكه ، كما ان أمواله وثروته ملكى ، وان خزانته كانت أكثر أمنا من حقيبتى الصغيرة ..

« وفى لندن ، نزلنا فى فندق « سافوى » . واستمرت الحياة فى العاصمة الانجليزية على نسق الحياة فى باريس : حفلات ، ومشاجرات . وهناك ، فى لندن ، وقع الحادث الاكبر ! »

الحادث الاول .. فى لندن !

◆ **ولاترك** هنا الكلمة لصحيفة محايدة حتى تقص على القراء ماوقع فى الايام الاولى من زيارته للنــدن . وهــاك ماذكرته بالحرف الواحد :

« فى ذات ليلة خرجت مرجريت مع على وعنانى من احــدى دور اللهو ، وكان أحد النشالين يتبعهم ، فتظاهر بأنه يفســح لهم الطريق أثنــاء مرورهم ، ثم ارتمى على حقيبــة اليد التى كانت تمسك بها مرجريت ، وتعلق بها . وكانت الحقيبة محلاة ببعض الاحجار الكريمة . ولما كان الطريق خاليــا من المارة ، فقد استولى الذعر على « على فهمى » ، رغم قسوته ، اذ اعتقــد ان الرجل ينوى الاعتداء على حياتهم ، والاستيلاء على ما معهــم ، ومن ثم قال له :

ـ خذ ماتشاء .. فقط دعنا وشأننا !

« الا ان عنانى لم يقبل ذلك الحل ، فما لبث ان أوقعه على الارض بحركة مفاجئة سريعة . واشتبك الاثنان فى معــركة حاميــة . على ان البوليس سرعان ما أقبــل فقبض على اللص ، وأنقذ حقيبة يد السيدة

وعاد الجميع الى الفنـدق ، وقد تملكهم الفرح والابتهـاج ، فاحتفلوا بنجاتهم من يد اللص ٠ وأخذ على ومرجريت يرسلان النكات ويداعبان عنانى بسبب أنفه الذى تورم فى المعركة ٠ ثم أخذ الجميع فى الرقص ٠ **وحدث فى أثناء الرقص ان سقط منديل مرجريت ، فالتقطه شاب من الراقصين وقدمه اليها ٠ وكان على قد استعاد شجاعته ورباطة جأشه ، بعـد حادث المساء ، فرفع يده وصـفع الشاب على وجهـه ، بدلا من ان يشكره ٠ ويبدو ان عوامل الغيرة تحركت فى صدره ، اذ ظن أن الشاب يحاول مغازلة زوجته**

وانتقدت مرجريت مسلك زوجها ، فاتجه اليها وصاح فيها:

- أظنك تحسبين أننى من المغفلين !٠٠ وكأننى لم أدرك انك انت التى رميت منديلك على الارض ليقدمه اليك الشاب !

على ان مرجريت تمكنت فى النهـاية من اقناع زوجهـا ببراءتها ، فهدأت أعصابه ٠ ثم ذهب الاثنان الى مكان لم يكن يليق بهما ارتياده ! »

يطلب منها شيئا معينا ٠٠ فترفض !

◆ **وحدث** فى تلك الليلة - بعد عودتهما الى الفنـدق - ان تقدم على من مرجريت طالبا منها شيئا معينا ، فرفضت وهى تصيح فيه :

- دعنى وشأنى !٠٠ أنا لست عنانى !٠٠ لا ! لا ! لايمكن ان أقبل هذا الوضع مطلقا !

فلقد كان على « عاشقا عنيفا » ، اتهمه أعداؤه بالسادية ٠ واذا كان فى هذه الكلمة بعض المبالغة ، فلنقل انه كان عاشقا قاسيا ! وقد قالت مرجريت فى هذا الصدد : « كم من مرة ، ونحن فى حجرتنا ، انهال زوجى عـلى ضربا ، ثم احتضننى وقبلنى فى النهاية ، والدموع تنساب على وجهى ٠ كان يجد فى ذلك لذة كبيرة ٠ وفى أحيان أخرى ، كان يغازلنى ويداعبنى

لفترة طويلة ، حتى اذا ما أهاج مشاعرى ، تركنى وانصرف ! ٠٠ كذلك كان يحدث ـ ونحن نتنزه فى باخرة أو سيرا على الاقدام ـ ان يشير الى بيده اشارة خاصة ، فكان على أن أتبعه فى مثل هذه الحال على الفور ٠ كنت أفهم معنى هذه الاشارة جيدا !٠٠ وكان على أن أتبعه الى أى مكان ، سواء أكان كهفا أو ممرا مظلما أو مخزنا للحبوب ! بل ان الامر وقع فى مطبخ منزلنا ، ذات مرة ، فى الوقت الذى كانت حجرتنا الملكية الفاخرة تنتظرنا !٠٠ **ولكن على كان يريد بى شيئا آخر فى تلك الليلة ٠ وقد اعترضت ، وحاولت ان أقاوم ٠٠ الا انه أمسكنى بذراعيه الحديديتين ، ونال ما كان يريده منى ، رغم صيحاتى العالية ٠ وقد أغمى على من فرط الالم ، الا أن ذلك لم يجعله يتوقف ! »**

وفى اليوم التالى ، استدعت مرجريت طبيبها ـ الدكتور جوردون ـ الذى أوصاها بضرورة اجراء جراحة ، بعد ان لاحظ وجود عدة جروح فى مكان حساس من جسمها ،وخشى أن تتطور وتترك آثارا سيئة

وعاد الطبيب الى عيادته ، ثم أرسل اليها اثنين من الجراحين لتستشيرهما ٠ الا أن على هز كتفيه ورفض ان يقابلهما أو ان يدفع لهما أجرهما !٠٠ وقد أقر الجراحان رأى جوردون ، ووافقا على ضرورة اجراء جراحة عاجلة لها ، فقررت ماجى ان من الافضل اجراء الجراحة فى باريس ، وكتبت تحجز حجرة فى مستشفى بشارع بتشينى ، كما ان وصيفتها الخاصة قامت بارسال حقائبها الى المحطة استعدادا للرحيل

وما كاد على يشعر بذلك ، حتى عاد الى سياسة اللين ٠وقال يحدث مرجريت فى ذلك المساء :

ـ ياعزيزتى المسكينة ! لو كنت أعلم ان هذا العبث الصبيانى سيؤدى الى نتائج كهذه ، ما أقدمت عليه !٠٠اننى أود ان أصلح خطأى ، ولذلك فقد حجزت مقصورة فى أحد

المسارح لمشاهدة « الارملة الطروب » ٠٠ فاذا كان فى وسعك النزول ، فسوف نشاهد المسرحية ثم نتناول العشاء معا !

تهديد بالقتل ٠٠ أم دعابة ؟!

• **وتروى** مرجريت ماحدث بعد ذلك ، فتقول : « لما كنت قد حرمت من المسرح مدة طويلة ، فاننى وافقت على الذهاب، رغم ماكنت أشعر به من آلام ، ورغم ماكان يتطلبه ذلك من مجهود ٠٠ بل وتضحية ! ولما عدنا الى الفندق ، دعانى على الى تناول العشاء فى المطعم الكبير ٠ **وكنت أرتدى فى ذلك المساء ثوبا غاليا تحليه اللآلىء الصغيرة ٠ وكان هذا الثوب قد تكلف ثمانية آلاف فرنك !٠٠ فما كدنا ندخل ، حتى اتجهت الينا أنظار الجميع ٠ وتاه على زهوا وفخرا !٠٠** ثم ما لبث ان قال لى:

ـ هيا لنرقص !

فقلت له : « **لاتفكر فى شىء من هذا ٠٠ فاننى لا أكاد أقوى على الجلوس فوق مقعدى** » ٠٠ فأجابنى قائلا :

ـ كيف أمكنك اذن مشاهدة التمثيل ؟٠٠ دعينى أقول لك ما يأتى : أنك اذا غادرت لندن ، بل اذا غادرت هذا الفندق ، فانك لن تغادريه وانت حية !

« وكان يتحدث ، وهو يقول هذا ، بكل هدوء ، وقد تجلى العزم الاكيد واضحا فى عينيه ٠ وفى تلك اللحظة ، أقبل رئيس الجوقة الموسيقية الى مائدتنا ، وقال :

ـ سيدتى الاميرة ٠٠ أى لحن تفضلين سماعه حتى يمكننا ان ندخل البهجة الى نفسيكما ؟

فقلت له وأنا أرتعش :

ـ أوه ! لا ٠٠ لا داعى لكل هذا ٠٠ فان زوجى قال لى الآن انه ينوى ان يقتلنى !

فأجاب الرجل فى أدب :

ـ لاشك ان سمو الامير لايقصد بهذا غير الدعابة !

« وهنا قال على بصوت متزن : « لا ! » ٠٠ فأخذت فى البكاء ثم هرولت الى غرفتى يتبعنى عنانى ٠ وسرعان ما أقبل على وأخذ يطرق الباب ، فلم أرد عليه ٠ وأخذ يهددنى بأنه سوف يحدث فضيحة كبيرة فى الفندق ، اذا لم أفتح له ٠٠ فلم أعر تهديده اهتماما ، بل جلست الى مكتبى ، ووقعت شيكا لامر الدكتور جوردون بقيمة أتعابه ، ثم أرفقت به الكلمة التالية: « ان زوجى لايريد ان يتحمل تبعة الجراحة ، وأمام نيته هذه تجدنى جد آسفة ٠٠٠ الخ ٠ » ! »

جريمة قتل ٠٠ وسط العاصفة !

◆ « **وفى** تلك اللحظة ، انفجرت فوق لندن عاصفة شديدة ٠ وأخذت السماء ترعد وتبرق ، والطرقات على بابى تزداد شدة وعنفا ٠ ولم أجد فى النهاية مندوحة من فتحه ، فانطلق على داخلا كالوحش الكاسر ٠ وأخذ يتلفت حواليه ، ثم سألنى قائلا : « أين الحقائب ؟ » ٠٠ فقلت له فى هدوء : « لقد قاسيت كثيرا ياصديقى ٠٠ وهأنذا الآن أفر من المعركة ! فأنت رجل لا قلب له ولا روح ! »

« وهنا انهال على بجميع ألوان الشتائم ، وأخذ يذكرنى بتهديده ، فقلت له :« سوف أرحل مهما يكلفنى الامر !٠٠ وأؤكد لك اننى أفضل الموت على الحياة فى مثل هذه الظروف!» ٠٠ فأخرج من جيبه مسدسا من طراز « ماوزر » ، كان يحتفظ به ، وألقى به على الفراش وهو يقول :

ـ اذا كان الامر كذلك ، فلك ان تختارى بين استعمال هذا المسدس وبين القاء نفسك من هذا الطابق الرابع ! على انى أذكرك بأن أرصفة لندن صلبة الاحجار !

« واتجه نحو النافذة التى تطل على الشارع ففتحها ٠ ولكن ، فجأة ، وبغير مقدمات ، أمسكنى بين ذراعيه وقال لى : « فلنعقد الصلح يامرجريت ٠٠ كما كنا نفعل دائما بعد

الشـــجار ! » .. ثم رفعنى وألقى بى عـــلى الفراش ، وأنا بملابسى ، فصحت فيه : « انت مجنون ! ان جسمى ملفوف بالضمادات التى وضعها الطبيب ! » .. فقال فى قســـوة : « هذا لا يهم ! »

« ولمعت عيناه بوميض الرغبة المجنونة ، فقفزت من الفراش ـ وكانت العـــاصفة ماتزال تزأر وتصخب ـ فجـرى خلفى وأمسك بطرف ثوبى ، ثم أخذ يجذبنى اليه . ووقعت يدى على المسدس ، فأمسكت به ، وصوبته نحو النافذة المفتوحة ، ثم أطلقت منه رصاصة لابعث الرعب فى قلبـه . واستطعت ان أتخلص منه ، الا أنه حاول ان يمسكنى مرة أخرى ، ففتحت الباب وانطلقت أعدو فى الردهة . ولكنه تمكن من اللحاق بى ، فأمسكنى من رأسى وأخذ يدقه على الحائط ، وقد جحظت عيناه من الغضب . ومرة أخرى استطعت ان أتخلص منه ، بعد ان خلفت قطعا صغيرة من لحمى بين أظافره . وأسرعت نحـــو المصعد ، وأخـــذت أضغط جرسه ضغطا متواصـــلا ، وأنا كالمجنونة ، لعل أحدا يصعد لانقاذى . ولكن .. بدلا من ان أرى المصعد فى طريقه الى ، رأيته هو يقترب منى .. حتى لم يعد بينى وبينه أكثر من متر واحد . واذ ذاك رفعت المسدس فى وجهه ، وصحت به مولولة :

ـ لا تقترب منى .. دعنى وشأنى !

« وكان جسمى كله يرتعد .. ومع ذلك ، فانه هجم على . وهنا انطلقت الرصاصة الاولى ، ثم تبعتهـــا الاخريات !.. وسقط يتضرج فى دمه ، فانحنيت عليه ، ثم جثوت على ركبتى وقلت له :

ـ على ! على ! لم يصبك شىء .. لم يصبك شىء ياعزيزى! .. تكلم ! تكلم !

« وفى تلك اللحظة ، أقبل المصعد ، فخرج عامله فى الحال ، والتقط المسدس أولا ، ثم عـاد بى الى حجرتى . وكان أول

مافعلته ، اننى اتصلت تليفونيا بعنانى فى حجرته ، وقلت له:

ـ احضر حالا ! لقد أطلقت النار على سيدك !

« ونزل فى الحال وهو فى بيجامته • وكان يبدو عليه المرض أكثر مما يبدو على !•• وما لبث الطبيب ان حضر يتبعه مدير الفندق • وعمل الطبيب على نقل على الى المستشفى •أما مدير الفندق فقد تقدم منى قائلا :

ـ سيدتى الاميرة ! هل لك ان تتبعينا ؟!

« وكنت لا أزال بملابس السهرة ، فساعدونى على تغييرها• ثم قادنى مدير الفندق وشرطيان الى مقر البوليس فى (بوستريت) • وكانت الساعة قد بلغت الخامسة صباحا ، فجلست على مقعد حتى الثامنه • وأشفق على رجال البوليس، فقدموا الى بعض القهوة • وسرعان ما أقبل الدكتور جوردون قادما من المستشفى الذى نقل اليه زوجى • وقال لى :

ـ لقد تحرجت الامور كثيرا !

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد مات !!

فى السجن •• تندمل الجراح !

• **لم** يصل المحقق الذى كلف بالتحقيق مع ماجى الا فى الساعة العاشرة • وكان التحقيق الابتدائى بسيطا ، لم يعد سؤال المتهمة عن شخصيتها ، وعما اذا كانت تعترف بأنها قتلت الامير على فهمى • وكان الدكتور جوردون قد أرسل الى مرجريت أحد رجال القانون ، ليحضر التحقيق الابتدائى معها، فتمسك بأن المتهمة غير مذنبة !

وبعد ذلك أرسلت مرجريت الى مستشفى « هولواى » فى شمال لندن ، حيث يوجد سجن للنساء ، يبدو من الخارج كأنه حصن منيع • وطبق عليها القانون بكل دقة ، فنزعت جميع الدبابيس التى كانت تربط شعرها ، واستبدلت

بملابسها ملابس السجن ، ووزنت !.. وقضت ليلتها الاولى فى « العنبر » ، مع سائر المسجونات ، ولكنها أودعت بعد ذلك حجرة خاصة ذات قضبان حديدية ، ولازمتها ممرضة خاصة لم تكن تفارقها لحظة واحدة

وقد قالت مرجريت عن تلك الايام : « كنت خضراء اللون ، وكأنى مصابة بالصفراء ! ولما كانت المحاكم كلها فى اجازة - اذ كنا فى ١١ يوليو - فقد قضيت ١٥ يوما فى ذلك المستشفى . وكان طعامى يتكون من زيت كبد الحوت المتجمد !.. **ولكن ، كانت للحادث التعس الذى وقع نتيجة حسنة بالنسبة لصحتى ، اذ اندملت كل الجروح التى كنت مصابة بها ، دون حاجة الى اجراء أية جراحة ! ولم يكن من الممكن ان يحدث هذا ، لو انى كنت أعيش حياتى العادية ، متنقلة بين المسارح والمطاعم والفنادق**

« ولما اقتربت من الشفاء ، زارنى « وكيل الدفاع » - وهو وحده الذى له حق الاتصال بالمتهمين ، والوساطة بينهم وبين محاميهم ، طبقا للقانون الانجليزى - وسألنى :

- مدام فهمى .. كم تريدين ان تدفعى لمحاميك ؟.. ان فى لندن خمسة من كبار المحامين المرموقين ، وأولهم هو « مارشال هول » ، وسيطلب منك أتعابا مرتفعة جدا . أما الثانى ... ولكن ، قبل ان أستمر فى ذكر الباقين اسمحى لى بأن أسألك : هل فى وسعك ان تدفعى عشرة آلاف جنيه أتعابا ؟!

فقلت له : « ان عشرة آلاف جنيه مبلغ ضخم .. اننى أدفع خمسة آلاف فقط ! » .. فأجاب : « حسنا .. سوف أخبرك بالمحامى الذى يقبل مهمة الدفاع مقابل تلك الاتعاب ! »

« ثم بدأ التحقيق الرسمى ، وتولاه قاضى وستمنستر . وفى خلال ذلك التحقيق ، علمت أشياء كثيرة كانت خافية على . فقد جاء على لسان القاضى ان ايراد على فهمى يبلغ ٥٠ ألف جنيه فى العام ، وانه كان يخصص جزءا كبيرا من هذا

الايراد للاعمال الخيرية ، وانه أسس مستشفى أثناء الحرب العالمية الاولى ، كما انه كان يخصص مبلغ ثلاثة آلاف جنيه كل عام لبعثة من طلبة الجامعه المصرية تتلقى العلم فى أوربا. كذلك قال قاضى التحقيق ان الملك فؤاد منح على لقب الامارة، وان كانت المعلومات التى تقدم بها خدم الفنادق والمطاعم التى كان يرتادها قد دلت على انه من الشباب العابث ! »

ولم ينس المحقق تسجيل ما اتهمت به مرجريت زوجها من قسوة . **وأضاف انه علم من نتائج تحريات البوليس ، ان كلا من الزوجين ـ أى مرجريت وعلى ـ كان يضع مسدسه تحت رأسه اذا ماذهب الى فراشه ، وانهما كانا يستيقظان أحيانا أثناء الليل ، فيسارع كل منهما الى التقاط مسدسه !**

« غير مذنبة » !!

◆ **وبدأت** المحاكمة بعد ذلك . وتقول ماجى انها حرصت على أن تحضر من باريس ثوبا من الموسلين الاسود ، وقبعة بنقاب من التل ، وانها عنيت بزينتها ، ولو انه لم يسمح لها باستعمال أحمر الشفاه !.. وقد كان حرمانها من المساحيق مفيدا على أية حال ـ كما تقول ـ اذ كانت بين المحلفين سيدتان من الرجعيات المحافظات !.. أما عن المجوهرات ، فقد اكتفت بعقد من اللؤلؤ ذى صف واحد !

وقد أحالتنى مرجريت ـ فيما يتعلق باجراءات المحاكمة ـ الى ماسجله صحفى فرنسى يدعى جاك مرسياك ، كان من أكبر الصحفيين فى ذلك الوقت ، وما بعث به الى صحيفته «لو جورنال» من أنباء تلك المحاكمة

بدأ الصحفى مقاله عن اليوم الاول للمحاكمة بوصف الطريق الذى يؤدى الى محكمة « أولد بيلى » ، والجو الذى كان يسودها . كما وصف القاضى سير ريجبى سويفت ، والمحلفين الذين افتتحت الجلسة باستدعائهم .. وكان عددهم اثنى عشر

محلفا : عشرة رجال ، وسيدتان . وقال الصحفى :

« يوجد فى ركن القـاعة سلم يقود الى حجرات السجن . وقد ظهر أولا على هذا السلم ، حارس له شـارب غليظ ، ثم ظهرت حارسة ترتدى الملابس الزرقاء ، والى جانبها مدام فهمى بك . وكان وجهها فى لون العاج ، وكأنها غائبة عن الوجود

« ولم تكن هناك اجراءات خاصـه بالاسئلة التمهيدية عن الاسم والبيانات الاخرى .. فقـد نفذ القاضى الى موضـوع القضية مباشرة ، فقال للمتهمة : « مارى مرجريت فهمى .. أنت متهمة بجريمة قتل .. فهل أنت مذنبة أم غير مذنبة ؟! »

« وقد ألقى سؤاله باللغة الانجليزية . ورغم ان المتهمة لم تكن تعرف هذه اللغة ، الا انها فهمت كلمة « مذنب » ،فأجابت بالفرنسية وبصوت مرتفع : « غير مذنبة ! »

« وبدا شىء من الدهشة على وجه القاضى ، فأمر بأن يترجم لها السؤال ، فكررت المتهمة : « غير مذنبة ! »

« ثم وقف المدعى العـام ، مستر برسيفال كلارك ، وسرد وقائع القضية كأنه يسرد تاريخا ، دون ان يتحيز لفريق على آخر ! وقد أنهى مرافعته بهذه العبارة : « **لقد اعترفت مدام فهمى بك بأنها قتلت زوجها . وطبقـا للقانون البريطانى ، يفترض ان كل جريمة قتل قد سـبقها تفكير وتدبير ، ما لم يثبت عكس ذلك !** »

سعيد عنانى .. شاهد صعب المراس !

◆ « **والآن** .. الى الشهود !

« كان الشاهد الاول هو سعيد عنانى ، سكرتير على فهمى المخلص . وكان اثبات ركن تدبير الجريمة يتوقف على شهادته . وقد كان رأيه ـ الذى لم يتغير منذ التحقيق ـ هو انه بينمـا كان القتيل أفضل رجل فى العـالم ، فان مدام فهمى كانت تستثيره دائما . وكان كلما سئل عن بعض وقائع تخدم الدفاع

عن المتهمة ، قال انه لا يذكر !

« ولكن القانون لايرحم ٠٠ فانه يلقى بالشاهد ، بعد ان يتم سؤاله بواسطة الفريق الذى استشهد به ، الى الفريق الآخر ، فريسة سهلة ، فينهال هذا الفريق عليه بكل أنواع الاسئلة دون رحمة أو شفقة ٠ وكان سير مارشال هول - محامى المتهمة - أستاذا فى هذه المدرسة ٠٠ مدرسة تجريح شهود الخصم !

« ولما كان سعيد عنانى قد أدلى بعدة شهادات ، أمام البوليس ، وأمام قاضى التحقيق ، فانه كان من السهل على الدفاع ان يكتشف بعض التناقض فى أقواله أمام هذه الجهات !٠٠ ومن ثم أخذ مارشال يلقى على الشاهد السؤال تلو السؤال ، وكأنه ملاكم جبار ينهال على خصمه الضعيف بالمكمات !٠٠ ولم يكن يترك له وقتا للتفكير ، حتى لقد عجز المختزلون عن تتبعه فى النهاية !

« الا أن عنانى كان خصما عنيدا ، له قدرة عجيبة على المراوغة والتملص ! ومن ثم كان يتحاشى الضربات المباشرة القوية الى يوجهها اليه خصمه ، محتميا وراء جهله ببعض المصطلحات الانجليزية ، كما انه كان يدعى أحيانا انه لايفهم الى أين يريد ان يصل به موجه الاسئلة ، وماذا يقصد من ورائها !

« وكان سير مارشال هول قد كون نظريته فى الدفاع عن مرجريت فهمى ، وأسسها على انها امرأة دفعت الى ارتكاب الجريمة ، دفاعا عن نفسها ، اذ اعتقدت ان حياتها فى خطر ، بعد ان شهدت عدة حوادث معينة تؤيد هذه العقيدة التى اعتنقتها ٠ وكان عنانى شاهدا على بعض تلك الحوادث المعينة!

شهادة خبير الاسلحة والاطباء

٥ **لندن** : فى ١١ سبتمبر

« استمعت المحكمة الى بعض الشهود كان من أهمهم خبير

الاسلحة الذى استدعى للادلاء بأقواله عن الطريقة التى ينطلق بها المسدس المستعمل فى الجريمة ، ولتأييد ماذكرته المتهمة من انها بمجرد ان ضغطت الزناد انطلقت الرصاصات تباعا ، وهى لا تدرى ، ولا تقصد ، ولا تعرف كيف توقفها !٠٠ وقد أفاض مارشال هول فى مناقشة الخبير فى هذا الموضوع ،حتى أوضح للمحكمة تماما النظرية التى أعدها للدفاع عن المتهمة

« ثم انتقلت المحكمة الى سماع شهادة الاطباء ، الذين قرروا أن الجروح التى كانت تتألم منها ، نشأت عن ميول زوجها الشاذة ، وقد زاد من تأثيرها انه كان شابا ممتلئا حيوية ، قوى العضلات ! **وقال الاطباء انها كانت تقاسى آلاما شديدة عندما وصلت الى لندن ، الى حد ان نصحها أحدهم باجراء جراحة ، بعد ان فشل الدواء الذى وصفه لها فى تحقيق الشفاء !٠٠** كما قالوا ان هذه النصيحة كانت السبب فى الخلاف الذى نشب بين الزوجين فى ذلك المساء »

مصر ٠٠ فى رأى محام انجليزى !

• **وبعد** ذلك ، ألقى سير مارشال هول مرافعته ، فبدأ بتحليل شخصية المتهمة ، قائلا انها سيدة من الطبقة الراقية، ومن المحتمل ان تكون قد هبت على حياتها عواصف كثيرة ، ولكن ما لا يمكن انكاره هو انها ذات سحر وجاذبية ٠ وقد قابلت فهمى بك ، وبعد تردد طويل وافقت على الزواج منه ، وسافرت الى مصر

« ٠٠ ولقد بدت لها الحياة وردية بهذه الزيجة : اذ لم يكن هناك شىء يمكن ان يحرمها زوجها منه ، بل انه أخذ يعرض عليها قصوره ، وسياراته ، ويخته ، وخدمه وحشمه ٠وفضلا عن ذلك فانه كان يبدى لها كل اعجاب ٠ **ونحن نعرف كم تنجذب المرأة ـ فى بعض الاحيان ـ نحو من يصغرها سنا من الرجال !٠٠ وهكذا قبلت الزواج من على ٠ ولقد ارتكبت بذلك خطأ فاحشا ، اذ انه كان رجلا يجد لذته فى تعذيب النساء !»**

وانتقل المحامى بعد ذلك الى سرد قصة الزواج ، وصوره على انه جعل من مرجريت آمه لزوجها ، وقال ان « على » لم يدفع لزوجته أكثر من ربع الصداق الذى وعدها به ، وانه تحول الى وحش كاسر بعد الزواج ، اذ كثيرا ما كان يسلى نفسه باطلاق الرصاص فوق رأس زوجته ارهابا لها ، وكى يحولها الى أداة طيعة بين يديه !

ولم يكتف سير مارشال هول بذلك ، اذ كانت له وسائل خاصه فى التأثير على المحلفين • فقد روى مثلا قصة ذلك الخطاب ، الغفل من الامضاء ، الذى تلقته مرجريت قبل الحادث بأيام ، والذى حذرها فيه مرسله المجهول من العودة الى مصر أو الى أى بلد عربى آخر • وأخذ يصور للمحلفين عواقب تلك الرحلة قائلا : « **ان الرحلة الى مصر قد يتخللها حادث من الحوادث •• قد يتخللها السم يقدم لها فى شكل زهرة جميلة • فالسم سلاح مجهول لا يسمع له صوت ولا يراه أحد • وقد يحدث أن تشعر مدام فهمى بالمرض بعد أن تشرب قدحا من القهوة » ••• الى آخر تلك الخيالات التى كان لها تأثير خاص فى المحلفين**

وفضلا عن ذلك فقد قدم الى المحكمة مستندا خطيرا هو عبارة عن وصية سرية كتبتها المتهمة فى مصر بتاريخ ٢٢ يناير ، وأودعتها لدى محاميها هناك • وفى هذه الوصية ، قررت المتهمة ان زوجها أقسم بالقرآن على انها لن تموت الا بيده هو ، وانها لذلك ترغب فى انصاف أسرتها من عواقب فعلته ، اذا تمت ، والثأر لها منه !

ووصل المحامى البارع فى مرافعته الى ليلة وقوع الحادث ، فأخذ يصور المأساة تصويرا مسرحيا : « **وفيما هو يتحفز للمرة الاخيرة •• يتحفز كوحش ، ثم ينكص على عقبيه لآخر مرة ، كى يقفز قفزة جديدة الى الامام •• اذا اليأس يدفعها الى أن تتناول المسدس فتصوبه نحوه •• ولفرط ذعرها انطلق**

الرصاص منه دون ان تقصد ! » (١)

وللقارىء ان يتصور مدى تأثير مثل هذه الكلمات فى نفوس المحلفين . أما القاضى ، فكان يستمع بوجه يشبه الرخام فى برودته ، ولم يبد عليه انه موافق على كلمة واحـدة مما قال المحامى . بل لقد حذر المحلفين ، اذ قال لهم - قبل ان يرفـع الجلسة :

- تحدثوا عن ظروف القضيه فيما بينكم ، ولكن لاتتخذوا قرارا حاسما فى هـذا المساء .. فان هنـاك أشياء كثيرة ستستمعون اليهـا فى هـذه القضية ، قبـل ان تنجلى أمامكم الحقائق !

« كنت أحبه .. كنت أحبه ! »

◆ **لندن** : فى ١٢ سبتمبر

ست ساعات كاملة تعرضت فيها مرجريت فهمى اليـوم لوابل من الاسئلة . وكان لزاما عليها - وهى تجيب عن هذه الاسئلة - ان تعرض ألوانا من الشقاء الانسانى ، ربما كانت أية امرأة أخرى - مهما تبلغ درجة تعاستها - تتردد فى عرضها على الناس ، احتفاظا بالبقية الباقيه من كرامتها !

كانت الانظار كلها متجهة الى « الفرنسية الحسناء » .. كما وصفتها الصحف البريطانية . وفى ذلك اليوم ، قرر القاضى انه يجب عدم التعرض لتاريخ حياة المتهمة ، فى الفترة السابقة على علاقتها بعلى فهمى

وسردت المتهمة علاقتها بالقتيل قبل زواجها منه ،واعترفت بأنها قضت معه ثلاثة أيام فى (دوفيل) ، وثمانية أيام فى (بياريتز) ! وهنا سألها محاميها :

- هل كنت تحبينه ؟

---

(١) نشرت تفصيلات مرافعة مارشال هول فى العدد العاشر من « كتابى »

ـ نعم .. كثيرا !

ـ وهل كنت تعتقدين انه يحبك ؟

ـ نعم .. كنت أعتقد ذلك !

وروت المتهمة ـ بصوت مؤثر ـ قصة حياتها مع على ، وما حدث لها فى مصر ، وعلى ظهر اليخت ، وفى قصر زوجها . وعندما تحدثت عن اعتناقها الدين الاسلامى قالت : « لقد اعتبرت ذلك تضحية كبرى من ناحيتى . وقدأصرت أسرته على ان أغير دينى ، وقالوا لى اننى لو فعلت ذلك فسوف أقدم لعلى دليلا جديدا على حبى ووفائى !.. ولذلك وافقت .. ووافقت على كل شىء آخر .. فقد كنت أحبه .. كنت أحبه ! »

وهكذا كانت جملة « كنت أحبه » تتردد على لسانها فى كل مناسبة ، وهى تروى قصتها وتنتقل من مرحلة الى مرحلة : لماذا تحملت زوجها وهو يضربها ؟.. « كنت أحبه ! » ..لماذا تحملته وهو يرهبها باطلاق الرصاص فوق رأسها ؟ ..«كنت أحبه ! » .. لماذا تحملت الاهانة والسجن ؟ .. « كنت أحبه ! » ... الخ

واضطرت المتهمة الى أن تروى أسرار علاقتها الزوجية الخاصة بعلى فهمى . ولم يرحمها أحد ، اذ انهالت عليها الاسئلة ، دون شفقة أو حياء ، حتى لقد شعر الجميع بالحرج لانها دفعت الى رواية الكثير مما لم يكن يليق سماعه !

محلفة تبكى فى الجلسة !

◆ **لندن** : فى ١٣ سبتمبر

كان أهم ما فى هذه الجلسة ، عندما استأنفت مرجريت رواية قصة حياتها ، هو ما أحدثته من تأثير فى نفوس المحلفين والقاضى ، وهى تصف ظروف الليلة التى ارتكبت فيها الجريمة .

فقد بكى كثير من النظارة فى قاعة الجلسة ، كما بكى بعض المحلفين ومن بينهم سيدة عجوز كانت تترنح من شدة التأثر

وهي تنتحب . قالت مرجريت :

« .. وتقدم منى وأبرز لى بعض أوراق مالية وهو يقول :

ـ انها لك ، لو تمكنت من كسبها !

« الا انني اعتذرت له بالالم ، وبنصائح الاطباء ، فأصر ، ثم بدأ في اهانتي . وأمسكت بسماعة التليفون لاستدعى أحـد أصدقائه لكى يتوسط بيننا ، ولكنــه انتزع منى التليفون ، وأمسك بذراعي فأخـذ يثنيها . وتخلصت منه ثم صفعته ، فبصق في وجهي . واستطعت ان أتجه الى البـاب ، الا انه جرى خلفى ، وكان الحقد والغضب يغليان فى عينيه . وصاح فى وجهي : « سأنتقم منك ! » .. فأمسكت بالمسدس الذى وجدته قريبا منى ، بينما قال هو : « آه ! ســوف أقول أنا أيضا انك قد هددتني بالمسدس ! » .. وخرجت أجرى ، ولكنه أدركني في الردهــة ، فأمسك عنقى بيده اليسرى ، بينمــا أمسك رأسى بيده اليمنى ، وقال لى : « سوف أقتلك الآن ! » .. وضغطت يده اليسرى على عنقى ، فاستمددت من ذعرى قوة مكنتني من التخلص منه . وتقهقرت ، كما تقهقر هو قليلا ، وهو يكرر : « سوف أقتلك .. سوف أقتلك ! » .. ثم انحنى لينقض على ، فرفعت يدى بالمسدس .. ولم أعد أشعر بشيء أو أرى شيئا .. وفجأة ، سمعت صوت فرقعة ، ثم رأيته هناك على الارض .. عند قدمى .. وانحنيت جاثية عـلى ركبتى ، وقلت له :

ـ لا شيء .. لا شيء ياعزيزى !

« وكان يتكلم ، فظننت انه يكلمنى ! ثم حضر الناس ، فأخذت أسألهم .. وكنت لا أفهم شيئا .. كنت محطمة ! »

رأس المتهمة يتأرجح !

• لندن : فى ١٤ سبتمبر

بلغ اليوم عدد الجلسات التى عقدت لنظر هذه القضية عشر

جلسات !٠٠ عشر جلسات يتنازع فيها الاتهام والدفاع رأس هذه المرأة الجميلة

واستأنف مارشال هول مرافعته ، حتى اذا انتهى منها ، التفت الى المحلفين والقاضى ، وقال لهم الكلمة المأثورة عن أحد أسلافه العظام : « **لست أطلب « منكم » البراءة ، ولكنى أطلب « لكم » ان تأتى البراءة على أيديكم !** »

ولما انتهى مارشال هول ، جاء دور الاتهام فى استجواب المتهمة ٠ وهو نظام يحاول به الاتهام ايقاع المتهم فى شباك الاعتراف ، بمختلف الاسئلة ٠ **ومن ذلك ان مرجريت سئلت لماذا لم يتمزق ثوب السهرة الذى كانت ترتديه أثناء ارتكاب الجريمة ، اذا كان زوجها قد هاجمها بالطريقة التى وصفتها، فأجابت بأن ثوب السهرة كان يكشف عن صدرها ونحرها ، وان زوجها أمسكها ـ كما ذكرت للمحكمة من قبل ـ من عنقها فقط ، فلم يلمس الثوب !**

وفى هذه الجلسة ، أغمى على المتهمة ، لشدة ما احتملت من آلام نفسية بسبب الاستجواب ، ولشدة يأسها وخوفها من صدور الحكم باعدامها شنقا ٠ ولم تفلح المحاولات التى بذلت لاعادتها الى رشدها ، فاضطرت حارستان الى حملها الى خارج القاعة

براءة ٠٠ رغم كل شىء !

◆ **لندن** : فى ١٥ سبتمبر

برئت ساحة مدام فهمى ٠ فبعد ان لخص القاضى للمحلفين ظروف القضية تلخيصا دقيقا بسيطا ، وذكرهم بأنهم أقسموا بأن يحكموا طبقاً لما سمعوه من شهادات ، وبأن ليس هناك مكان للشفقة ، خلا المحلفون الى المداولة ، ثم عادوا مرة ثانية ـ بعد وقت طويل ـ ليعلن رئيسهم ان المتهمة غير مذنبة !

وصفق جميع الحاضرين ، مع ان التصفيق ليس مألوفا فى

المحاكم الانجليزية ٠ ويبدو ان هذا المسلك أغاظ القـاضى ، اذ أمر باخراج الجميع من القاعه

(وهنـــا ينتهى وصف الصحفى الفرنسى للمحاكمـة ٠ ٠ **وانصافا للحق ، نثبت هنا ان الاشـاعات قويت ــ عقب الحكم مباشرة ــ بأن عناصر غريبة عن القضاء تدخلت فى القضـية تدخلا مشينا ٠٠ بل ذهبت بعض هذه الشائعات الى ان ولى عهد انجلترا اذ ذاك ــ وهو الذى تولى العرش بعد ذلك باسم ادوارد الثامن ، ثم نزل عنه ليتزوج من مسز سمبسون ــ قد تدخل تدخلا سافرا ، وسعى دائبا حتى انتزع حكم البراءة لمرجريت التى كان قد عرفها قبيل الحرب العالمية الاولى ، وتوثقت بينهما صلات الود والصداقة خلال تلك الحـرب ، على ماأوردناه فى القسم الاول من اعترافات مرجريت !)**

أول حكم بالبراءة فى قضية قتل !!

• كان اطلاق سراح ماجى ميللر ، عقب الحكم ببراءتهـــا ، أشبه بخروج ممثلة من المسرح بعد نجاحها العظيم فى تمثيـــل دور هام !٠٠ فقد قدمت لها طاقات الزهور ، ورافقها الكثيرون الى فندقها ، وهاجمها جيش من مندوبى الصحف ومحرريها ٠ ولقد صرحت لهم ماجى بقولها : « **انى جد متأثرة بهذا الحكم ، وانى لاشكر العدالة البريطانية عليه !** »

وقبل ان تعود ماجى الى باريس ، أقامت مأدبةغداء للصحفيين فى « برنسس هوتيل » ٠ وقد خطب الجميع فى هذه الحفلة ، وطلبوا منها كتابة مذكراتها ونشرها ، وتقدم بعض أصحـــاب المسارح يعرضون عليها أدوارا فى رواياتهم التمثيلية !

وقالت لى ماجى : «سوف أحتفظ لهذا الغداء بأحسن الذكرى ٠ وقد ذهبت بعد الغداء لازور سـير مارشـال هول وأشـكره ٠ **وهنأتنى زوجته بحكم البراءة ، وعبرت عن فرحها بانتصـــار زوجها العظيم ، اذ كانت تلك هى المرة الاولى فى تاريخ بريطانيا، التى يحكم فيها بالبراءة فى قضية قتل !** »



السلوك الجنسى!

للباحث الأمريكى الكبير "الفريد كينزى" وآخرين

أثر الجنس فى تقدم المجتمعات وعرقلتها !

◆ يقدم لك « كتابى » فيما يلى حلقة جديدة من حلقات أعظم وأهم دراسة للجنس فى تاريخ البشرية ، وهى تلك الدراسة التى قام بها العلامة الامريكى الدكتور « الفريد كينزى » مع فريق من زملائه ، وجمعوا بياناتها من ١٢٠٠٠ فرد يمثلون كافة الاوساط ، والاجناس ، والاعمار ، فى المجتمع الامريكى . ولقد استعرض كينزى وزملاؤه ـ فى الحلقتين اللتين قدمناهما لك من قبل من كتابهم القيم « السلوك الجنسى لدى الانسان » ـ طائفة من البيانات العلمية ، بنوا عليها بعض آراء فى علاج مشكلات خطيرة كالزواج المبكر ، والبغاء ، والشذوذ الجنسى . وهم فى الحلقة التى تقرأها اليوم ، يجمعون العناصر من دراساتهم السابقة ، ليبدأوا فى رسم صورة مفصلة دقيقة،لالوان السلوك الجنسى لدى مختلف طبقات المجتمع الامريكى .. وهى صورة طريفة ، تثير الدهشة ، ولكنها خليقة أيضا بأن تثير فينا اهتماما خاصا بدراسة ألوان السلوك الجنسى فى مجتمعنا العربى ، فان البلاد العربية فى نهضتها الحالية خليقة بأن تعرف للجنس أثره وخطورته فى حياة الامم والشعوب ، فتوليه الدراسة التى تمكنها من ان تتفادى ماقد يكون له من آثار معرقلة للنهضات ، ومن ان تستغل ماقد يكون له من مفعول فى دفع الهمم وتعبيد طرق تقدم المجتمع ورقيه !

المبكرون فى البلوغ .. ذوو شخصية أقوى ومزايا أكثر !

◆ **نستطيع** ـ من كل الحقائق التى ذكرناها من قبل ـ ان نخرج بالنتائج الآتية :

أولا ـ الذكور الذين يواتيهم البلوغ مبكرا ، يبدأون نشاطهم الجنسى فور البلوغ ، ويظلون يمارسونه بكثرة محسوسة مدة ٣٥ أو ٤٠ عاما ، أو تظل العوامل التى يعزى اليها تبكير البلوغ قائمة طوال هذه المدة

ثانيا ـ ممارسة النشاط الجنسى لايضر بالمقدرة الجنسية .. اذ ان البيانات الواقعية أثبتت عكس ماتوحى به الدراسات النظرية فى هذا الصدد

ثالثا ـ الافراد الذين يتأخر بلوغهم عن السن المتوسطة للبلوغ ، يتأخرون عادة فى بدء النشاط الجنسى ، وهم يمارسونه بعد ذلك بتقتير سواء فى الشباب أو بعده٠والراجح انهم عادة لايستطيعون الاسراف

رابعا ـ الافراد الذين يواتيهم البلوغ مبكرا ، هم أكثر الذكور اتجاها الى الاستمناء ، والى انشاء العلاقات الجنسية مع الافراد الآخرين قبل الزواج ٠ فهم أكثر اقبالا على الاتصال الجنسى مع الذكور والاناث من سواهم

وهناك من البيانات مايرجح ان ذوى البلوغ المبكر يكونون أكثر من سواهم نشاطا ، وانتباها ، وسرعة بديهة ، ولباقة ، وقوة جسد،وميلا للنشاط الاجتماعى ، واندفاعا الى العدوان٠٠ وقد يجمع الواحد بين كل هذه الميزات ، أو يصيب منها ميزة واحدة أو أكثر !٠٠ وقد وجدت هذه الصفات فى بيانات ٥٣ فى المائة من المبكرين فى البلوغ الذين درسنا حالاتهم ٠٠ فى حين ان معالم الشخصية لدى المتأخرين فى البلوغ لم تطالعنا الا فى ٣٣ فى المائة منهم فقط ، بل اننا وجدنا ٥٤ فى المائة من ذوى البلوغ المتأخر ، يتصفون بالبطء ، وبميوعة الشخصية ، وبالتحفظ ، والخجل ، والتردد ، وعدم اللياقة الاجتماعية ٠٠ وهى صفات لم نجدها فى أكثر من ٣١ فى المائة من المبكرين فى النضوج

على ان هذا لايقطع بوجود رابطة بين الشخصية ومعدلات النشاط الجنسى ، لان الشخصية نتاج عدة عوامل وعناصر ٠ **ولكن هناك أدلة على أن ذوى البلوغ المتأخر معرضون لارهاق ضار اذا هم حاولوا أن يرفعوا معدلات نشاطهم الجنسى ٠** وقد تساعد هذه الحقيقة الاطباء المعنيين على محاولة التحكم فى سن البلوغ ، وبالتالى فى الصفات الشخصية التى تصيب الفرد بعد تلك السن

دور العامل النفسى فى التصرف الجنسى

• **السلوك** الجنسى لدى الانسان نتيجة نظم وعوامل وتجارب بدنية ، وطبيعية ، ونفسية ، تتحد كلها لتؤلف ظاهرة قائمة بذاتها ٠ على ان العامل النفسى يتغلب على ماعداه فى املاء التصرف الجنسى ، وهو ـ من ناحية ـ يتوقف على قوى ومؤثرات عديدة خارجة عن نطاق الفرد وكيانه ٠ وأهم هذه القوى الخارجية هى البيئة الاجتماعية ، التى تتألف من أسرة الفرد ، وأصدقائه المقربين ، وجيرانه ، وزملائه فى العمل ، ومعارفه ٠٠ كما تتألف من آلاف من الاشخاص الذين لم يرهم قط ، ولكن اتجاهاتهم ، وعاداتهم ، والآراء التى يعبرون عنها ، وأوجه النشاط التى يقومون بها جهرا ، تؤلف دائرة الثقافة التى يتحرك فيها هذا الفرد ويعيش !٠٠ فهذه كلها قوى اجتماعية تساهم فى توجيه السلوك الفردى ٠٠ وهى قد تفرض على الافراد قيودا وارهاقا بدنيا فى بعض الاحوال، كما انها قد تيسر نشاطهم البدنى فى أحوال أخرى ، بيد أن أكثر تأثيرها فى الفرد انما ينصب على الناحية النفسية !

لذلك، فسنتناول هنا الاسلوب الذى ينتهجه الفرد فى سلوكه الجنسى ، فندرسه من حيث علاقته بالاساليب التى يتبعها الاشخاص الآخرون فى الوسط الاجتماعى الذى نشأ فيه ، والذى يتحرك فيه ويتوطد كجزء منه خلال سنى حياته !٠٠ وتدل البيانات التى جمعناها على أن أساليب السلوك الجنسى قد تختلف اختلافا كبيرا ، باختلاف المستويات الاجتماعية فى المدينة الواحدة ، بل وتبعا لتباين أقسام الجماعة الواحدة ٠ وقد يصل اختلاف الاساليب ـ فى الجماعة الصغيرة ـ الى نفس المستوى الذى يصل اليه بين الاجناس المتباينة فى شتى أقطار الارض ٠ فليس لامريكا اسلوب واحد للسلوك الجنسى ، وانما هناك عشرات الاساليب ، يخص كل منها قسما معينا من المجتمع

الامريكى . وفى كل قسم توجد اتجاهات جنسية وأشكال للنشاط الجنسى الظاهر للعيان - أى غير المحوط بالتكتم والسرية - تنتهجها نسبة كبيرة من الافراد المنتمين لهذا القسم . ولا سبيل الى تفهم التقاليد الجنسية للشعب الامريكى مثلا، الآ بدراسة الاساليب الجنسيه لكل أقسام هذا الشعب.. وليس من اليسير تحديد المستويات الاجتماعية التى تمثلها هذه الاقسام . على اننا حددناها فى هذه الدراسه على أسس ثلاثة : **(١) المستوى العلمى الذى بلغه الفرد . (٢) الطبقة التى ينتمى اليها الشخص من حيث المهنة أو الحرفة . (٣) الطبقة التى كان ينتمى اليها والداه - من حيث المهنة أو الحرفة - عندما كان يعيش معهما** . وهناك ارتباط بين هذه الاسس الثلاثة ، فان المستوى العلمى الذى بلغه الفرد ، يحدد - الى درجة ما - مهنته أو حرفته ، ولكن ارتباطه بمستوى الذكاء لدى الفرد محدود ، فهناك أشخاص أذكياء يكفون عن المضى فى التعلم قبل أن يصلوا الى آخر المراحل التى يؤهلهم لها ذكاؤهم ، فى حين ان هناك أشخاصا محدودو الذكاء يوفقون الى المضى فى الدراسة الى ماوراء مؤهلاتهم الفكرية !

الاتجاه العام ينحو نحو الاستزادة من العلم !

• **على** انه ما من شك فى ان لكل مستوى اجتماعى اتجاهات معينة نحو التعليم . ومع انه لاتوجد اجراءات رسمية تدعم هذه الاتجاهات، الا أن هناك اتفاقا ضمنيا بين الجماعة بشأنه.. فابن الطبيب أو العالم الذى يقرر الكف عن الدراسة بعد المرحلة الاعدادية - مثلا - يجد نفسه مضطرا الى الدفاع عن هذا التصرف الفردى ، كما أن ابن العامل الذى يصر على المضى فى الدراسة الى مابعد السن التى يعمل فيها أبناء طبقته ليكسبوا عيشهم ويساعدوا اسراتهم ، يتعرض للوم !..
ولقد شهدت الثلاثون عاما الاخيرة تحولا بين الصغار عن المستوى

العلمى الذى بلغه آباؤهم ، ولكن هذا التحول يتجه ـ بوجه عام ـ الى الاستزادة من الدراسه !

واذا نحن انتقلنا الى ثانى الاسس التى تحدد المستوى الاجتماعى ـ أى الطبقة التى ينتمى اليها الفرد من ناحية عمله ـ نجد ان فى دراستنا الراهنة تسع طبقات ، هى : **الشخص العالة الذى يعتمد على أهله فى معاشه ، والفرد الذى يكتسب عيشه من طرق غير مشروعة ، والعامل باليومية ، والعامل غير الفنى ، والعامل الفنى ، وصغار المستخدمين ، وكبار المستخدمين ، وأصحاب المهن الحرة ، ومديرو المؤسسات التجارية والصناعية ، وأصحاب الثروات الكبيرة** • وهنا يكون تعيين طبقة الفرد أشد صعوبة من تعيين مستواه العلمى ، اذ ان البت فيما اذا كان العامل فنيا أو غير فنى ـ مثلا ـ ليس بالامر اليسير فى كل الاحوال

ولتحديد مستوى الفرد من حيث العمل علاقة وثيقة بتقسيم النظام الاجتماعى ، اذ أن هذا التحديد يبين المكانة الاجتماعية للعمل الذى يمارسه الفرد •• وهذا يقودنا الى الاساس الثالث من أسس تعيين المستوى الاجتماعى للفرد ، وذلك هو : الطبقة التى كان ينتمى اليها والداه ـ من ناحية العمل ـ أثناء اقامته معهما • فان طبقة الفرد الذى لايزال يقيم مع أهله ، تستند فى الغالب الى الطبقة المعيشية لهؤلاء الأهل •• أى الى طبقة العمل الذى يكسبون منه عيشهم

لا ارتباط بين الوضع الاقتصادى والمستوى الاجتماعى !

◆ **وفى** ضوء هذه الاسس الثلاثة ، نجد أن الفرد سرعان مايشعر فى صغره بالطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها ، فيعرف الحدود التى يباح له فيها أن يتحرك ويتصرف فى مختلف نواحى حياته • فكل فرد بالغ يتحرك ويعيش ويفكر فى حدود حركات ومعيشة وتفكير أبناء الجماعة التى ينتمى

اليها ، الى حد كبير . ومع انه لاتوجد حدود معينة ، ملموسة ، تفصل بين المستويات أو الطبقات الاجتماعية ، الا أن هناك عقبات وعراقيل تعترض التنقل بين طبقة وأخرى !.. **فقد تجرى بين أبناء المستويات الاجتماعية المختلفة اتصالات يومية أثناء نشاطهم المهنى أو الحرفى ، ولكن الغالب أن كلا منهم يتخذ أصدقاءه المقربين من أبناء طبقته !..** فكثيرا ماتجد الكتبة فى مصنع يتصلون بالعمال ويشتغلون معهم ، ولكن الفريقين نادرا مايختلطان بعد ساعات العمل !.. **وليس من الضرورى أن يكون للوضع الاقتصادى دخل فى تحديد المستوى الاجتماعى . فالمدرسون مثلا ينتمون الى طبقة المستخدمين التى تتطلع اليها الطبقات العاملة فى اكبار ، مع ان دخل هذه الطبقات قد يكون أعلى من دخل المدرسين !..** ومن ثم فان الدخل ، والوضع الاقتصادى ، لايدخلان فى تعيين المستويات الاجتماعية فى دراستنا هذه

ومن الحقائق المتعلقة بالمستويات الاجتماعية ، ان لكل جماعة تقاليدها وعاداتها واتجاهاتها الخاصة بالجنس ، والتى تختلف عما لدى غيرها . وسنتناول فيما يلى الفوارق البارزة بين أساليب السلوك الجنسى التى تنتهجها الطبقات الاجتماعيه ، مراعين تحليل أساليب كل وضع اجتماعى ، وكل مستوى علمى ، وكل طبقة حرفية أو مهنية ، على حدة

التفريج الجنسى فى مجموعه

• **يختلف** التفريج الجنسى من حيث العدد ، بتباين المستوى العلمى ، فيبلغ أعلى معدل له لدى الفتيان الذين يصلون الى مرحلة الدراسة الثانويه ، ولكنهم لايواصلون تعليمهم بعدها . ويلازمهم المعدل المرتفع أثناء هذه المرحلة الدراسية ، وبعد الانقطاع عن الدراسة . على ان هذا المعدل لايزيد عن معدل التفريج الجنسى لدى طلبة السنة الرابعة الاعدادية بأكثر من نسبة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ فى المائة ، وبنسبة تتراوح بين ٢٠

و ٣٠ فى المائة عن المعدل لدى الطلبة الذين يمضون فى الدراسة الى نهاية المرحلة الثانوية وبداية المرحلة الجامعية . ومن الواضح ان هذا التراوح لايرجع الى أثر من المدرسة ، فان المدارس التى تشتمل على المرحلتين الاعدادية والثانوية تضم هـذه المعدلات الثلاثة معا . **ومن ثم فلا بد ان الاختلاف راجع الى شيء يكتسبه الفتى من الوسط الذى ينشأ فيه ، والذى يعيش فيه أثنـاء الدراسة ، والذى سيظل فيه بعد ان يبرح المدرسة وينقطع عن التعليم . أو ربما كانت هذه المعدلات المرتفعة ناشئةعن مقدرة طبيعية أو بدنية ، تنمو بتقدمهم فى مراحل الدراسة . أى أنه لابد من وجود عامل اجتمـاعى أو عامل عضـوى طبيعى ، أو وجود العاملين معا**

وتجمع البيانات على أن أنشط فريق فى الناحية الجنسية ، هو .فريق الفتيان الذين يمضون فى الدراسة الى المرحلة الثانوية ، ولكنهم لايتجاوزون السنة الثانية منها . والطالب عادة ــ وفى الغالب ــ يبلغ السادسة عشرة من عمره عندما يصل الى السنة الثانية الثانويه . والطلبة الذين يهجرون المدرسة فى هـذه السن ، يمثلون فريقا من الفتيان لايمتـاز بالجد والاجتهاد ــ مهما تكن طاقته الذهنيـة وذكاؤه ــ بل هـو يمل الاعباء الدراسية ، ويتجه الى متابعة النشاط البـدنى والاتصـالات الاجتماعية ..

وأقل الذكور ــ من حيث عدد مرات التفريج الجنسى ــ فى هذا المجال ، هم الذين يمضون فى دراستهم الى نهاية المرحلة الثانوية ، وبداية المرحلة الجامعية . أما الفريق الذى لايتجاوز فى دراسته السنة الرابعة الاعدادية، فيقف بين الفريقين اللذين سبق ذكرهما . وتدل البيانات على أن ابناء هذا الفريق غالبا مايعانون من نقص التغذية والضعف البـدنى ، ومن ثم فان نضوجهم يتأخر . كما يضم هذا الفريق ذوى الضعف الذهنى والعقلى . على ان الذين يحظون من أفراد هذا الفريق بنمو بدنى

وعقلى طيب ، يكونون أكثر نشاطا من أى مستوى تعليمى آخر
ولا يختلف الحال بالنسبة للمتزوجين من الذكور عن هذه الصورة • فالمتزوجون الذين يمتازون بأعلى معدل للتفريج الجنسى ـ الاجمالى ـ هم الذين بلغوا أثناء الدراسة مرحلة التعليم الثانوى ولم يتجاوزوها • وينطبق هذا على من تتراوح أعمارهم بين السادسة عشرة والاربعين ، وربما إنطبق على الاعمار التى بعد ذلك أيضا • ومن الحقائق الجديرة بالاهتمام ـ فى هذا الصدد ـ ان ماينطبق على الناس فى العقد الثانى من أعمارهم ، يظل منطبقا عليهم فى مراحل العمر التى تلى ذلك ، ولا تشذ عن هذا الا فئة قليلة

العمال غير الفنيين أكثر تفريجا من غيرهم !

◆ **ولو** اننا تناولنا التحليل من ناحية العمل أو الحرفة ، فاننا نجد ان أصحاب المعدلات العليا فى التفريج الجنسى ـ فى مجموعه ـ هم فريق العمال غير الفنيين • وما ينطبق على أفراد هذا الفريق وهم فتيان يعيشون مع أهلهم ، نجده ينطبق عليهم أيضا عندما يستقلون عن أهلهم فى مراحل العمر الاخرى • ونلاحظ أن كثيرين من أفراد هذا الفريق لايمضون فى دراستهم الى مابعد المرحلة الاعدادية • ومن هنا نلاحظ التطابق بين التحليل القائم على أساس العمل ، والتحليل القائم على أساس التعليم •

وأصحاب المعدلات الدنيا فى التفريج الجنسى الاجمالى ـ فى هذا المجال ـ هم أرباب الحرف الفنية ، كالميكانيكيين • أما بين أصحاب المهن ـ كالكتبة والمدرسين والمحامين والاطباء ـ فنجد ان حملة الشهادات العليا والجامعية هم أصحاب المعدلات العليا فى التفريج الجنسى

حقائق غريبة •• فى دنيا الجنس !

◆ **واذا** نحن تأملنا التفريج الجنسى فى مختلف أوجهه ، على

ضوء المستويات الدراسية أو الحرفيه والمهنية ، خرجنا بالنتائج التالية :

أولا ـ أكثر الاعزاب ممارسة للعادة السرية ، فى كافة مراحل العمر ، هم الذين مضوا فى التعليم الى نهاية المرحلة الثانوية وبداية المرحلة الجامعية . **ويظل مابين ٦٠ و ٧٠ فى المائة منهم يمارسون العادة السرية بعد زواجهم وفى مراحل العمر التى تلى الزواج !.. أما اذا تناولنا التحليل من حيث الاعمال والحرف ، فاننا نجد ان أصحاب المهن الحرة هم الفريق الاكثر ممارسة للعادة السرية ، سواء أكانوا ينحدرون من أسر تنتمى للمهن الحرة أو للحرف الفنيه أو غير الفنية .** وأصحاب المهن الذين ينتمون لآباء من صغار المستخدمين يقل معدل ممارستهم للعادة السرية ٢٥ فى المائة عن بقية أبناء طبقتهم (أى أصحاب المهن الحرة)

ثانيا ـ من الغريب ان نجد فوارق بين المستويات التعليمية والمهنية فى الاحتلام الذى يواتى الافراد أثناء النوم ، مع انه يبدو لونا غير اختيارى من ألوان السلوك الجنسى ! .. وتدل البيانات على ان الاحتلام أكثر حدوثا بين الذين يواصلون الدراسة الى نهاية المرحلة الثانوية وبداية المرحلة الجامعية منه بين سواهم . وهو يبدأ عندهم فى سن مبكرة عن تلك التى يبدأ فيها عند من يقلون عنهم فى المستوى التعليمى . وقد وجدنا ان ٩١ فى المائة من الذكور الاعزاب الذين يجتازون هذه المرحلة التعليمية ـ وتتراوح أعمارهم بين ١٦ و ٢٠ عاما ـ يحتلمون ، فى حين أن نسبة من يحتلمون فى مثل هذه السن من المستويات التعليمية الاخرى ، لاتتجاوز ٥٦ فى المائة. **وفيما بين سن البلوغ وسن الخامسة عشرة، يبلغ معدل احتلام ذوى التعليم العالى سبعة أمثال معدل من يقلون عنهم تعليما !** أما فيما بين سن السادسة عشرة والعشرين ، فان المعدل الاول يهبط الى ثلاثة أمثال الثانى . وتظل هذه النسبة

تقريبا الى سن الثلاثين على الاقل · أما بعد الزواج ، فالفارق بين مستويات التعليم فى الاحتلام طفيف

وارتفاع معدل الاحتلام بارتفاع التعليم ظاهرة ليس لها تبرير واضح ، وخليق بالعلماء والاطباء النفسيين أن يدرسوها!

ثالثا ـ ومعابثة الجنس الآخر لون من التفريج الجنسى الشائع بين الذين مضوا فى دراستهم الى نهاية التعليم الثانوى، والذين درسوا فى المعاهد العليا ·· فان ٩٢ فى المائة منهم يمارسونه ـ بطريقة ما ـ قبل الزواج ، فى حين ان ٨٨ فى المائة من الذين اقتصروا على المرحلة الاعدادية يمارسونه · وقد لا يبدو الفارق هنا كبيرا ، ولكنه أكبر وأكثر ظهورا فى فنون المعابثة والحدود التى يتمادى اليها أفراد كل فريق · **على أن طلبة المرحلتين الاعدادية والثانوية ـ بوجه عام ـ يكونون فى سلوكهم أكثر تقيدا من طلبة المرحله الجامعية !**

رابعا ـ كلما صغرت السن ، كان الاتجاه الى مجامعة الزميلات أكثر منه الى مجامعة البغايا ، فى جميع الطبقات الاجتماعية ، وكلما كبرت السن ، زاد اتجاه الاعزاب من ذوى التعليم الناقص الى البغايا عنه الى الزميلات · والعكس بين ذوى التعليم العالى، حتى فى سنوات العمر التى تلى التعليم · **على ان هذا اللون من التفريج أكثر شيوعا بين ذوى التعليم الاعدادى والثانوى عنه بين الجامعيين** · وقد يدهش المرء اذا رأى الرقم الكبير الذى يشير الى الجامعيين الذين مارسوا الجماع قبل الزواج ، ولكن الدهشة تزول اذا حسب عدد المرات التى يمارس فيها طالب الجامعة هذا اللون من ألوان التفريج ، فان المعدل بين الجامعيين أقل منه بين أية طبقة اخرى

خامسا ـ وبين الذين لم يتزوجوا حتى سن الخامسة والعشرين ، نجد أن ممارسة الجماع مع البغايا وجدت اقبالا من ٧٤ فى المائة ممن درسوا حتى المرحلة الاعداديه ، و ٥٤ فى المائة ممن أتموا المرحلة الثانوية ، و ٢٨ فى المائة ـ فقط ـ

ممن واصلوا الدراسة الى النهاية . وتنطبق هذه النسبة على أبناء الجيل السابق انطباقها على ابناء الجيل الحالى . **وتدل البيانات على انه كلما قل المستوى الدراسى للفرد ، كلما كان اتصاله بالبغايا أكثر تبكيرا من سواه !**

سادسا ـ والمتزوجون فيما بين السادسة عشرة والعشرين من العمر ـ ممن اقتصروا فى تعلمهم على المرحلة الاعدادية ـ يمارسون ٨٠ فى المائة من وسائل التفريج الجنسى الاجمالى بمجامعة زوجاتهم ، و ١١ فى المائة بمجامعة نساء أخريات عدا زوجاتهم . أما الذين أتموا المرحلة الثانوية ، فيرتفع المعدل الاول عندهم الى ٩٠ فى المائة ، فى نهاية العقد الرابع وبداية العقد الخامس من أعمارهم ، أى بعد ٤٥ وقبل ٥٥ . **ومن الظواهر الغريبة ، ان التفريج الجنسى لدى المتزوجين ـ ممن أتموا التعليم العالى ـ يشتمل على نسبة كبيرة من الاستمناء (أى العادة السرية) ، والاحتلام ، ومباشرة غير الزوجات ، فى حين ان المتزوجين من ذوى التعليم الناقص قلما يمارسون العادة السرية أثناء الزواج ، لاسيما كلما تقدمت بهم السن .** ويعلل البعض هذه الظاهرة ، بأن ناقصى التعليم يبدأون بالتفريج الجنسي المتعدد الطرق ، ثم ينتهون الى الاستقرار على مجامعة الزوجة وحدها . ويمكن الرد على هذا المنطق بأن البيانات توحى ـ من ناحية أخرى ـ بأن ذوى التعليم العالى يبدأون بالاقتصار فى التفريج الجنسى على علاقاتهم بزوجاتهم ، ولكنهم لا يلبثون أن يلجأوا الى طرق أخرى . وكلا التعليلين غير صحيح فى الواقع ، لان الظاهرة تنطوى على عدة عوامل خلال الحياة الزوجية ، لدى مختلف الطبقات ، مما لم تتوفر بعد البيانات لدراسته

سابعا ـ وبين الاعزاب من الذكور ، نلاحظ أن معاشرة الجنس للجنس تكاد تنعدم بين الطبقات التى واصلت تعليمها الى مابعد المرحلة الاعدادية ، وهى أقل ماتكون بين من

تلقوا تعليما عاليا .. **على ان هذا لايعنى ان ٢ أو ٣ فى المائة من هؤلاء يظلون يمارسون هذا الشذوذ الجنسى بعدالزواج! ..وليس من شك فى ان كثيرين من ذوى التعليم العالى الذين درسنا حالاتهم ، كتموا بعض البيانات التى كانت تعوزنا فى هذا الصدد !**

ثامنا ـ وتقتصر مجامعة الحيوان على الذكور الذين ينشأون فى الريف . أما أبناء المدن فنادرا مايمارسونها ، وفى فرص عابرة .. ولهذا نجد معدل الذين يقبلون على هـذا اللون من التفريج الجنسى جد منخفض : فهـو لايعدو ١٤ فى المائة بين الريفيين الذين لم يمضوا فى التعليم الى مابعد المرحلة الاعدادية، وحوالى ٢٠ فى المائة بين الذين استكملوا الدراسة الثانوية ، و ٢٦ فى المائة ممن تلقوا دراسات جامعية ! .. أما من ناحية عدد مرات الممارسة ، فنجد ان الفريق الذى اكتفى بالدراسة الاعدادية هو الاكثر ، فى حين أن الفريق الجامعى هو الاقل !

كلما ارتقى علم المرء ازداد تهيجه بالمثيرات !

• **والى** جانب هذا التباين فى مصادر التفريج الجنسى وعدد مراته ـ بين المستويات الاجتماعية ـ نجد تباينا آخر فى نواح جنسية أخرى ، كمصادر التهيج ، وكميول الافراد الى العرى ، وكفنون وأساليب السعى لبلوغ اللذة القصوى والقذف .

فأبناء المستوى الراقى يتعرضون لعدة مصادر للاثارة تؤدى بهم الى التهيج ، فى حين ان أبناء المستوى الادنى قلما يتهيجون بغير الاحتكاك البدنى . والواقع ان السبب الحقيقى لسرعة تهيج أبناء أرقى المستويات تعليما ، واستجابتهم لاى عامل مثير ولو لم يكن يؤدى الى الجماع الفعلى ، يرجع الى أن قيودالوسط الاجتماعى الذى يعيشون فيه لاتمكنهم من ان ينالوا مايشتهون بسهولة ، كما يرجع الى مقدرتهم على التصور والخيال ! **ومن ثم نراهم يتأثرون بمجرد التفكير فى النسـاء ، أو رؤيتهن ، أو**

رؤية الفتيان الملاح من الذكور ، أو مشاهدة الافلام الماجنة والافلام الغرامية ، أو قراءة القصص الغرامية – ولو فى الادب الرفيع – أو مشاهدة الحيوانات أثناء اتصالهـا الجنسى ، أو الاطلاع على المؤلفات التى يسودها الطابع السادى والماسوشيستى ، أى التى تصور اللذة مقترنة بالالم والايلام · وقد يعمد الواحد منهم الى ممارسة العادة السرية لمجرد تأثره بصورة !·· وليس بين هذه المصادر جميعا مايثير أبناء الطبقات الاقل تعلما

ومع ان مثل هذا الاختلاف يبدو ناشئا عن عوامل نفسية ، الا انه – فى الواقع – ينطوى ايضا على عامل يمت للتقاليد · فكل وسط يعتقد ، فيما بينه وبين نفسه ، ان أفراده عرضة للتهييج الشهوانى فى ظروف معينة · ومن ثم نرى ان الطالب الجامعى الذى لايكف عن الحديث عن الفتيات ، انما يفعل ذلك وهو يدرك ان غيره من أبناء وسطه لن يلبثوا ان يتهيجوا بمثل هذا الحديث · أما الذكر الاقل تعلما ، والذى يتحدث باستمرار عن الفتيات ، فقلما يتهيج بهـذا الحديث ، بل إنه ينظـر الى الشخص الذى يستثيره الحديث عن الفتيات نظرة استهجان واستصغار !·· ومثل هذا الاختلاف بين الاثنين يرجع فى الواقع الى العادات والتقاليد · وأظهر آثار هذه العادات والتقاليد ، هو مايبدو ازاء العرى !

مذهب العرى بين فرنسا وأمريكا !

◆ **ما** أقل النواحى التى يتعرض فيها السلوك الجنسى لرد فعل كالذى يتعرض له عند مخالفة العرف فيما يتعلق بالثياب وبتعرية الجسم ! وتتباين العادات والعرف بتبـاين الثقـافات والشعوب ، بل وبتباين الاوساط فى البلد الواحد · وليس من مبررات للعادات تبنى على أسس علمية ، وانما هى من نتـاج التقاليد · فنحن نرى ان الهنود الحمر ، فى أكثر المنـاطق حرارة فى جنوب المكسيك ، يرتدون ثيـابا ثقيلة ، فى حين ان

الهنود الحمر الذين يعيشون فى المناطق الجبلية الباردة ، فى شمال المكسيك ، شبه عرايا !٠٠ ذلك لان تاريخ الثياب يقوم على عادات بنيت على الاتجاه العام نحو العرى وتحريمه أو عدم الاكتراث به ٠ والشعب الانجليزى أكمل الشعوب ثيابا ، فى حين ان الامريكيين يعملون على التحرر البطىء من العادات التى ورثوها عن الانجليز فى الملبس !٠٠ **ويعزو الامريكيون العرى فى الملاهى والافلام الفرنسيه ، الى قلة تمسك الفرنسيين بالاخلاق ٠ ومع ان الملاهى والافلام الامريكية حاولت ان تسلك هذا الطريق ، الا انها لم تستطع أن تستسيغ العرى الكامل أو أن تظهره !٠٠ كذلك لم يجد مذهب العرى فى أمريكا مجالا الا بعد جدل طويل من الرأى العام ٠٠ وما سمح للذكور فى امريكا بالظهور على الشواطىء أو حول أحواض السباحة بصدور عارية ، الا منذ عشر أو عشرين سنة فقط !!**

والعرى أكثر نواحى النشاط الجنسى تعرضا للقيود ٠٠ بل ان القيود التى تفرض عليه قد تفوق مايفرض على أى نشاط جنسى سافر ٠ وهذه القيود تختلف باختلاف الساعات والظروف ٠ فزى السباحة الذى يباح للمرأة ان تظهر به على الشاطىء ، محرم فى معظم الاماكن الاخرى ٠ وفى منتصف النهار ، قد يسمح للسيدة بأن تظهر ذراعيها عاريتين ، بينما يستهجن منها أن تكشف ظهرها ٠ أما فى السهرات ، فلها ان تعرى كل ظهرها ، بينما يستحسن منها ان ترتدى قفازين طويلين يغطيان ساعديها !

العرى يجد رواجا بين طبقات المجتمع الراقية !

◆ **بل** ان العادات ـ فيما يتصل بالعرى ـ تختلف من طبقة الى اخرى من طبقات المجتمع ٠ ففى أمريكا ، نجد ان الطبقات العليا تتقبل العرى فى تسامح تام ، فى حين ان الطبقات الدنيا تتزمت ازاءه ٠ ومن ثم ففى بيوت الطبقات الراقية من المجتمع

الامريكى ، تجد تساهلا تاما ازاء تعريض كل من الجنسين لجسمه أثناء تبديل الملابس أو عند الاستحمام ، ويتساوى فى هذا الآباء ، والابناء صغارا كانوا أو كبارا • بل ان عادة النوم فى عرى تام أو جزئى تتفشى باطراد فى أوساط هذه الطبقات • فبين الذكور الذين تلقوا تعليما عاليا ، نجد ان ٤١ فى المائة ينامون عرايا فى كثير من الاحيان ، فى حين ان الذين يقبلون على هذه العادة ، من ذوى التعليم الثانوى ، لايزيد على ٣٤ فى المائة •• وتهبط هذه النسبة الى ١٦ فى المائة بين الذين اقتصروا على المرحلة الاعدادية فى دراستهم !

وفضلا عن هذا كله ، نجد ان أبناء الطبقات الراقية يرون العرى ضرورة عند الجماع ، ومن ثم فان ٩٠ فى المائة منهم يحرصون على هذه العادة ، ولا يمارسون الجماع وهم مرتدون ثيابهم الا فى ظروف غير عادية ، أو عندما يتوقون الى لون من ألوان التغيير • أما الذين يقتصرون فى تعليمهم على الدراسة الثانوية ، فان نسبة من يحرصون منهم على العرى أثناء الجماع لاتتجاوز ٦٦ فى المائة • وتهبط هذه النسبة الى ٤٣ فى المائة بين الذين اقتصروا على الدراسة الاعدادية • وهذا الحرص من الطبقات الدنيا على تجنب العرى ـ حتى فى الجماع ـ ناشىء عما اعتادوه من استهجان للعرى عامة ، واعتباره عملا مرذولا ، حتى انهم يتجنبون تعريض أجسامهم لاى فرد أثناء استبدالهم ملابسهم فى بيوتهم وبين أفراد اسراتهم • وتتجلى هذه العادة فى العلاقات الجنسية لدى أبناء الطبقات الدنيا ، حتى ان منهم من يعرض عن الجماع اذا خلعت المرأة ثيابها قبل مباشرة العملية !

انتشار المعابثة باليد والفم بين الطبقات الراقية !

◆ **تنتشر** ـ فى الاوساط الاجتماعية العليا ـ عادة المداعبة باليد بين أى شريكين فى العملية الجنسية • وأكثر الذكور

اقبالا على هذه المداعبات اليدوية ، هم أولئك الذين تستهويهم أحاديث الزملاء والرفاق عن ان المرآة تحتاج عادة الى مزيد من الاثارة الجنسية لكى تتهيج وتصل الى ذروة اللذة فى الجماع. وتتم المداعبة عن طريق العبث بثدى الانثى فى ٩٦ فى المائة من حالات المتزوجين من أبناء الطبقة الراقية ، كما تتم عن طريق العبث بعضو التأنيث فى ٩٠ فى المائة من الحالات (ومعنى هذا ان ٩٠ فى المائة يعمدون الى الاثارة بالطريقة الاخيرة ، بينما يضيف ٦ فى المائة اليها الطريقة الاولى!) . **ويعتقد ذوو التعليم العالى ان هذه المداعبات ضرورية لتهييج المرأة ، فى حين تدل الاحصاءات الاولية على ان مرات بلوغ ذروة اللذة لدى الاناث من الطبقة الدنيا ، تفوق بكثير مثيلاتها لدى نساء الطبقة العليا، رغم ان الاوليات لايلقين من الاثارة اليدوية قدر ماتلقينه الاخريات !**

ويرى كثيرون من أبناء الاوساط العليا ان اللجوء الى قدر من الاثارة بالفم أمر مرغوب فيه فى العلاقات الجنسية .. ومن ثم فمن الشائع آن للقبلة بالشفتين قيمة جنسية الى حد ما . وكم من الذكور الذين تلقوا تعليما عاليا انتشى بتقبيل مئات الاناث دون أن يجامع أيا منهن !.. وعلى العكس من ذلك ، كم من ذوى التعليم البسيط جامع مئات الاناث دون أن يقبل الا القليلات منهن !.. والقبلات عند هؤلاء قد تقتصر على تلامس الشفاه ، فى حين انها لدى ذوى التعليم العالى تكون عميقة ، اذ انها تستخدم كمصدر للتهييج، لاسيما وانها قد تنطوى على اتصالات ومعابثات باللسان، ولا يبدو ان للقواعد الصحية اعتبارا فى هذه الحالات !.. والواقع آن ذوى التعليم البسيط يرون ان المعابثات التى من هذا النوع آن هى قذارة ، ومصدر للامراض!

ومداعبة ثدى الانثى بفم الذكر أمر شائع فى جميع الاوساط الاجتماعية ، ولكنه أكثر مايكون شيوعا فى الاوساط العليا . ومن الطريف ان الاناث لايحاولن من ناحيتهن أن يعابثن ثدى

الذكر !٠٠ وبينما نجد أبناء الاوساط العليا يقبلون على معابثة الثدى بالفم واليد كوسيلة لازمة ، نجد انأبناء الاوساط الدنيا لايقبلون عليها الا للتنويع فى علاقاتهمالجنسية ٠ وهذا التباين يؤكد عدم وجود أصل لهذه المعابثة فىالطبيعة الاصليةللانسان، فى حين آن شيوعها ــ على درجات ــ فى جميع الاوساط ،يؤكد ان العرف والعادات المتوارثة من أزمان بعيدة ، هى العوامل الاصلية !

ومداعبة الرجل لعضو التأنيث بالفم أكثر شيوعا بين ذوى التعليم العالى منه بين أبناء الطبقات الاخرى ٠ وقد ورد فى البيانات التى ادلى لنا بها من درسنا حالاتهم ممن أتموا التعليم العالى ، ان ٧٢ فى المائة منهم جربوا هذا اللون من المداعبة ، بينما جربه ٦٥ فى المائة ممن آتموا تعليمهم الثانوى ٠ اما الذين جربوه ممن لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الاعدادى فلا يزيدون على ٤٠ فى المائة ٠ وتقل نسبة من يمارسون معابثه عضو ا نأنيث بالفم بعد الزواج عنها قبل الزواج لدى الاوساطالعليا، بينما تزيد لدى الدنيا ٠ أما فى حالة العلاقة الجنسية بين اثنين من الذكور ، فنجد ان مداعبة عضو التذكير بالفم أكثر شيوعا بين ذوى التعليم الثانوى ، عنها بين ذوى التعليم العالى !

أساليب السلوك الجنسى ومنشأها عند الامريكيين

◆ **نخلص** من هذا كله الى ان السلوك الجنسى للفرد يتألف من عدة أشكال وأساليب ٠٠ ونجد ان شطرا كبيرا من جميع الافراد فى آية جماعة أو وسط ــ فى أمريكا ــ يتبع أساليبمن السلوك الجنسى تمتاز بها جماعته أو الوسط الذى ينتهى اليه، ولا يتبعها من الاوساط الاخرى سوى نفر قليل ٠ ومن الطبيعى أن يتساءل المرء هنا : لماذا تختلف أساليب السلوك البشرى بالشكل الذى رأيناه بين مختلف الاوساط الاجتماعية ؟٠٠

وللاجابة عن هذا السؤال علميا ، يجب ان ندرك كيف نشأت هذه النماذج أو الاساليب ، وكيف انتقلت الى كل فرد ، وكيف أصبحت أساليب قاعدية لنسبة كبيرة من أفراد كل جماعة أو وسط . كذلك من المهم ان ندرك الاهمية الاجتماعية لهذه الالوان من السلوك الجنسى ، اذ ان هذا الادراك كفيل بأن يساهم فى تخفيف التوتر الذى ينشأ فى العلاقات بين فئة من الناس وفئة اخرى ، بسبب الجهل بالفلسفات الجنسية والسلوك الجنسى لدى كل فئة

ويعتبر الاستمناء فى الطبقات الدنيا من المجتمع الامريكى نوعا من الشذوذ ، ووسيلة صبيانية يستعاض بها عن العلاقات الجنسية الصحيحة . ومع ان معظم المراهقين من هذه الطبقات يعمدون الى الاستمناء فى أوائل البلوغ، الا أنهم نادرا مايثابرون عليه لاكثر من بضع مرات ، أو بضعة أشهر، أو اعوام قلائل .. ويعزف الذكر من هؤلاء عن الاستمناء فور ممارسته أول جماع مع انثى . ونجد ان الفتى الذى يظل على الاستمناء بعد الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره ، يشعر بخجل وخزى بين رفاقه ، **لا لأدراكه انهم يرون فى العادة السرية عملا يضر بالجسم ، وانما لانهم يرون فيها شذوذا ، ومظهرا لعجز الفتى عن الاتصال بالجنس الآخر . ولعل ذوى التعليم الراقى ــ الذى يعتمدون على الاستمناء كمصدر للتفريج الجنسى قبل الزواج ــ يدهشون لهذا الرأى الشائع لدى من هم أقل منهم علما !.. ومن ناحية أخرى ، نرى ان أبناء الطبقة الراقية التعليم لاينظرون الى العادة السرية كشىء مرغوب أو مستحب ، وانما هم يعتبرونها أقل مجافاة للاخلاق والآداب من الاتصالات بالاناث !..** وقد ازداد اقبالهم عليها خلال ربع القرن الاخير ، حتى ان بين طلبة الجامعات فى أمريكا اليوم من لايرى ضيرا فى المجاهرة بأنه يمارس العادة السرية كوسيلة للتفريج الجنسى . ولكن الاغرب من هذا ، ان العادة تلازمهم بعد الزواج ، اذ ان

احتمال استمتاعهم بالجماع يكون ضعيفا فى أكثر الاحيان ، لجهلهم بوسائله وفنونه ، ولضعف تهيج الاناث اللاتى يتلقين تعليما جامعيا !

« البكارة » ٠٠ والعفة الموهومة !

◆ **وتشتد** الفوارق بين الطبقات الاجتماعية فى أمريكا ، من حيث شعورها ازاء العبث الجنسى ، وازاء الاتصال بالجنس الآخر اتصالا لايبلغ حد الجماع ٠ فابناء الطبقة ذات التعليم العالى ، يرون آن الوسيلتين تعوضان عن الجماع الفعلى ، اذ ليس أهم — فى عرفهم الادبى — من المحافظة على بكارة الانثى ، بل وعلى عفة الذكر الى درجة ما ! ٠٠ ويكتسب الاقبال على العبث الجنسى قبل الزواج أهمية من شعور الذكر بأنه يكسبه خبرة بفنون العلاقات الجنسيه تفيده بعد الزواج ! ٠٠ ويتيح هذا اللون من التفريج الجنسى للذكر ان يبلغ ذروة اللذة والقذف ، مع تفادى احداث الحمل ، ومع المحافظة على « بكارة » شريكته فى العملية ٠ وهذا من أهم أسباب اقبال الطبقة العليا فى أمريكا عليه ولهم فى ذلك فنون ابتكروها تصل بهم الى نوع من الجماع الظاهرى — أى الذى لاينتهك البكارة — **كما ان لهم آراء عجيبة ازاءه ، فان الفرد الذى يمارس هذا اللون من التفريج الجنسى يظل معتقدا بأنه محافظ على « عفته » ! ٠٠ أما ابناء الطبقات الاقل تعليما ومكانة ، فيرون فى هذا اللون عبثا لامعنى له ، كما انهم يعتبرونه من المحرمات ، بحكم العرف والعادات المتوارثة منذ مئات — بل الآف — الاعوام ، وان كانت الاجيال الحديثة قد بدأت تخرق هذا العرف ، اذ يستهويها ماذكرناه من اعتقاد الشبان بأن المعابثة قبل الزواج تكسب المرء خبرة بالفنون الجنسية بعد الزواج ٠**

« ادخار » الاتصال الاول لشريكة الحياة !

◆ **وينظر** أبناء الطبقة ذات التعليم العالى — فى أمريكا — الى

الجماع قبل الزواج من زاوية خلقية ، كما ان من ابناء الاجيال الحديثة من يقولون انهم لايتفادونه لانه خطيئة ، وانما حرصا منهم على « ادخار » الجماع الاول ، كشىء ثمين لاتجب ممارسته الا مع الحبيبة المختارة لتكون شريكة العمر !.. **على ان ٨٥ فى المائة ممن لايتلقون تعليما عاليا ، يرون فى الجماع قبل الزواج أمرا طبيعيا وعاديا ، لاعلاقة له بالخطيئة !..** وهو يتفشى فى الاوساط التى لم تتجاوز فى تعليمها المرحلة الاعدادية ، حتى اننا لم نعثر على فرد واحد فى مجموعتين أو ثلاث من المجموعات التى درسناها فى هذه الطبقة - لم يمارس الجماع مع الجنس الآخر ، عندما بلغ السادسة عشرة أو السابعة عشرة ! ومع ذلك ، نراهم يعلقون أهمية على « البكارة » ، حتى ان الشاب منهم يرفض الزواج من فتاة فقدت بكارتها . ولعل مرجع ذلك الى العادة والعرف أكثر منه الى اى شىء آخر . وهم متقلبون الى درجة كبيرة ، حتى ان الفرد منهم لايكاد يجامع انثى واحدة **أكثر من مرة واحدة !**

على أن أبناء الطبقة الدنيا لايلبثون ان ينظروا فى اشمئزاز الى هذا التقلب بعد الزواج ، وان ظل بعضهم - لبضع سنوات قلائل بعد زواجه - يمارس العلاقة مع غير زوجته ، الى جانب ممارستها مع الزوجة !.. **وعلى النقيض من هذا ، أبناء الطبقة العليا ، اذ ما يكاد الواحد منهم يتعود الجماع مع زوجته ، حتى يشرع فى ممارسته مع غيرها أيضا !..** ومرجع ذلك الى أن الذكر - فى هذه الطبقه - يكبح نفسه عن الجماع طويلا قبل الزواج ، فاذا ماتزوج ، حال جهله بوسائل تكييف علاقاته مع زوجته فى الجماع دون الظفر بكل غاياته . ومع ذلك ، فهناك شك فى ان كثيرين منهم يجدون السبيل ميسرة الى مجامعة غير الزوجة

الذين يستنكرون الشذوذ .. يقبلون عليه !

◆ **ننتقل** بعد هذا الى العلاقة الجنسية مع أفراد من نفس

الجنس . والفوارق المحسوسة بين طبقات المتعلمين الثلاث - من حيث الاقبال وعدد مرات الممارسة - تنم عن فوارق أصلية فى الآراء والميول . فنحن نجد أن العلاقات الجنسية - سواء مع الاناث أو الذكور - أمر لا مناص منه لدى أبناء الطبقات الدنيا ، لاسيما وان الرقابة على الابناء فى هذه الطبقات ضعيفة ، ومن ثم نراهم يندمجون فى علاقات جنسية مع أبناء جنسهم أو الجنس الآخر ، فى سن مبكرة . ولما كان أبناء هذه الطبقة يواصلون - بعد البلوغ - ما ألفوه من سلوك قبله ، لذلك فلا عجب اذا وجدنا أن عددا غير قليل منهم يواصلون علاقاتهم مع الجنسين شطرا كبيرا من حياتهم . على أن أهم مايلاحظ ، هو اننا قل ان نجد فردا من هذه الطبقة يقتصر فى علاقاته الجنسية على مجامعة أفراد من جنسه فقط !

أما اقبال أبناء الطبقة ذات التعليم العالى - فى أمريكا - على الاتصال الشاذ ، فيرجع الى عوامل تتعلق بدرجة ادراكهم للحقائق ، وبالاستعدادات الذهنية ، والامكانيات الاجتماعية، أكثر مما تتعلق بالناحية الجنسية . **على ان أعلى نسبة لهذا الشذوذ انما توجد لدى الفريق الاكثر تصريحا باستنكاره !.. ونعنى به الفريق الذى يستكمل الدراسة الثانوية ولكنه لا يتجاوزها .. فان أفراد هذا الفريق قد يذهبون فى اعلان استنكارهم لهذه العلاقة الجنسية الشاذة الى حد اضطهاد ممارسيها ، ومع ذلك فان نسبة الشذوذ بينهم تفوق مثيلاتها لدى الفريقين الآخرين : فريق ذوى الدراسات العليا ، والفريق الذى يقتصر على المرحلة الاعدادية !..** ولعل مرجع ذلك الى الفضول ، والى الطمع فى كسب مالى من وراء ممارسة هذه العلاقة ، أو الى أسباب « سادية » ، اذ يتاح للفرد ان يضرب زميله فى العملية بعد الوصول الى ذروة اللذة والقذف !.. وعندما يجد الفرد من أبناء هذه الطبقة ان الاقبال على مجامعة أحد الذكور لم يعد يدر عليه كسبا ماديا ، فانه لايكف عن

هذا اللون من العلاقات الجنسية ، بل يبدأ فى دفع الثمن لمن يقبل مشاركته فى العملية !

(والآن ، وقد فرغ كينزى وزملاؤه من استخلاص الحقائق الاساسية عن مصادر التفريج الجنسى ووسائله لدى مختلف طبقات المجتمع ، يشرعون فى دراسة وكشف المبررات التى تعلل بها كل طبقة من طبقات المجتمع سلوكها الجنسى ، ويتحدثون عن المشكلات التى تعانيها السلطات فى الجيش والبحرية بسبب تباين السلوك الجنسى .. ثم يعالجون علاقة السلوك الجنسى بالقوانين ، ويتناولون بعد ذلك تأثير البيئة الريفية ، والبيئة الحضرية ، والدين ، على السلوك الجنسي . وكل هذه الموضوعات وغيرها من المعلومات الشيقة ، نقرأها معا فى العدد القادم من « كتابى » باذن الله)

مات كينزى !

« **كتابى** » : بينما كان هذا العدد ماثلا للطبع ، كان أكبر خبير عالمى فى المسائل الجنسية يحتضر فى مستشفى يقع على مسافة قصيرة من المعهد الذى أنشأه فى ولاية « انديانا » الامريكية ، ليتوفر فيه مع أعوانه على الدراسات والابحاث الجنسية ..

وفى مساء يوم السبت الاسبق أسلم الدكتور « ألفريد تشارلس كينزى » الروح . وكان أقسى مافى الامر ، ان الموت وافاه وهو يتأهب لمواجهة الحكومة الامريكية دفاعا عن الرسالة التى توفر على ادائها منذ سنة ١٩٣٨ ، والتى سجل أولى نتائج أبحاثه فيها ، في كتابيه : «السلوك الجنسي لدى الذكر الآدمي»

و « السلوك الجنسى لدى الانثى الآدمية » ٠٠ اذ كانت الحكومة الامريكية قد دعته لكى يمثل فى ٣١ أغسطس أمام لجنة تتولى التحقيق معه فيما أورده فى الكتابين من بيانات عن الشعب الامريكى ، وفيما كان ماضيا فيه من أبحاث فى معهده !

سؤال يسبب أعظم بحث جنسى فى التاريخ !

◆ **ولعل** أطرف مافى حياة « كينزى » انه بدأ حياته بالتوفر على دراسة علم الحيوان ، وظل يرقى المناصب الجامعية ، حتى غدا استاذا فى هذا العلم ٠ وفى سنة ١٩٣٨ ، كان يلقى احدى محاضراته ، حين وجه اليه طالب سؤالا حيره ٠٠ وكان سؤالا بسيطا ، خطر للطالب عفوا ٠ ولكن الاستاذ المخلص لعلمه لم يشأ أن يجيب عليه اجابة عابرة ، بل مضى يفكر فيه ويدرسه . فاذا به يتبين انه من الاسئلة التى لاتوجد اجاباتها فى الكتب ٠٠ ومن ثم عكف على استخلاص الاجابة من دراسة حياة ١٢٫٠٠٠ من الذكور و ٦٫٠٠٠ من الاناث،واستدراجهم الى الافضاء ببيانات دقيقة عن تصرفاتهم الجنسية ، واجراء أبحاث علمية ونفسية واجتماعية لتمحيص هذه البيانات ٠٠ حتى استطاع بعد ست سنوات أن يخرج الكتاب الاول عن السلوك الجنسى للذكور ــ وهو الذى نلخصه لك تباعا ــ ثم ألحق به فى سنة ١٩٥٣ دراسة عن السلوك الجنسى للاناث ، سنوافيك بها فى حينها ٠

ولقد كان « كينزى » يعكف ــ قبيل موته ــ على وضع كتاب عن « القوانين الجنسية والقادحون فى الجنس » ، ولكنه تركه لاقرب مساعديه اليه ــ وهما العالمان « بول ديبهارت » و « اردل بوميروى » ــ كى يتماه ٠٠ وقد استقدم وثائق لكتابه هذا من انجلترا وفرنسا والصين وألمانيا ٠٠

الفساد فى بريطانيا يبلغ ٣٠ ضعف الفساد فى أمريكا !

◆ **ولقد** ولد « الفريد تشارلس كينزى » منذ ثلاث وستين سنة ، لاب كان أستاذا فى الهندسة ٠ وخلف هذا الباحث ذو الصيت العالمى ثلاثة أطفال

ومما يذكر انه زار انجلترا فى أوائل هذا العام ، وكان أطرف تصريح ادلى به فى نهاية الزيارة هو :

« ان فى سجونكم من المدانين لجرائم جنسية فوق مالدينا فى سجون الولايات المتحدة ٣٠ مرة ، وذلك بسبب القوانين الجنسية العتيقة التي تطبقونها ! »


LE DOSSIER
No. 113
PAR
EMILE
GABORIAU
كلمة السرّ!
أو..
الملف رقم ١١٣
قصة بوليسية
رائعة، بقلم
الكاتب الفرنسى
اميل
جابوريو

.. اذا كنت من هواة حل الالغاز !

◆ عثرت لك وأنا أنقب بين عشرات القصص البوليسية ، على هذه القصة الطريفة ، التى قدر لها ان تكتسب قيمة أدبية تاريخية ، تجعلها جديرة بالشهرة التى نالتها ، ومن ثم بالقراءة !.. فلقد كان مؤلفها - الكاتب الفرنسى اميل جابوريو - أول كاتب أقدم على معالجة القصص البوليسية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر. وقد أصدر مجموعة من هذه القصص تعتبر الاولى فى هذا الميدان ، وفى طليعتها : « الملف رقم ١١٣ »

فتعال نشترك معا فى حل ألغاز هذه القضية الغامضة ، اذا كنت من هواة حل الالغاز !

١ - سر الخزانة المسروقة

◆ **ظهر** أول ذكر لحادث السرقة الشهير الذى وقع فى مصرف مسيو فوفيل - والذى تضمن الملف رقم ١١٣ من ملفات البوليس قضيته - فى الصحف المسائية التى صدرت فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٦٦ . ففى اليوم السابق على هذا التاريخ ، أرسل سيد يدعى « الكونت لوى دى كلاميران » الى مسيو فوفيل يعرب له عن رغبته فى ان يسحب فى الساعة العاشرة من الصباح التالى ، مبلغ اثنى عشر ألفا من الجنيهات ، كان مودعا لدى البنك ، لحساب أخ له مات حديثا ولم يترك وريثا سواه .. وكان البنك قد تلقى قبل ذلك اخطارا من السلطات باسم الوريث وحقه فى الميراث .

وكان من العادات التى يحرص عليها مسيو فوفيل ، ان لايستبقى فى مصرفه مبالغ جسيمة ، وانما كان يودعها « بنك فرنسا » أولا بأول . ولما كان الموعد الذى حدده الكونت لاستلام المبلغ مبكرا ، فقد رأى رئيس صرافي مسيو فوفيل -

وكان يدعى مسيو بروسبير بيرتومى – ان من الافضل ان يسحب المبلغ المطلوب من « بنك فرنسا » فى مساء السابع والعشرين من فبراير ، وان يحتفظ به فى خزانة المصرف الى الصباح التالى ٠ **وكانت الخزانة منيعة ، متينة ، صنعت من فولاذ سميك ، كما كان يسيطر على فتحها واغلاقها جهاز له طريقة سرية ٠ فقد كانت ثمة أزرار خمسة من الفولاذ على باب الخزانة ، تحمل الحروف الابجدية ، ويمكن تحريكها ولفها بحيث تتخذ أى نظام يروق لمن يتولى اغلاق الخزانة ٠** فاذا ما أراد أحد فتحها بعد ذلك ، كان حتما عليه – قبل ان يولج المفتاح – أن يعيد ترتيب الازرار فى نفس الوضع الذى كانت عليه قبل اغلاق الخزانة ٠ ولم يكن هناك من يعرف هذا الترتيب ، والكلمة التى تمثلها الحروف – فى أى وقت من الاوقات – سوى مسيو فوفيل ورئيس صرافيه ، اذ كان كل منهما يحتفظ بمفتاح للخزانة ، ولم يكن لغيرهما حق الاقتراب منها

وما أن فتح المصرف أبوابه فى الصباح التالى – ٢٨ فبراير – حتى أقبل الكونت ينشد المبلغ ، فأسرع «بروسبير بيرتومى» الى الخزانة ٠٠ **وعندما عاد بعد لحظات ، كان وجهه شاحبا كوجوه الموتى ، وكانت خطواته متعثرة ، مترنحة ٠٠ فقد اختفت الجنيهات الاثنى عشر ألفا من الخزانة !٠٠** ومما زاد الامر غموضا وتعقيدا ، ان رئيس الصرافين وجد الخزانة مغلقة كما أوصدها بنفسه فى الليلة السابقة !

* * *

◆ **وكانت** غرفة الخزانة تتصل بمبنى المصرف عن طريق غرفة أخرى ، كان يسهر فيها كل ليلة حارس أمين ، ظل فى خدمة المؤسسة أمدا طويلا ٠٠ كما كانت تتصل – من ناحية أخرى – بمسكن مسيو فوفيل الذى كان يقع فى المبنى ذاته ،

والذى كان يضم أسرته المؤلفة منه ومن زوجته وفتاة من أقاربهما تدعى « مادلين »

ولم يكد مسيو فوفيل يسمع النبأ المروع ، حتى بادر بسحب مبلغ آخر من « بنك فرنسا » دفعه الى الكونت ، ثم تفرغ لبحث أمر السرقة ، فاستدعى رئيس صرافيه ، وخلا اليه ٠ وكان « بيرتومى » شابا فى الثلاثين من عمره ، طالما عطف عليه مسيو فوفيل وساعده ، حتى غدا من أهم موظفى المصرف ، وصار موضع ثقته التامة ٠ كما كانت ثمة رابطة أخرى توشك أن تعزز الصلة بين مدير المصرف ورئيس صرافيه ، اذ كان « بيرتومى » كلفا بحب « مادلين » ٠٠ ومع ان شقاقا وقع بينهما قبل الحادث ببضعة أشهر ، الا أن مسيو فوفيل كان يعتقد أن زواجهما أمر واقع لا محالة !

وكان اجتماع الرجلين فى هذه المرة غريبا ، اذ كان كل منهما قد انتهى الى الاعتقاد بأن صاحبه هو الذى سرق المبلغ ، اذ لم يكن سواهما يملك مفتاحا للخزانة ، أو يعرف الكلمة السرية التى لابد من جمعها لفتح بابها !٠٠ **وأخذ صاحب المصرف يحث « بيرتومى » على الاعتراف ، ويمنيه بأن يغفر له النزوة الطارئة ، ولكن الصراف أصر على انكار الاتهام فى شمم وكبرياء ، وراح يشير خلال حديثه الى ما كان هناك من احتمال ان يكون مسيو فوفيل هو الذى أخذ المبلغ!٠٠** ومالبث صبر هذا الاخير أن نفد ، فأرسل يستدعى البوليس ٠ولم



تمض أربع وعشرون ساعة ، حتى كان « بروسبير بيرتومى » ماثلا أمام قاضى التحقيق بتهمة السرقة ، وهو الذى كان صاحب مكانة مرموقة فى الاوساط المالية الباريسية !

وعهد بتحرى حقيقة الحادث الى ضابط من رجال المباحث يدعى « فانفيرلو » ، لم يخرج من فحص غرفة الخزانة بنتيجة تذكر ، اذ كان قصارى ما اكتشفه خدشا بسيطا ببابها ٠على أنه استطاع أن يستدرج « مادلين » أثناء سؤالها ، فعرف ان موافقة مسيو فوفيل على زواجها من « بيرتومى » كانت موافقة ظاهرية ، لانه كان يعارض فى الخفاء هذا الزواج !٠٠وحدس فانفيرلو من هذا أن صاحب المصرف هو الذى سرق المبلغ ليتخلص من كبير صرافيه ، ولكنه لم يجد من القرائن مايدعم هذا الاتهام ٠ وأوحى اليه ذكاؤه بأن يلقى القبض على الصراف، أملا منه فى ان يثير بعد ذلك ضجة تعلى من قدره ، اذا مافضح سر مسيو فوفيل !٠٠ وليس فى وسع أحد ان يدرى ماكان يتمخض عنه هذا التصرف ، لو لم يدفع القدر الى القضية بمسيو « لوكوك » ، مفتش المباحث الذائع الصيت !

* * *

◆ **وكان** اهتمام مسيو لوكوك بحادث سرقة المصرف منبعثا عن دافع شخصى ٠ فان لرجال المباحث قلوبا تخفق بالهوى كسائر البشر ، وقد خفق قلب لوكوك بهوى حسناء فاتنة تدعى «نينا جيبسى» ، وظل يلاحقها بغزله زهاء عشرة شهور، وهو ينتحل اسم « كالدا » ، حتى اذا خيل اليه انه يوشك ان يستحوذ على قلبها ، اذا بها تنبذه وتلوذ بشخص آخر ٠٠ولم يكن ذلك الشخص سوى بروسبير بيرتومى !٠٠ **وما كان الصراف ليحفل بها فى الواقع لولا ان هجر « مادلين » كان يضنيه ، فخيل اليه انه قد يجد فى نينا عزاء وسلوى ٠ فلما وقع فى المحنة الاخيرة ، رأى لوكوك أمامه فرصة سانحة كى**

يطلع « نينا » على ناحية من نبله وكرم نفسه ، عسى ان يلين قلبها فترضى عنه · ومن ثم عنى بالقضـــية وتطوع لكشف غوامضها

وبدا له الموقف ـ فى أول الامر ـ معتما ، لايبشر بخير · فقد كان بيرتومى غارقا فى الديون ، اذ كان يعيش فى مستوى يفوق ما يسمح له به مركزه ودخله ·· بيد ان التحريات التى استقاها لوكوك من فانفيرلو ، لم تلبث ان أرسلت خـــلال ظلمات اليأس خيطا من شعاع الامل ·· ولاح هـــذا القبس لعينى لوكوك خلال الخدش الذى وجد بباب الخزانة · فقد جعله هذا الخدش يتساءل كيف حدث ؟·· وقام بعدة تجارب أثبتت له آن من المستحيل خدش طلاء الخزانة ـ بهذا الشكل ـ دون حركة قوية ، تفوق بكثير الحركة المضطربة التى تصدر عن ارتجاف يد اللص وهو يعالج ايلاج المفتاح فى ثقب قفل الخزانة ·· آذن ، فما الذى دعا الى تلك الحركة القوية ؟

وظل لوكوك فترة طويلة يفكر فى هـــذا اللغز ، ثم دعـا فانفيرلو آلى مساعدته فى تجربة جديدة · اذ أحضر صندوقا من الحديد دهن بطلاء من نوع طلاء الخزانة ، ثم سأل فانفيرلو ان يمسك بذراعه وهو يهم بايلاج المفتاح فى ثقب الصندوق ·· فلما صدع فانفيرلو بالامر ، ظل لوكوك يقاوم ، حتى انزلق المفتاح على باب الصندوق ، فترك خدشا منحرفا كذلك الذى وجد على باب الخزانة · **وخرج لوكوك من هـــذه التجربة بأن ثمة شخصين كانا الى جوار الخزانة عنـــدما حدثت السرقة : أحدهما كان يسعى الى النقود ، والآخر كان يحاول أن يمنعه !** ·· واتخذ لوكوك من هذه النتيجة أساسا راح يبنى عليـــه خطته · وأخذ يستعرض الافتراضات ويناقشها فى خاطره ، مرتبا الاستنتاجات فى منطق واضح ، سليم ، حتى خرج بأن من المستحيل ان يكون فوفيل أو بيرتومى هو السارق ، اذ كان كل منهما يملك مفتاحا للخزانة ، وكان بوسعه ـ لو شاء ـ أن

يتحين فرصة آمنة ليستولى على المبلغ دون ان يتعرض لرقيب! .. اذن ، فمن تراه السارق ؟

٢ ـ كلمة السر

• **كان** أول ماسعى اليه لوكوك بعد هذا ، ان حصل على اذن باطلاق سراح بيرتومى لعدم توفر أدلة الادانة . وفى نفس اليوم الذى استرد فيه الصراف حريته ، تلقى خطابا غريبا ، أرفقت به أوراق ماليه قيمتها أربعمائة جنيه ! وكانت الرسالة مؤلفة من كلمات مطبوعة اقتطعت من كتاب ، وألصق بعضها الى جانب بعض ، لتؤلف السطور التالية :

« عزيزى بروسبير : ان صديقا يدرك قسوة موقفك ، يرسل لك هذه المعونة ، ليشعرك بأن هناك قلبا ـ واحدا على الاقل ـ يعطف عليك ، وينصحك بأن تغادر فرنسا لتأمن على نفسك . فان المستقبل متسع أمامك ، فارحل واغتنم الفرص ، وعسى ان يساعدك هذا المبلغ ! »

وكان لوكوك قد حرص على ان يكون قريبا من بيرتومى بعد الافراج عنه ، منتحلا شخصية تاجر ريفى ، وزاعما انه يدعى « فيردوريه » وانه كان صديقا لوالد الصراف . ومن ثم فقد استطاع ان يحصل على هذه الرسالة وان يفحصها بدقه . وكان ـ بحكم تجاربه خلال السنوات الطويلة ـ على دراية بأنواع حروف الطباعة ، فاستطاع ان يحدس ان الكلمات قصت من كتاب دينى طبع فى احدى الدور المعروفة . وعززت التحريات هذا الحدس ، فما لبث لوكوك ان تنكر فى الصورة التى عهدته عليها « نينا جيبسى » ثم سعى الى مقابلتها ، وناشدها ان تعاونه فى تبرئة ساحة « بروسبير » بأن تسعى للعمل كوصيفة لدى أسرة فوفيل ، فلما وفقت الى ذلك ، عهد اليها بالبحث عن الكتب الدينية فى الدار . **وان هى الا بضعة**

أيام ، حتى أثبت الحظ انه فى صف لوكوك ، اذ عثرت الفتاة على كتاب للصلوات ، كان عين الكتاب الذى اقتطعت منه الكلمات المطبوعة ٠٠ وكان الكتاب هدية قدمها بيرتومى يوما الى مادلين !٠٠ فلماذا تراها أرسلت هذا الخطاب الى الصراف؟ ٠٠ ولماذا اختارت طريقة قص الكلمات المطبوعة ولصقها ؟٠٠ ولماذا شاءت ان تخفى شخصيتها ؟٠٠ ثم ، لماذا حرصت على نصح بيرتومى بمغادرة فرنسا ، وهى التى سبق ان أدلت لفانفيرلو ، وللوكوك نفسه ، بأنها واثقة من براءة الصراف ؟!

وأخذ لوكوك يلاحق بيرتومى بأسئلة حرص على ان يصوغها فى قالب برىء ، محاولا ان يعثر خلال اجاباته على بصيص من نور ٠ واستطاع ان يعرف ان بيرتومى تناول عشاءه ، فى الليلة السابقة على اكتشاف السرقة ، مع صديق له يدعى « راؤول دى لاجور » ، كان شابا غنيا ، متلافا ٠٠ وكان فى الوقت ذاته ابن أخت لمدام فوفيل ، كما كان صديقا للكونت لوى دى كلاميران ، الذى ورث الاثنى عشر ألفا من الجنيهات المسروقة !٠٠ ولم يكن بيرتومى يكف عن اطراء دى لاجور ، ولكنه فى الوقت ذاته كان يبدى نفورا من الكونت !٠٠ وما لبث لوكوك ان أدرك سر هذا النفور ، حين علم ان الكونت تقدم لخطبة مادلين ، وراح يسعى فى دأب والحاح للفوز بيدها ٠ وكان مما زاد من دهشة لوكوك وحيرته ، ان عرف ان مادلين كانت تتقبل محاولات الكونت برضى تام !

* * *

• **واستعان** لوكوك بنينا على تدبير لقاء بين بيرتومى ومادلين ٠٠ ومن المخبأ الذى لاذ به ليشهد هذا اللقاء ،استطاع لوكوك ان يتأكد من ان الفتاة لاتزال مفتونة بالصراف ،فاستبد به العجب ، وأخذ يسائل نفسه : ما الذى دفعها اذن الى أن تظهر رضاءها عن مساعى الكونت لخطبتها ؟٠٠ وهداه فكره

الى أن ينقب عن ماضى الكونت ، فتبين انه كان الابن الثانى لاسرة عريقه ، نبيلة المحتد . وحدث ان ارتكب أخوه الكبير - وكان يدعى جاستون - بعض حماقات اضطرته الى الهرب من فرنسا ، فما لبث الكونت ان انفرد بميراث الاسرة ، وانغمس فى اللهو والعبث حتى بدد الثروة عن آخرها .. ثم نمى اليه ان « جاستون » عاد بعد السنوات الطويلة التى قضاها فى المهجر ، وابتاع - بالاموال التى استطاع ان يكتسبها بذكائه ومواهبه خلال اقامته فى الخارج - ضيعةفى جنوب فرنسا ، أخلد فيها الى حياة هادئة وادعة . ومن ثم سعى الكونت الى لقائه .. ولكن علاقة الاخوين لم تلتئم طويلا ، اذ لم يلبث الموت أن فرق بينهما بعد ستة أسابيع من اللقاء ، فتوفى جاستون ، تاركا ثروته للكونت

وتحول لوكوك بعد ذلك الى التنقيب فى حياة « راؤول دى لاجور » ، ابن أخت مدام فوفيل . فعنى بالتحرى عن ماضيه وماضى خالته فى الموطن الاصلى لهذه الخاله ، فى ريف فرنسا . **وشد ماكانت دهشته حين اكتشف ان زوجة صاحب المصرف كانت وحيدة أبويها ، فلم يكن لها أخ ولا أخت .. وبالتالى ، لم يكن لها ابن أخت !** .. وكان الضابط فانفيرلو فى تلك الاثناء يرقب حركات مادلين وسكناتها ، فما لبث ان رآها تغادر بيت فوفيل ذات مساء ، فتتسلل فى الظلام ، متحاشية البقاع المأهولة من العاصمة الفرنسية ، حتى وصلت الى دار منعزلة فى احدى الضواحى النائية .. ورآها فانفيرلو تلج الدار ، ثم لاح له نور خلال خصاص (شيش) احدى النوافذ المغلقة ، فلم يتوان فى ان يستخدم سلما من الحبال ليصل الى تلك النافذة ، وأخذ يحاول استراق النظر خلال ثغرات (الشيش) ليرقب ماكان يجرى داخل الغرفة . واذا به يرى مادلين تجلس الى منضدة ، بينما كان دى لاجور يجلس فى مقابلتها . وبدا ان الفتاة كانت تتوسل الى الشاب ، وهو



ينصت اليها فى صمت وعلى وجهه ابتسامة هازئة ٠ وانقضت فترة طويلة والفتاة سادرة فى ضراعتها ، ثم لانت أساريره أخيرا ، ونهض فاتجه الى خزانة فى الغرفة تناول منها بعض ايصالات مما تقدمه بيوت (الرهونات) لعملائها ٠٠ وألقى الشاب بالاوراق على المنضدة ، فأخذت الفتاة تتفحصها فى لهفة ، ثم أخذت ثلاثة ايصالات منها دستها فى جيب ثوبها ، وأسرعت تغادر الدار ٠ وكان فانفيرلو قد هبط من مكانه ، وتوارى خلف احدى زوايا الدار فى سرعة البرق الخاطف ٠ فلما خرجت الفتاة ، راح يتبعها حتى انتهت الى دار يقيم بها مراب معروف ، استردت الفتاة منه بعض الحلى والمجوهرات

وأدلى فانفيرلو بهذه المعلومات الى لوكوك ، الذى استبدت به الحيرة ، حتى جاءته « نينا » فى اليوم التالى تذكر له ماتسقطته من أنباء أسرة فوفيل ٠٠ **فقد استرعى انتباهه من هذه الانباء ، ان مسيو فوفيل كان مدعوا الى حفلة تنكرية راقصة فى ذلك اليوم ، وانه أصر فى أمسه على ان تصحبه زوجته ، وان تتزين بطائفة من حليها ومجوهراتها ٠ وقالت « نينا » ان السيدة حاولت ان تعتذر ، ولكن الرجل أصر ، قائلا ان ظهورها فى أبهى زينة يخدم مركز مصرفه أمام أبناء الطبقات الراقية الذين كان مقدرا أن يحضروا الحفلة !٠٠** ورأى لوكوك من هذا النبأ ، ان الحلى والمجوهرات التى استردتها مادلين من المرابى كانت ولابد ملكا لمدام فوفيل ، فسأل نفسه : لماذا تراها رهنتها ؟ ٠٠ ولماذا كانت ايصالات الرهن لدى دى لاجور ؟ ٠٠ ان المعنى

الواضح لهذا هو انها أعطت الحلى لدى لاجور كى يرهنها ٠٠ فلماذا ؟!

* * *

• **واذ** أطال لوكوك التفكير فى كل هذه الاحداث والظواهر، بدأت تتجمع فى ذهنه معالم قصة ، لم يكن ينقصه سوى أن يتأكد من صحتها ٠ ومن ثم رأى ان لابد له من حضور الحفلة التنكرية ، فاتخذ لنفسه زى مهرج (بهلوان) ، واندس بين المدعوين ، وما لبث ـ ببعض ألعابه وفكاهاته ـ ان جمع حوله المدعوين والمدعوات ٠ **واذ لمح مدام فوفيل بين الجمع ، تطرق بلباقة الى الهدف الذى كان يرمى اليه ، فشرع يروى للقوم قصة غرامية بدت لهم مجرد مادة طريفة مسلية ، لولا ان ندت من مدام فوفيل صرخة مدوية ، عندما بلغ المهرج نقطة معينة من قصته ، ثم خرت مغشيا عليهـا بين الكونت ودى لاجور اللذين كانا يحفان بها !**

وساد الهرج جو المكان ، واندفع دى لاجور نحو المهرج ، فأمسك بخناقه قائلا : « يبدو ان لسانك طويل أيها المهرج !» ٠٠ ولم ينفعل لوكوك ، بل قال فى هدوء : « ربما أيها الفتى ٠٠ ولكن ذراعى أطول ! » ٠٠ وصاح الكونت فى ترفع : «من تكون أيها المهرج ؟ ٠٠ اكشف عن شخصيتك و دع التنكر ! » ٠٠ ولكن لوكوك أجابه : « من الخير ان أظل على تنكرى ٠٠ كل مايهمك ان تعرفه هو اننى كنت أصدق صـديق لاخيك جاستون ٠٠ وكنت مستودع أسراره ، وموضع ثقته ٠ بل كنت الشخص الذى أسر اليه بآخر رغباته قبل وفاته ! »

وارتبك الكونت ، فتحول الى العناية بمدام فوفيل مع بقية القوم ٠ وتمكن لوكوك من أن يغادر المكان فى غمرة الهرج ، وقد اطمأن الى أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من حل القضـية الغامضة ٠ وكان أول ماحرص عليه بعد ذلك ، ان ذهب الى

لقاء بيرتومى ، فسأله عن كلمة السر التى رتب حروف الخزانة وفقا لها عندما أغلقها بعد ان أودعهـــا النقود التى سرقت ٠ وكانت الكلمة « جيبسى » !

وما زال لوكوك بالصراف ، يستحث ذاكرته ، حتى علم انه قال لنينا يداعبها ـ وقد عبثت الخمر برأسه ـ أثناء تناولهما العشاء مع دى لاجور فى ليلة الحادث : « حسبك ياعزيزتى ان تعلمى ان اسمك هو الذى يحرس فى هـــذه اللحظة خزانة مسيو فوفيل ! » ٠٠ اذن ، **فلابد ان دى لاجور اســتطاع ان يحدس كلمة السر بسهولة ٠٠ ولكن هــذا الاستنتاج أسـلم لوكوك الى حيرة جديدة ٠ اذ ما شأن دى لاجور بالحادث ؟٠٠ أو بالاحرى ، أى دور يحتمل ان يكون دى لاجور قــد قام به فى الحادث ؟**

وجعل لوكوك ـ كعادته ـ يستعرض الاحداث والوقائع ، ويتذكر كل شاردة وواردة مما حصـــل عليه من تحرياته ، ولكنه وجد أن القصة مليئة بالثغرات التى كان يتعذر عليـــه معها ان يربط بين أطرافها ٠ وانتهت به الحيرة الى محـــاولة التنقيب عن بعض الروابط فى تاريخ « جاستون دى كلاميران » شقيق الكونت الذى توفى قبل حادث السرقة بقليل ٠ وحمله هذا الاتجاه الجديد على أن يزور ضيعة جاستون ، وان يقوم برحلة قصيرة الى انجلترا

واستغرقت هذه الجهود الاخيرة شهرا ٠٠ فلما عاد لوكوك الى باريس فى النهاية ، كان يحمل فى ذهنه الفصل الختامى لقضية « الملف رقم ١١٣ » !

٣ ـ عودة الحب !

◆ **كانت** مدام فوفيل فى صباها ، وقبل ان تتزوج ، علـى علـاقة غرامية مستترة بجاستون دى كلاميران ، وقد تمـادى جاستون فى اغواء الفتاة ، حتى أسلمته أعز ماتمتلكه العذراء، ثم خشى نقمة أهلهـا الذين كانوا يستمتعون بعصبية قوية فى

الريف ، فاضطر الى الفرار من فرنسا • ولم ينقض وقت طويل حتى بدأت ثمرة الزلة تنمو فى أحشاء الفتاة ، فاضطر أهلها الى أن يوفدوها الى انجلترا مع أمها ووصيفة موثوق بها ، لتمكث ريثما تتخلص من حملها ، تفاديا للفضيحة !

وفى ضاحية ريفية بالقرب من لندن ، وضعت الفتاة وليدها ، فأسلمته أمها لاسرة ريفية منحتها مبلغا سخيا كى تحتفظ بالطفل وتتبناه • وما ان استردت الفتاة صحتها بعد ذلك ، حتى عادت الى فرنسا ، حيث تعرفت الى مسيو فوفيل ، الذى لم يلبث ان خطبها ، وتزوج منها

وقدر للكونت لوى دى كلاميران ان يكتشف — بعد سنوات طويلة — هذا السر الذى كان سببا فى هرب أخيه من فرنسا ، وبالتالى كان سببا فى انه ورث دون أخيه الاكبر ثروة الاسرة • وأوحى اليه خبثه — عندما بدد الثروة فى لهوه وعبثه — أن يحاول استغلال هذا السر ، فبحث عن الاسرة التى عهد اليها بابن الزلة ، ولكنه — لخيبة أمله — وجد ان الطفل قد توفى • **غير ان خبثه أبى عليه أن يستسلم للخيبة ، وهو فى أشد الحاجة الى المال ، ومن ثم زين له الشر ان يغرى شابا انجليزيا من حثالة المجتمع على أن يدعى انه الثمرة التى أنتجها طيش أخيه • ثم صحبه الى فرنسا ، حيث قدمه الى مدام فوفيل ، وراح يبتز منها المال** • ولكن الموقف لم يلبث ان تعقد ، اذ وقع الكونت الشرير فى هوى مادلين ، كما انه علم ان أخاه « جاستون » كان على قيد الحياة ، يقيم فى الضيعة التى ابتاعها فى جنوب فرنسا ، على ما قدمنا !

وهكذا تفتحت السبل أمام لوكوك ، فتقدم حثيثا فى القضية وهو يسير على هدى ، بعد ان كان يتخبط فى دياجير الغموض • وسرعان ما اكتشف ان الكونت دس السم لاخيه كى يتخلص منه ، وليرث ثروته التى جمعها فى المهجر • ثم تحول يبغى الخلاص من الصراف ليخلو له قلب مادلين •• وكانت هذه

مهمة دى لاجور ، الذى أصبح يتردد على دار فوفيل فى كل الاوقات ، دون ماحرج ، ورب الاسرة يعتقـد إنه ابن أخت زوجته ، والزوجة المسكينة تعتقد أنه ابنها هى !

* * *

◆ **وهكذا** رسم الآثمان خطتهما .. فقد طلب الكونت المبلغ الذى كان مودعا لدى المصرف ، بينما قدم دى لاجور الشراب بسخاء للصراف ، حين دعاه للعشـاء فى تلك الليلة ، حتى عرف كلمة السر . وما ان آفترق عن بيرتومى ، حتى سعى الى مدام فوفيل - فى ساعة متأخرة من نفس المساء - لينبئها بأنه فى ورطة مالية عصيبة ، ويناشدها أن تبادر الى معونته . ولم تكن السيدة تمتلك شيئا يذكر ، بعد ان رهنت معظم حليها ومجوهراتها كى تشترى من الكونت صمته ، وكى تلبى طلبات ابنها المزعوم ! ولكن دى لاجور أشار فى لباقة الى المبلغ الذى كان فى الخزانة ، وراح يغريها على أن تسرق المفتاح من زوجها ، مؤكدا أنه كان يعرف كلمة السر ، مطمئنا اياها الى أنها لن تتعرض لاية ريبة أو شك ! .. وتعرضت مدام فوفيل المسكينة لتجربة من أقسى التجارب ، اذ تنازعتها عاطفة الوفاء لزوجها والخوف من افتضاح السرقة من ناحية .. وعاطفة الامومة ، والاشفاق على الشاب الذى كانت تظنه ابنهـا ، من أن يروح ضحيـة الورطة التى كانت محـدقة به ، من ناحيـة أخرى . **وما لبثت عاطفة الامومة ان تغلبت ، كما هى العادة ، فسرقت مفتاح الخزانة من ثياب زوجها الذى كان نائما ، وهبطت مع الشاب الى غرفة الخزانة ، خلال الباب الذى يصل بينها وبين المسكن**

على انها لم تكد ترى المفتاح يقترب من ثقب قفل الخزانة ، حتى ثار ضميرها ، فحاولت ان تصد دى لاجـور ،وتشبثت بذراعه ، فاحتك المفتاح بالخزانة وخدشها .. ولكن الشاب

تغلب على مقاومتها ، واستطاع ان يسرق المبلغ من الخزانة ، ثم أغلقها كما كانت !

أما مادلين ، فكان لها دور أنبل من دور مدام فوفيل . إذ أنها حدست سر السيدة المسكينة ، واكتشفت انها فريسة بين براثن الكونت الخبيث ، فشاءت ان تضحى بمستقبلها فى سبيل انقاذ السيدة التي طالما غمرتها بعطفها وحنانها .. ثم أدركت سر سرقة الخزانة ، فلما أطلق سراح بروسبير بيرتومي ، بفضل لوكوك ، بادرت ترسل اليه تلك النصيحة التى اقتطعت كلماتها من كتاب للصلاة كانت تعتز به ، لانه كان هدية من الصراف !

* * *

◆ **ولم** تعد هذه الوقائع مجرد تصورات فى ذهن لوكوك ، بل ان الحقائق التى عثر عليها كانت تدعمها ، ومن ثم نشط بعد عودته من انجلترا لاستكمال هذه الحقائق وتعزيزها بكل ما استطاع أن يصل اليه من قرائن . ثم سعى الى مقابلة دى لاجور فى مسكنه . وقدر له أن يصل الى المسكن فى اللحظة المناسبة ليحول دون وقوع مأساة رهيبة . اذ كان مسيو فوفيل قد تلقى خطابا بغير توقيع ، ينبئه فيه مرسله بأن زوجته رهنت حليها ومجوهراتها ، فأثار الخطاب شكه ، وحرص على أن يراقب الزوجة ، حتى تبعها يوما الى مسكن دى لاجور .. وزين له الشك ان الزوجة التى كان يثق بها ، عشيقة للشاب الانجليزى ، فاقتحم المسكن ، وأطلق أربع رصاصات من مسدسه .. **ولكن الرصاصات طاشت جميعا لحسن الحظ ، وقبل ان يتأهب لاطلاق رصاصة خامسة ، كان لوكوك قد وصل ، فاندفع الى الحجرة وأمسك بذراعه . وفي لباقة وبراعة ، راح يكشف الستار عن حقيقة شخصية**

« راؤول دى لاجور » ، وعالج الموقف فى حكمة ، حتى رد الى مدام فوفيل المسكينة ثقة زوجها

وأسرع لوكوك بعد ذلك الى مكتبه ، حيث استصدر أمرا بالقبض على الكونت ، ثم أسرع الى مسكنه لتنفيذه ٠٠ ولكن الكونت كان أشد منه مكرا ، فما ان علم بأن أمره قد كشف، وبأن جريمة تسميم أخيه ، واحتياله على مدام فوفيل ، قد افتضح أمرهما ، حتى أدرك ان السبل قد سدت فى وجهه ، فغافل لوكوك وانتحر !

وبعد أربعة أيام من الحوادث السالفة ، ذهب « بروسبير بيرتومى » و « نينا جيبسى » الى ادارة المباحث ، يسألان عن مسيو « فيردوريه » ليقدما له شكرهما على مابذل من جهود لتبرئة ساحة الصراف الشاب ٠٠ وان هى الا لحظات ، حتى مثلا أمام مفتش المباحث « لوكوك » ٠٠ وأجالا بصرهما فى الغرفة يبحثان عن الشخص الذى جاءا يسألان عنه ، ولكن مفتش البوليس قال لهما :

« لعلكما تحبان أن تسمعا قصه طريفة ، ريثما يصل فيردوريه ٠٠ لقد كان لى صديق حميم يدعى « كالدا » ، عهدته الى بضعة شهور مضت أسعد البشر طرا ٠ اذ كان مفتونا بامرأة وقف عليها قلبه وحياته ، واطمأن الى أنها كانت تحبه ، حتى فوجىء يوما وهى تهجره وتلوذ برجل آخر ٠ وكاد يجن لشدة الصدمة ٠ بل انه فكر فى الانتحار ، لولا ان سول له الاسى ان يعيش لينتقم ٠ ثم زينت له حكمته ان يكون نبيلا فى انتقامه ، فيحمل المرأة التى هجرته على أن تشعر بأنه يقدر الواجب فوق العاطفة ، ولو اقتضاه هذا الواجب ان ينقذ حياة ومستقبل غريمه الذى حرمه اياها ٠ وهذا مافعله !٠٠ **فقد وقع غريمه فى مأزق ، وتجمعت الظروف والعوامل على ان تزج به فى السجن ٠ ولكن كالدا استطاع أخيرا أن ينقذه ٠ هل**

عرفتما الآن كل شيء ؟٠٠ ان المرأة لم تكن سوى نينا ٠٠ أما كالدا ٠٠٠ »

وبحركه سريعة ، أزال الشعر المستعار عن فوديه ،فهتفت نينا : « كالدا ! » ٠٠ ولكنه قال : « لا ، لست كالدا المفتون بك ٠٠ ولست فيردوريه صديق والد بروسبير ٠٠ وانما أنا لوكوك ، مفتش المباحث ! »

* * *

واستولى الذهول على الزائرين ، ولكن لوكوك ما لبث ان قال : « لست أنا الوحيد الذى تدين له بنجاتك يامسيو بيرتومى ٠ بل آن هناك فتاة نبيلة ساعدتنى من حيث لم تكن تدرى ، ولم يكن رائدها سوى الاخلاص لك ٠٠ ولقد كنت أرجو ان ابرىء ساحتك دون ان أكشف لمسيو فوفيل عن ماضى زوجته ، لولا آن الظروف تكاتفت على ان تجعلنى أخفق فى ذلك » !

وساد الصمت برهة أخرى ، ثم قال لوكوك للشاب : « الآن ٠٠ من حق الآنسة مادلين عليك ان تقدم لها شكرك » ٠٠ وهتفت نينا فى تلك اللحظة : « كالدا ! »

وأبرقت عينا مفتش المباحث ٠ ولمح بروسبير البريق ، فأدرك ــ وهو العاشق المضنى ! ــ معناه ، فلم يتردد فى ان يحيى المفتش ، ويغادر الحجرة على الفور ٠٠ تاركا زميلته تنسج مع حبيبها علاقتهما من جديد !

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى

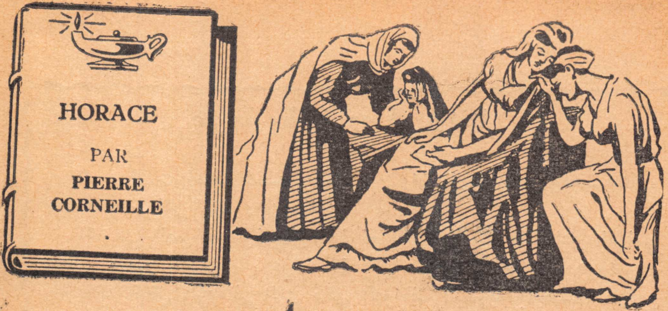
(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

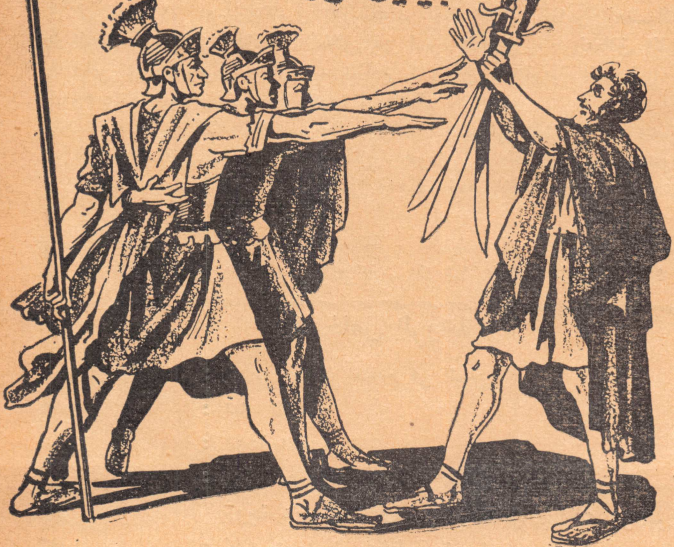
◆ خطايا الحب : لاوسكار وايلد ◆ نزاهة الحكم : جوجول ◆ سلاح المرأة : أريستوفان ◆ فولبون : بن جونسون ◆ جيوكندا : دانونزيو ◆ كلام الناس : جوزيه اشيجاراى ◆ مدرسة الفضائح : شيريدان ◆ سيرانو دى برجراك : روستان ◆ لعبة الحب والموت : رومان رولان ◆ مروحة الليدى وندرمير : وايلد ◆ فاوست : جيته ◆ أوديب الملك : سوفوكل ◆ فى سبيل الحب : جون درايدن ◆ وليم تل : شيللر ◆ الام : مكسيم جوركى ◆ الملك يلهو : فيكتور هوجو ◆ الجنس الآلى : كاريل كابيك ◆ الابن الاكبر : جالسورثى ◆ هرنانى : فيكتور هوجو ◆ ترويض النمرة : شكسبير ◆ الحياة نفاق : لويجى بيراندللو ◆ أغلال الحب : ستيف باسير ◆ المنافق (طرطوف) : موليير ◆ بيت الليل : تييرى مونييه ◆ علموهم الحب : روجيه فردينان ◆ زوج مثالى : أوسكار وايلد ◆ سالومى : أوسكار وايلد ◆ مدرسة الارامل : جان كوكتو ◆ برهان الحب : جان انوى ◆ لوسيد : بيير كورنى ◆ كيف نقع فى حبائلهن : بروفانس ◆ احزان هان ◆ حلاق اشبيلية ◆ تشيترا ◆ كاليجولا

واليوم ، أقدم لك احدى مسرحيات « بيير كورنى » الخالدة



هوراس

المسرحية الوطنية الخالدة للشاعر الفرنسي
بيير كورني



تلخيص : انطون العبيدى

صرخة وطنية .. فى أوانها !

« لست أعرف غير بلادى .. وان تاريخها ، ومجدها ، وسلطانها ، لهى كلها رهن مهندى ! »

تلك هى الصرخة الوطنية المجلجلة التى أطلقها الشاعر الفرنسى العظيم « بيير كورنى » ، على لسان بطل مسرحيته الخالدة « هوراس » .. ذلك البطل الرومانى الذى ركل العواطف البشرية بقدمه ، وقمع - فى قوة وشجاعة وانكار ذات - كل احساس فى نفسه كان يتعارض مع أداء واجبه نحو بلاده !

واذا كانت هذه المسرحية - التى أقدمها لك اليوم - تجىء فى أوانها ، فانك لن تملك وأنت تقرأها من ان تحس بأن عظام « كورنى » ، صاحب القلم الجبار الذى نظم هذه المسرحية الوطنية المشتعلة ، لابد ان تتململ فى قبرها اليوم ، احتجاجا على السياسة التعسفية التى تتبعها بلاده لكتم أنفاس الوطنية العربية فى الجزائر ، وما تطمع فى ان تتبعه فى مصر والشرق الاوسط ، بغية ازهاق أنفاس العملاق الذى بدأ يتمطى متأهبا للانطلاق من أسره الطويل .. العملاق الذى أطلق عليه الرئيس جمال عبد الناصر ، وبحق : القومية العربية !.. وهيهات هيهات ان يعود المارد الى القمقم !

وبمناسبة نشر هذه المسرحية ، نقلت لك - فى هذا العدد ، وعلى الورق المصقول - لوحة رائعة تمثل « هوراس » وأخويه ، وهم يقسمون لابيهم قسمهم الرهيب ، أن يؤدوا واجبهم نحو بلادهم - روما - حتى الموت !

فتعال نقرأ هذه المسرحية الهائلة ، لنضيف وقودا الى نار وطنيتنا وقوميتنا .. قبل ان نخوض المعركة ، اذا شاء الجنون ان يشعلها !

أشخاص الرواية

هوراس الأب	:	فارس رومانى متقدم فى السن
هوراس	:	ابنه الشاب
سابين	:	زوجة الابن
كورياس	:	شريف من دولة الاعداء (البا) ، وهو شقيق « سابين » زوجة هوراس ، وخطيب « كاميل » أخت هوراس
كاميل	:	أخت هوراس ، وخطيبة كورياس

فالـــير : فارس رومانى يهوى « كاميل »
جوليا : سيدة رومانية صديقة لكل من « كاميل » و « سابين »
تول : ملك روما
بروكول : جندى فى جيش روما
فلافيان : جندى فى جيش دولة الاعداء (البا)

مكان الرواية : حجرة بمنزل هوراس فى مدينة روما
زمان الرواية : عام ٦٦٧ قبل الميلاد

الفصل الاول

◆ **ترفع** الستار فاذا نحن فى حجرة بمنزل أسرة «هوراس» الرومانية العريقة ، وقد جلست ربة البيت « سابين » ـ زوجة هوراس الشاب ـ تشـــكو لضيفتها وصديقتهـــا « جوليا » عجزها عن احتمال الخطوب والكوارث الموشكة ان تحل بهـــا وبالاسرة جميعها ، بل بالوطن كله !٠٠ ذلك انها ، والحرب محتدمة بين وطنها (البا) ووطن زوجهـــا (روما) ، تحس بعواطفها موزعة بين البلدين ، لاتدرى لايهما تتمنى النصر ، ولايهما تريد الهزيمة !٠٠ فهى رومانية منذ تزوجت«هوراس» وقبلت جنسيته ، ولكن هـــذه الجنسية وذلك الزواج ماكانا لينتزعا من فؤادها عاطفة الشوق والحنين الى مسقط رأسها ! ٠٠ فهى تناجيه فى لوعة :

سابين : (البـــا) ! أى وطنى العزيز وحبى الاول ٠ فيك نشأت ودرجت ، وفيك تنشقت أول نسمة من نسمات الحياة ٠٠ فاذا الحرب نشبت بيننـــا وبينك ، خشيت انتصـــارنا وخشيت فوزك !

وأنت ياروما ، لئن حسبت خيـانة منى ان أحن الى وطنى بينما تحدب على سماؤك وأرضك ، وأهلك وأجواؤك ،فاغرسى

فى فؤادى اذا استطعت عاطفة الكره لمن تكرهين ٠٠ وانتزعى منه اذا قدرت خوالج الشوق والحنين الى وطنى وأهلى الاولين . كيف تريديننى على ان أرجو لك النصر من السماء وبين جنودك زوجى ، وبين أعدائك اخوتى وعشيرتى ؟!

جوليا : حقا لقد أدهشتنى منك هذه المفاجآت ياسابين . لقد عهدناك منذ أول الحرب لاتحفلين بأمر البا ، ولا تنطوى أضلعك على غير الغبطة بانتصارات روما ٠٠ وكنا نكبر فيك هذا الخلق النبيل الذى كان يجعلك تحرقين قوميتك الاولى بخورا على مذبح حبك لزوجك ، فما بالك اليوم تذكرين البا وتكثرين من ذكرها بعد اهمال ونسيان ؟

سابين : كان هذا يا جوليا حين كانت الحرب سجالا بينهما ، ولم تكن كفة فريق منهما راجحة على كفة الفريق الآخر . كان الامل فى الصلح يخفف عنى وطأة الحزن ٠٠ كنت اذ ذاك أرمق انتصار روما بعين السرور ، فاذا ما ولى الحظ عنها قليلا بسمت لانتصار اخوتى ٠٠ ثم عدت وأسفت على انتصار يدخل السرور الى بيتهم والحزن الى بيتى !٠٠ هكذا كان قلبى حمامة طائرة بين الموطنين ، تحاول الطمأنينة على الفريقين فى وقت معا . أما الآن وقد صار محتوما أن تعلو الواحدة وتهوى الاخرى ٠٠ أن يجعل الغالب طريقه فوق أنقاض المغلوب ٠٠ الآن يخفق قلبى خفقان الجزع على روما والبا معا ، وأشعر ان من الجحود أن أبقى رومانية صرفة ، فأطلب لكم الغلبة من السماء وأنا أعلم ان ثمن هذه الغلبة دماء زكية هى أعز على من نفسى !

جوليا : ما أغرب فعل الحوادث فى مختلف القلوب . شتان مابين نظرتك الى سير الامور ونظرة « كاميل » اليه ٠٠ فمع ان أخاها ــ زوجك ــ فى صف ، وخطيبها ــ أخاك ــ فى صف آخر ، الا أنها ترى الحالة بغير العين التى ترينها بها ، وعندما علمت بالامس أن الطرفين المتحاربين قد اتفقا على يوم للموقعة الفاصلة ، أبرقت فجأة أسارير وجهها و ٠٠٠

سابين (مقاطعة) : جوليا . اننى أخشى من تغيرها السريع . لقد رأيتها امس تتحدث الى « فالير » وهى باشة فرحة ، فخيل الى أنها تنوى التخلص من أخى لتتصل بهذا الرجـل ، وان حوادث هذه الايام قد أضعفت ما كان لاخى عندها من مكانة ، فصارت ترى أنه لايجمل التعلق بشخص غائب منذ عامين . ولكن عفوا اذا كان اغراقى فى حب أخى وكلفى به قد ذهبا بى مذاهب بعيدة ، فصرت أتخذ من أوهى الاسباب مجالا لاساءة الظن فى اخلاصها له . على انى مازلت أتساءل : ما معنى ذلك الحديث وتلك البسمات ونحن على مقربة من يوم رهيب ؟! .. وهل فى وسط هذا القلق وبين هذا الاضطراب يتسع الوقت لاحاديث الغرام ؟

جوليا : اننى مثلك أنكر عليها هـــذه الاحاديث فى مثـل أحوالنا الراهنة !

سابين : ها هى قادمة لحسن الحظ . اجتهدى أن تستكشفى دخيلة نفسها فى هذا الشأن ، فهى تحبك كثيرا ولا تخفى عنك شيئا . ها أنا أترككما . **(ثم تلتفت الى كاميل وتخاطبهـا)** اليك جوليا يا كاميل ، تحدثى اليها وسامريها فان نفسى تطلب العزلة اخفاء لآلامها ، وانى لاخجل من اظهار ما بى من الحزن أمامها

كاميل (لجوليا ، بعد انصراف سابين) : انهـــا تخطىء إذ تزعم اننى خلية البال للتحدث والتسامر . ألعلهـا تحسبنى أقل منها هما . ان الخوف يزعجنى كما يزعجها على السواء . وكلتانا تؤلمها هذه الحرب سواء أكان النصر حليف هذا الجانب أو ذاك .. **فلسوف أرى « كورياس » حبيبى قتيلا لاجل بلاده ، أو قاتلا لاهل بلادى ! سوف أبكيه قتيلا أو أبغضه قاتلا .. وفى الحالتين سأفقده واحسرتاه !**

جوليا : مع هذا فان « سابين » أولى بالشفقة منك ، فأنت تستطيعين أن تجدى لخطيبك بديلا . أما هي فليس لهـــا الي

ابدال زوجها من سبيل !٠٠ تستطيعين ان تنسى « كورياس » وتحبى « فالير » فيصـــبح قلبك فى ناحية واحدة وتعـاودك السكينة بعد الاضطراب وبلبلة العواطف

وبهذا الايحاء الماكر تحاول جوليا ان تصل الى خبيئة قلب محدثتها !٠٠ غير ان هــذه تجيبها مستنكرة هذا الاخــلاف « الاجرامى » للعهود ، ولو كان هدفه شخصـا ينتمى الى دولة الاعداء ، مادام يربطها بهذا الشخص قسم مقدس ٠٠ فتجيبها جوليا مفصحة عن أفكارها ، آخر الامر : « عبثا تحاولين اخفـاء ما بنفسك يا كاميل ، فلقد شهدتك بالامس تتحدثين مع فالير فى بشاشة وسرور لا يدعان مجالا للشك فى حبك له ،وسعيك لاضرام جذوة الحب فى قلبه ! » ٠٠ وهنا تنبرى لهـا كاميل مدافعة عن نفسها :

كاميل : نعم كنت أتحدث البارحة الى « فالير » وكنت حقا مبتهجه بحديثه ، ولكن أتعلمين ماذا كان موضـوع حديثنا ، ومن كان موضع ابتهاجى ؟ انه ليس فالير يا جوليا ، وان حبى لكورياس لانقى من ان يلوثه الشك ، وأقوى من ان ينال منه الفراق !٠٠ أما سبب ابتهاجى فهو ان الآلهة كانت قدطمأنتنى - جوابا على دعائى - الى أن روما والبا ســوف تسعيان الى الصلح ، فيعود كورياس من الميدان ، وأزف اليــه ، وبذلك يلتئم شملنا الى غير فرقة أو بعاد ٠ وآمنت بالبشرى النازلة على من عند الآلهة فأنعشنى الطرب والابتهاج ٠٠ وبينما أنا فى نشوة الطرب هذه أقبل على فالير وأخذ يطارحنى حديث غرامه ، فما تضايقت من حديثه كعادتى لان قلبى لم يكن يعرف آنئذ غير الفرح والسرور بلقائى القريب لحبيبى كورياس ٠ ذلك ما كانت تفتر له شـفتاى بالابتسام ويبتهج له محيـاى بالبشر حين رأيتنى واقفة أتحدث الى فالير ٠٠ ولفرط سرورى بنبوءة الآلهة تلقيت فى فتور خبر تحديد اليوم موعدا للموقعة الفاصلة بين الجيشين ، كأنه خبر لا يعنيني ٠٠ ثم جاء الليل

فيبدد أوهامى الممتعة ، وطافت بذهنى فى النوم أحلام مريعة وصور دامية ٠ رأيت أكداسا من الجثث والاشلاء ، وعندئذ تبدلت سعادتى شقاء ، وغبطتى حزنا وبلاء !

جوليا : ولكن الاحلام تفسر عادة بعكسها !

كاميل : هيهات ، فحديث الصلح ليس الا حديث خرافة ٠٠ **ولئن فازت البـــا أو فازت روما فلن يكون لى كورياس يوما زوجا ٠ محال أن أقدم يدى لرجل يكون لروما عبدا أو عليها سيدا !** (ثم تشخص ببصرها الى الامام وتردف) مـاذا ، هـل أحد سوانا فى المكان ٠٠ أليس هذا كورياس ؟ ألا تخدعني عيناى ؟

كلا ، ان عينيها لا تخدعانها ، فهو كورياس بعينه قد جاء٠ ويسمع طرف حديثها فيقول انه من أجل عواطفها الموزعة كان يخشى النصر والهزيمة في وقت معا !٠٠ وتحسبه قد هرب من المعركة فآثر غرامه على وطنه ، وتضيف انها تقبل منه هذه التضحيه بشرفه ، قربانا على مذبح غرامه بها !٠٠ لكنه يبادر مؤكدا لها انه ان كان حبه عزيزا عليه فان شرفه عليه أعز ، فهو لم يأت هاربا من بين الصـــفوف ولكنه جاء لان ناقوس الصلح قد دق فوقفت لدقاته رحى القتال ، وانتهز هو الفرصة فجاء ليراها

واذ تبدى له دهشتها من تحقق معجزة الصلح عـــلى غير انتظار ، يروى لها القصة فيقول انه بينمـــا كانت كتائب الجيشين متراصة فى مواجهة بعضها البعض ، وكان الجنـود يتبادلون الشرر من العيون ويتهددون بعضهم بالويل والثبور ٠٠ وشهوة القتـل والفتك لاتنتظـر الا اشـارة واحـدة كى تنطلق لا تبقى ولا تذر ٠٠ اذا بقائد جيش (البا) يتقـدم طالبا الى قائد جيش روما فترة مهادنة يفضى اليه فيها بأمر٠٠ وما هو ان أجيب الى طلبه حتى اندفع يسائل معشر الرومان عن جدوى ذلك التطاحن والتقاتل ، وهم جيرانهم وأصهارهم !

٠٠ أو ليسوا جميعا شعبا واحدا فى بلدين ، ودما واحدا فى جسدين ؟٠٠ فما بالهم يحاولون الفتك بعضهم بالبعض ، ويمزقون وحدتهم بأيديهم ، فى حين ان العدو المشترك واقف لهما بالمرصاد ، يرقب الوقيعة القائمة بينهما بفرح وغبطة !
٠٠ وحتى لو لم يكن بد من ان تحكم احدى الدولتين الاخرى ففى الوسع الوصول الى ذلك من طريق تحقن فيها دماء كثيرة غالية ، **بأن ينتخب كل فريق بعض جنوده لينازلوا من ينتخبهم الفريق الآخر من رجاله ٠٠ والدولة التى يهزم منتخبوها فى النزال يتعين عليها ان تدين بالطاعة للاخرى !**

ويستطرد كورياس : « ٠٠ وما فرغ قائدنا من خطابه حتى سادنا جميعا شعور بأننا لسنا أعداء ازاء أعداء ! وامتدت أبصارنا الى صفوف الرومان فاذا من بينهم أقاربنا وأصدقاؤنا وأنسباؤنا ٠٠ فذهلنا لموقفنا بازائهم ، وأدهشنا ان تحمل الاقدار هذه القلوب المتحابة على احلال الاحقاد محل الحب ، وعلى ان يشهر الاحباء سيوفهم فى وجوه الاحباء !

« وأخيرا قبل الاقتراح ٠ وأقسم قوادنا وقوادكم على المهادنة وفقا لهذه الشروط ، واتفقوا على أن يكون المقاتلون ثلاثا من كل فريق ٠ ثم اختلى زعماؤنا فى خيمتهم وانفرد زعماؤكم فى دار الحكومة لينتخب هؤلاء وأولئك رجالهم !

كاميل : يا للآلهة ٠ ما ألذ هذا الحديث وما أشهاه لنفسى!

كورياس : وان هما الا ساعتين تنقضيان حتى يعرف كل منا مصير أمته ٠ومنذ عقد الهدنة أبيح للمتحاربين ان يتزاوروا، فخف كل واحد الى لقاء أحبائه ٠٠ وطار بى الحب طيرا اليكم، فصحبت اخوتك الى هنا ٠ وقد لقينا أبوك بالبشر والايناس، وملأ قلبى غبطة وسرورا بأن وعدنى بجعل موعد زفافنا غدا٠٠ ولا أحسبك تمانعين فى ذلك !

كاميل : وهل تكون الفتاة الا مطواعة لابيها ؟!

كورياس : اذن تعـــالى واسمعى بنفسك من أبيك أوامره الحلوة فى هذا الصدد

كاميل : بل أرافقك لارى اخوتى وأستوثق منهم عن قرب انتهاء آلامنا

جوليا : اذهبا فى حفظ الآلهة ورعايتها . أما أنا فسأقصد الى الهيكل لاقدم للآلهه الشــكر على تمهيدها لكما سبيل السعادة والهناء

الفصل الثانى

• **فاذا** كان الفصـــل الثانى رأينا كورياس يتحدث الى هوراس - الابن - فيغبطه عــلى اختيار روما له ولاخويه كى ينوبوا عنها فى المبارزة الاخيرة التى سيتوقف عليها مصـير الحرب بينها وبين عدوتها (ألبا) ، الامر الذى يشهد لابنـاء هوراس الثلاثة بمبلغ تقدير روما لشجاعتهم وبسالتهم ، الى درجة انهـا قصرت عليهم شرف النيابة عنهـا فى الذود عن مصيرها .. ثم يستطرد كورياس :

كورياس : لقد كان هـذا الشرف كافيا لتقليد ثلاث أسرات فخارا خالدا ، لكن روما قصرت هذا الفخار عليكم .. ولعـل من دلائل حظى الوافر انى لم أحرم نصيبا من هذا الفخر ، اذ شاء القدر أن تنضم أختى الى أسرتكم وان أختار منها زوجتى! **.. على ان أمرا واحدا يحزننى ، هو خوفى عــلى (ألبا) من شجاعتكم وبطولتكم . وما دمتم أنتم الذين ستقاتلونها فلسوف يكون العار منقلبها ، والغار تاجكم واكليلكم !**

هوراس : حرى بك يا كورياس ان تأسف على روما لا على ألبا ، فان بين جنودها الكثير من الابطال والشجعان ولكنهـا عميت عنهم واختارتنا على ما بنا من ضعف ووهن ، فدفعت بنفسها الى التهلكة .. غير انى وان كنت أرى الحتف محققا

فى هذه الموقعة ، لكنى سـوف أبتسم للموت وأهزأ منه ، وكفانى اذا مت فخرا اننى كنت فى آخر ساعة من سـاعات حياتى معقد آمال أمتى وموضع رجائها وأمانيها !٠٠ واعتزازا بهذه الثقة الغالية سوف أخلق من ضعفى قوة أقاتل بها من أجلها ، وأستميت فى القتال ٠٠ ومن يعقد النية على أن ينتصر أو يموت ، لابد منتصر !

كورياس : يا لهذه الظروف التعسة التى تجعل انتصـار أى طرف منا لا يتم الا على أشـلاء الطرف الآخر ، فلا يبقى للمنتصر منا مناص من التعاسة الدائمة والحزن المقيم

هوراس : ماذا ؟ هل اذا مت فى سبيل الوطن تبكوننى ؟ **ألا حبذا الاستشهاد فى سـبيل الوطن ، وان ما قد ينتظرنى من خلود ذكر بعد مماتى لكاف لان يجعلنى أتقبـل قسمتى فخورا مسرورا**

كورياس : تبا لهذا السرور الذى تسير بك سـفينته فى بحر من عبرات محبيك (**بعد صمت وتطلع الى القادم**) هو ذا « فلافيان » يحمل الى نبأ عـلى مايظهر (**يدخل الرسـول ، فيبتدره كورياس**) هل اختارت (البا) أبطالها الثلاثة الذين سينازلون أبطال روما ؟

فلافيان : نعم ، وقد جئت أبلغك الخبر

كورياس : ومن هم ؟

فلافيان : هم أخواك وأنت !!

كورياس : من ؟!

فلافيان : انت واخواك ٠ ولكن ما لك شـحبت وجزعت ٠٠ أيحزنك هذا الاختيار ؟!

كورياس : لا ، ليس يحزننى ولكن يدهشنى ٠ فمـا كان يدور فى خلدى قط اننى أستحق هذا الشرف العظيم !

فلافيان : وأنا تدهشنى دهشتك ، بل ترددك فى قبـول



عندما يركز الاطفال فكرهم ! لوحة فوتوغرافية للمصـــور
الصينى « يو تشيو شيونج »



أسماك تمرح حرة !

لوحة فوتوغرافية للمصور « ليم ثينج هون»
(من الملايا)

الشرف المعروض عليك . فهل ترى ان أقول لمن أرسلنى انك تلقيت الخبر بفتور ؟

كورياس : بل قل له ان اختيـــارنا عن البا لمقاتلة أبنـاء هوراس المختارين عن روما ، لا يرد واحدا منا عن ان يضطلع بالعبء الملقى عـــلى عاتقه وفاء بحق الوطن ، رغم ما يربطنـا بأسرة هوراس من صداقة ونسب !

فلافيان : يا للآلهة . أهم أبناء هوراس الذين سيقاتلونكم ؟ ان هذا لكثير !

كورياس : اذهب واحمل لمرسلك جوابى

واذ ينصرف الرسول ، يتبادل الصديقان العدوان كورياس وهوراس الاعراب عن شناعة الطريق الذى اختارته لهـم الاقدار سبيلا الى المجد .. وعن « المصيبة العظمى » التى أجهد القدر نفسه حتى اصطنعها ، فلقد يهون على الجندى ان يقـاتل من لا يعرف ، فى سبيل الذود عن بلاده - فذلك لا يحتـــاج الى بطولة ممتازة ، لان الموت فى سبيل الوطن شرف أثيل - **أما ان يطلب الى الجندى ان يقدم على مذبح الوطن أعز ما لديه ، وان ينتزع بيديه قلوب أحبائه من بين أجســادهم ، فتلك وحشية لا ترضاها الطبيعة ولا تسيغها الانســانية .. فانه لكثير ان يطلب الى الجندى سفك دماء حميه وخطيب أخته !.. كثير جدا على أى نفس ، بالغة ما بلغت من البطولة والشجاعة، ان تقتل ذاتها الموزعة فى أجساد أحبابها !**

على ان هوراس يخلص من الحديث فى هذا المعنى ،مستطردا: « أما وهذا مطلب الوطن العزيز ، الذى تتوقف عليه حياته أو فناؤه ، فليس يقدر على التجرد من نفسه والتفانى من أجـل وطنه سوانا ! »

كورياس : أى هوراس ، لاشك ان أسماءنا ستنقش بمـاء الذهب فى صفحات التاريخ ، ووطنيتنا ستكون مضرب الامثال على مر السنين والاجيال .. ولكنى أراك تغلو غلوا كبيرا فى

اتخاذك التجرد من المشاعر والعواطف البشرية طريقا الى العظمة والخلود ، وانى لأوثر أن أبقى بين قومى خامل الشأن منسيا على ان أشترى شهرتى بهذا الثمن المرهق !.. على انك تعرفنى لا أتوانى لحظة عن القيام بواجبى ، وما كانت أواصر المصاهرة التى تربطنا ولا روابط الصداقة التى تجمعنا لتنسينى دين بلادى على . وبما أن (البا) قد قدرتنى كما أن روما قد قدرتك ، فلن أكون أقل منك حماسا فى الذود عن وطنى . وكما ان الشرف يدعوك الى سفك دمى ، كذلك يدعونى الى سفك دمك .. ولن يردنى عن ذلك اننى كنت بالامس لا ألهج الا بحديث زواجى من أختك ، فمتى أمر الوطن وجب ان يطاع . **ولئن كان شبح الواجب يهولنى ويزعجنى لكنى سألقاه رابط الجأش ثابت الجنان ، فان الواجب فوق العاطفة ، وان كنت أعترف بأن رغبة القيام بالواجب ما كانت لتميت فى عاطفة الاسى على نفسى وعلى أحبائى** .. واذا كانت رومانيتك قد أفقدتك العاطفة والاحساس فانى أحمد الله على اننى لست رومانيا ، وعلى انى أحس وأشعر !

هوراس : أنت لست رومانيا لانك لا تستحق ان تكونه.. فالوطنية الرومانية لا تعرف غير التضحية ، وفى أقسى صورها . نعم ، ان المصيبه التى انقضت علينا مصيبة كبرى ، لكننى أواجهها على بشاعتها دون ان أتهيبها أو أخشاها ، ودون أن ألتفت الى شخص من تأمرنى البلاد بمقاتلته .. فأمر الوطن عندى فوق كل أمر ، وشرف خدمته كفيل بأن يقمع فى نفسى كل عاطفة تتعارض مع أداء الواجب .. وبما ان روما قد اختارتنى للنزال ، و (البا) قد دفعتك الى ، فأنا أعلنك اننى منذ الساعة لا أعرفك .. **لا أعرف غير بلادى .. وان تاريخها، ومجدها ، وسلطانها ، لهى كلها رهن مهندى !**

كورياس : ان أنت أنكرتنى يا هوراس فأنا لست أنكرك ، ولا أزال أتألم لما تدفعنا اليه الاقدار . ولئن كنت أعجب

بشجاعتك ، لكننى لا أسمح لنفسى بمجاراتك فيها ، فامعن انت فى حماسك وتطرفك ، واتركنا نحن نمعن فى التألم والتأسى

هوراس : مادمت تجد لذتك فى الالم والبكاء فابك ماشئت، وهذه أختى قادمة اليك تشاركك النحيب ! ٠٠ أما أنا فسأذهب الى أختك ــ زوجتى ــ أنفث فيهــا روح التجلد والصبر ٠٠ وأوصيها بأن تحبك اذا ما قدر لى ان أموت بسيفك !

وتدخل كاميل ، فيبلغها شقيقها هوراس ماكان من تقدير (البا) لخطيبها كورياس واختيارها اياه ، حاميا لذمارها ورمزا لامانيها ٠٠ فتبدى الخطيبة حسرتها لكون سعادتها وسـعادة حبيبهـا قد صارتا معلقتين فى كفه الميزان ! ٠٠ لـكن أخاها ينبرى لها مستحثا :

هوراس : تشجعى يا كاميل ، وتمثلى فى الشجاعة بأخيك ٠ واذا مت وعاد هو ظافرا فاحذرى الحذر كله من أن ترى فيـه قاتلى ، بل قابليه كرجل أبرأ ذمته من دين الوطن وكلل رأسه تاج الفخار ٠٠ واعلمى انه بانتصاره فى ميدان القتال يعلن على رؤوس الاشــهاد انه أجدر الفتيــان بالزواج منك ٠٠ فلا يؤخرنكم موتى عن عقد القران ، بل افترضوا عند اتمامه اننى ما زلت حيا ! ٠٠ أما اذا شاء القدر ان يقضى هذا السيف على حياته ، فلا تجعلى غلبتى أقل رواء من نصرته ٠٠ واحرصى حينذاك عـلى ان لا تكون نظرتك الى نظرة عتــاب لقتلى من تحبين ! ٠٠ خــذى من الآن حظك من البكاء ٠ **العنى الارض وأبغضى السماء ، واسخطى على القدر الذى ساقك الى هــذه المأساة ٠٠ أما بعد المعركة ، فلن يتــاح لك بكاء الميت أمام الاحيــاء !** (ثم يلتفت الى كورياس ويقول) سأدعك معهــا يا كورياس لحظة وجيزة ، نذهب بعــدها الى حيث يدعونا الوطن

٠٠ ويتأزم الموقف ، وتحين ساعة الوداع ، فتهتف كاميل بخطيبها :

كاميل : أأنت ذاهب حقا يا كورياس ؟ وهل آثرت هـــذا الشرف على سعادتنا ؟

كورياس : ليس لى من قبول هذا الشرف بد يا كاميل ٠٠ ولا لى الى تفادى الموت من ســبيل ٠ فاذا أنا لم أمت من يد هوراس ، مت من شدة الحزن وفرط الاسى ! أنا ذاهب ياكاميل الى حيث أقوم بواجبى ، وكأنى ذاهب الى المقصلة ! ألا لعنة الآلهة على هذه الثقة التى رفعت بها الامة رأسى فوق الرؤوس، فعرضتها للورود موارد المنون ٠٠ ولا كانت تلك البطولة التى زعمتها (البا) فى ، فبوأتنى مكانا عليـا نزح بى عن موطن سعادتى وهنائى ٠ ان دبيب اليأس الذى يدب فى نفسى ليكاد يدفعنى الى الخيانة !٠٠ ولكنى لا بد ذاهب يا كاميل ،وبنفسى من اللوعة والحسرات ما قد تنوء عن حمله الجبال الرواسى

كاميل : أما كفى (البا) ما أديت لها فى هذه الحرب من خدمات ، وما بذلت من دماء ، فتتركك ــ بعد ان جاهدت فى سبيل سعادتها ــ كى تجاهد فى سبيل سعادتك !٠٠ وأنت ٠٠ ألا يكفيك من مفاخر الحرب ما كان لك من جولات مشهورة فى ميدان الوغى ، وما حصدت فى ساحة الحرب من رقاب ؟٠٠ ألا يكفيك ما تسنمته حتى الآن من ذرى الشرف والمجـــد ، فتترك لغيرك فخر الموقعة القادمة ، وتستبقى حياتك لنفسك وذويك ؟٠٠ ألا فاعتـــذر عن قبول ما تعرضه أمتك عليك ، متنحيا لسواك عن مفخرة النصر الأخيرة ومستبقيا حياتك لمن تتعلق بها أسباب حياتهم !

كورياس : أتريديننى يا كاميل على ان أشهد بعينى رأسى جبينا غير جبينى يقلد تاجا خالدا كان معدا لى ؟٠٠ **أتريديننى على ان أخمد بطولتى بيدى وأن أعلى على أنقاضها عاطفة حبى، فأختم حياة جهادى بمثل هذه الخيانة الشائنة ؟٠٠ لا لا ، ان هذا لن يكون !** وما دامت (البا) قد طوقت جيدى بكل هذا الشرف ، فما عشت لاخذل مشيئتها ولا حييت لارى يدا غير

يدى تمسك بقياد مصيرها !٠٠ سوف أحمل بكل اغتباط تلك الامانة الغالية التى وضعتها فى عنقى ٠ وسوف أؤدى لهـا حسابا دقيقا عما سأفعل بتلك الامانة : فاما عشت عزيزا مكرما ، واما مت شهيدا معظما !

كاميل : ولكن تذكر يا كورياس انك بذلك تخون عهودى !!

كورياس : بل تذكرى اننى لبلادى قبل ان أكون لك !

كاميل : وهل لاجل بلادك تعمل على قتل حميك ، وترميل أختك ، وشقاء خطيبتك ؟! (وهى تكاد تجهش بالبكاء) ٠٠ **وهل تستطيع فى غلظة قلبك ان تقدم لى باحدى يديك رأس أخى ، ثم تطلب باليد الاخرى يدى !؟**

كورياس : لست أملك فى هذا الموقف غير ان أحبك فى غير أمل ولا رجاء ٠ ولكن لماذا تبكين يا كاميل ؟

كاميل : وهل يسعنى غير البكاء وانت تقتلنى بلا رحمة ولا اشفاق ؟ ألم يكن موعد زفافنا غدا ٠٠ **فلماذا تطفىء بيـدك شموع العرس ؟ ولماذا تدفعنى بيمينك الى هاوية اليأس ومقبرة الرجاء ؟ كيف تزعم انك تحبنى يا كورياس ، فى الوقت الذى تغمد فيه خنجرك فى فؤادى ؟**

كورياس : لا تهاجمى بدموعك شرفى ، ولا تضعفى بعبراتك شجاعتى ٠٠ فالوقت وقت حرب يا كاميل ، وليس للحب فيه فراغ !٠٠ يكفينى ما أنا عليه من الوهن والخور ، فلا تزيدينى ضعفا على ضعف ٠ منذ لحظة كانت وطنيتى تصارع الصداقة فى شخص هوراس ، وقد صرعتها ٠٠ فترى هل تستطيع ان تقهر الحب متى نشب العراك بينها وبينه ؟٠٠ اليك عنى ، فلست بعـد فى حاجة الى حبك ٠ كفكفى من دموعك فانى أخونك فى ودادك ، وفى غـرامك !٠٠ اذهبى فأنا لست لك الآن ، وانت فى حل من خطبتى !

كاميل : بل انى سأبقى أمينة على عهد حبك ، مقيمة على غرامك والوفاء لك ، رغم نكثك للعهود !٠٠ ألا ليت روما لم

تكن لى وطنا ، أو ليتك كنت رومانيا فلا يقف فارق الجنسية حائلا بينى وبينك !٠٠ يا للحسرة ، لقد عميت اليوم بصيرتى ـ حين حثثت أخى على الجهاد ورجوت له النصر ـ عن ان أدرك اننى انما أحرضه عليك ، وأرجو لك الهزيمه !

وانها لفى حسرتها وتفجعها ، يدخل أخوها هوراس ، وزوجته سابين ـ شقيقه كورياس ـ فيهتف الآخير مشفقا من ان تكون أخته قد جاءت لتنضم الى خطيبته فى محاولة النيل من ابائه ، واخماد جذوة وطنيته ٠٠ لكنها تطمئنه الى انها ـ على العكس ـ جاءت لتعانقه وتودعه ، لا لتشير عليه بالتراجع والتخاذل ، فلئن تقاعس هو أو هوراس عن أداء واجبه ، اذن لنبذته وأبغضته ـ أخا كان أو زوجا ـ بل انها انما جاءت لترجو الغريمين معا ان يذهبا الى الميدان عدوين متخاصمين ، لا صديقين متحابين ، كى تكون ضرباتهما وطعناتهما صادرة عن بغض وضغينة ، فلا ينالها الضعف من طريق الصداقة !٠٠ « **أريد ان لا يتعرض لكما فى الحرب طيف الولاء فينفخ فيكما روح التخاذل والخور ٠٠ وما دمت أنا صلة الاتصال بينكما ، والرباط الذى ربط قلبيكما ، فلتزيلاه من الطريق ! اقطعا حبل المصاهرة الذى يربطنا جميعا ، حتى يكون قطعه سببا لضغينة الواحد منكما على الآخر !٠٠ اقتلنى أنت يا كورياس ، حتى يثأر هوراس لزوجته ٠٠ أو أنت يا هوراس ، حتى يثأر كورياس لشقيقته !٠٠ ليقتلنى أحدكما وليثأر لى الآخر ، وبذلك يشعر كلاكما انه يحارب منتقما لا مقاتلا ! اقتلانى اقتلانى حتى تكون دمائى دماء أول الضحايا التى تقدم فى سبيل الشرف المعد لكما ٠٠ اقتلانى حتى تثور فيكما الحفيظة فتسددا ضرباتكما عند القتال ويكون شرف النصر شرفا كاملا موفورا !** (تخاطب هوراس) انت فى هذه المعركة عدو لالبا فقط ٠ وأنت (تخاطب كورياس) عدو لروما وحدها ٠٠ أما أنا فعدوة لكليهما معا ، وخير لى ولكما ان أزول من الطريق

حتى لا أعيش لارى جبين زوجى مكللا باكليل تزينه دماء أخى، أو أرى يمين أخى مخضبة بدماء زوجى !٠٠ انا لا أستطيع ان أبكى باحدى عينى ابتهاجا مع الغالب ، وبالاخرى لوعة عـلى المغلوب ٠٠ فبحق الآلهة انقذانى منذ الآن من هـذا الموقف المحتوم ، واقبلا الحل الذى عرضته عليكما ، فاننى مائتة على أية حال ٠٠ واذا أحجمت أيديكما عن العمـل ، فان لى يدا لا تحجم !

واذ ينبرى لها الرجلان مسفهين هذا « الهراء » ، تناشدها كاميل ان تتشجع وتكف عن هذا الحديث الذى يضعف ولا يحفز !٠٠ بينما تواصل سابين حملتها الاستفزازية ، مخاطبة الرجلين : « ما بالكما تتنهدان ٠٠ وما هذه الصفرة التى علت وجهيكما ؟٠٠ أهذه قلوب الابطال الذين اختارتهم روما و(البا) لحمايتهما ؟ » ٠٠ لكن زوجها هوراس ينكر عليها تحقيرها اياه بالطعن فى شجاعته ، والارتياب فى اقدامه ، الى حد تزيينهـا له ارتكاب « جريمة » تشحذ فيه تلك الشجاعة وهذا الاقدام !

وفيما هوراس يلوم زوجته مؤنبا وعاتبا ، يقبـل أبوه ٠٠ فلا يسمع طرفا من الحديث حتى يناشد الرجلين فى حرارة : « أيها الابناء ٠ ما بالكم تتركون وقتكم مضـيعة بين أحاديث النساء ، وعواطفكم نهب تأثيراتهن ؟ أو نسيتم ما أنتم قادمون عليه من حرب تراق فيها الدماء ، فما لكم بحرب تراق فيهـا الدموع ؟ اهربوا من هـذا المكان الذى تنخفض فيـه حرارة الحماس وتنطفىء شيئا فشيئا جـذوة الشجاعه والاقدام ٠ اهربوا واتركوا النساء لعواطفهن الثائرةووساوسهن الكثيرة!»

ولكى تبدد المرأتان مخاوف الأب ، تنسـحبان من المكان ، تاركتين اياه مع الرجلين كى يذكى فيهما نار الوطنيةوالحماس:

سابين : هلمى بنا يا كاميل ، فليس أضعف من سلاح البكاء أمام هذه البطولة النادرة ٠ هلمى بنا نبكى فيمـا بيننا وبين أنفسنا ، ونتناجى بيننا وبين الآلهة ٠ وأما أنتم فالى القتـال



أيها الاسود .. الى الفخار أيها الابطال .. الى حيث يدعوكما الشرف وتناديكما الاوطان !

واذ تنصرفان ، يناشد هوراس أباه ان يهون على المرأتين أشجانهما ويسرى عنهما حزنهما .. ويحذره من ان تفلتا منه فتنطلقا الى ميدان القتال ، مخافة ان يتسلل الى البطلين بريق دموعهما وصوت نواحهما ، فيلقيان الاضطراب فى قلبيهما الوهن فى سواعدهما . ويذهب الشعب الى الظن بأنها حيلة منهما قصدا بها الى اعفاء نفسيهما من عبء القتال !

هوراس الأب : اذهبا أنتما فان اخوتكما فى انتظاركما ، وسأعنى أنا بأمر المرأتين .. فلتنظرا الى الواجب فقط ، ولا تتجه أنظاركما الى شىء سواه ! .. الى ساحة الفخار والمجد يا ولدى ، ولتكونا حفظة أمناء على شرف أوطانكما وشرف أسراتكما .. ثم اتركا الآلهة تفعل فيها وفيكما ما تشاء !

الفصل الثالث

◆ فاذا كان الفصل التالى رأينا « سابين » زوجة هوراس تناجى نفسها حائرة : « الآن قد تحتم على ان اتخذ قرارا ، فاما ان اكون زوجة لهوراس فحسب ، أو اختا لكورياس فحسب ! .. ولكن هل من سبيل الى قرار وسط هذه الامواج المصطخبة : هل أخاصم زوجى ، أم أقاطع أخى ؟ هل أتجه نحو الاول ، مدفوعة بدافع الحب .. أو أميل ناحية الآخر ، مدفوعة بدافع الطبيعة — وان كنت أعلم ان الواجب يدفعنى نحو كليهما فى وقت معا ؟!

« كلا ، بل ان هذا وقت التجلد ورباطة الجاش . سأبقى زوجة لهوراس واختا لكورياس فى الوقت نفسه ، ولن اضع أمام عينى الا شرفهما معا . بهذا

وحده تطمئن نفسى . ان الموت الذى يترصد لهما لهو موت شريف ينبه له الذكر ويرتفع به شأن الوطن ، فلأنتظر نبأه فى شجاعة وجلد ، غير ناظرة الى الموت فى ذاته بل الى الغاية التى من أجلها يقبلان الموت !.. لاشتركن فى افراح الاسرة التى يحالفها النصر ، فان كانت الواحدة فانى فيها ابنة ، وان كانت الاخرى فانى فيها زوجة . انا ضلع فى كل من الاسرتين ، ولا بد ان يكون النصر حليف احداهما .. فلاكن للاسرة الباقية لا للاسرة البائدة ! »

على ان التعسة لاتكاد تطمئن الى هذا القرار حتى تعاودها هواجسها فتتبين ان قرارها حلم لذيذ كاذب ، عسير التحقق ، وينقبض قلبها اذ تشعر بهول الصدمة التى سوف تفقدها اخا أو بعلا ! : « انى انتظر منذ الآن موت أحدهما، ناظرة فى حزن وأسى الى موته فى ذاته ، لا الى الغاية التى من أجلها يموت . سوف أشترك مع الاسرة التى يخذلها الحظ ، واقاسمها أحزانها وآلامها .. فان كانت الواحدة فانى فيها ابنة ، أو كانت الاخرى فانى فيها زوجة . انا ضلع فى جسم كل من الاسرتين ، لابد له ان يتألم مع الجسم المتألم كله !

« ايه .. أيتها الآلهة مصدر الحنان والرحمة ، أهذا هو الصلح الذى التمسته منك ؟ انها لقسوة عظمى تلك التى تحققين بها ابتهالات المبتهلين . فاذا كنت حين تمنحين تصبين كل هذه الويلات ، فأية صواعق ترسلين لمن تريدين ان تنزلى بهم العقاب ؟.. أيتها الآلهة ، أين الحنان ، أين الرحمة ؟! »

وتدخل جوليا ، فتسألها سابين فى لهفة عما تحمل من أنباء :

سابين : هل مات زوجى ، ام هلك اخوتى .. أم قتل المتحاربون جميعا ؟

جوليا : ماذا ، أتجهلين بعد ما حدث ؟

سابين : وكيف يدهشك ان أجهل ، وأنا سجينة هنا مع كاميل ؟ ألا تعلمين انهم منعونا عن الخروج خيفة ان تصل الى أسماعهم أصوات نواحنا فيدركهم الوهن !.. ولكن حدثينى من فورك بما جرى

جوليا : كان مجرد ظهور الاخوة الاصدقاء متهيئين للقتال كافيا لاثارة الخواطر ، فارتفعت من كلا المعسكرين عبارات الاستياء والامتعاض من تقاتل اعضاء شبه اسرة واحدة ! وسرى فى الجموع تذمر من سوء اختيار الزعماء للمتحاربين .. بل تقدم البعض لفصل الاخيرين عن بعض ، تجنبا لنشوب المعركة الوحشية !

سابين : اذن فلارفع البخور وأنحر الذبائح للآلهة التى حققت دعائى !

جوليا : صبرا ، لقد عرفت من القصة شطرها المفرح وبقى ان تعرفى الشطر المؤلم .. فلقد أصر أبطالنا على القتال حتى لايفوتهم شرف النصر وفخر الدفاع عن الامة بأسرها ، ورأوا فى شفاعة الوسطاء خدشا لعزة بطولتهم وطعنا فى شجاعتهم واقدامهم !

سابين : ياللآلهة . وهل ظلت قلوبهم متحجرة الى النهاية ؟

جوليا : أجل ، لقد ظلوا على صلابتهم وبقى الجنود بدورهم على اصرارهم يصيحون : « تغيير المقاتلين أو استئناف الحرب ! » .. وأخيرا تدخل الملك فقرر استشارة الآلهة فى الخلاف ، « فهى الحكم الاعلى فى مثل هذه الحال ، ومن يجرؤ على مخالفة الآلهة فهو من الكافرين ! » .. وعندئذ هدأت ثائرة الجنود وقوبل قرار الملك بالاستحسان ، ثم سلم المتقاتلون أسلحتهم انتظارا لحكم الآلهة ونزولا على ارادة الملك . وما هى الا لحظة حتى تعرف نتيجة الشورى !

سابين : اذن فقد بدأت احلامى تتحقق ، فلن تقر الآلهة نزالا اجراميا !

وتهرع سابين لتزف النبأ لشقيقة زوجها وخطيبة اخيها - « كاميل » - فتجدها متشائمة ، فلقد سمعت بالنبأ لكنها لاترى فيه الا مجرد ارجاء مؤقت للكارثة .. فان الآلهة التى أوحت الى الملك باختيار الابطال المتحاربين ، لن تعود فتعفيهم من القتال !.. على أن سابين وجوليا تشتركان فى محاولة بث الطمأنينة والامل فى نفس كاميل ، ثم ترسل سابين جوليا لتتنسم الانباء . ولا تكاد تنصرف حتى تلوم سابين كاميل - بل تعنفها بشدة - على استسلامها للاسى والتشاؤم ، ثم تسائلها : « لو انك كنت فى مكانى ، ماذا اذن كنت تصنعين بنفسك ؟ ان مصيرى الى أحد بلاءين : أن يكون زوجى قاتل اخى ، أو يكون اخى قاتل زوجى ! ولا يخفى عليك ان للاخ - كالزوج - من قلب المرأة مكانة النفس من النفس ، وليس الى المفاضلة بينهما من سبيل . لذلك فالرزء فى الواحد منهما لايقل عنه فى الآخر .. أما أنت فذلك الحبيب الذى يضطرب قلبك خوفا عليه ، لاتربطك به رابطة أكيدة . والحب بالغا مابلغ ، قد يزهده الانسان لاهون سبب ، وقد تقضى عليه أحيانا نظرة أو كلمة ! فما بالك تغرقين فى الحزن الى هذا الحد ، وكيف يسوغ لك أن توازنى بين صلتك الموهومة وبين رابطتى التى عقدتها الزوجية وأحكم توثيقها البنون ؟! »

كاميل : ألعلك ياسابين ماعرفت الحب قط ، فلقد تستطاع مقاومة الحب فى مستهل أيامه ، ولكن لا سبيل الى انتزاعه متى تأصلت فى النفس جذوره. انه يغزو القلب بالرفق والدعة ، ثم يحكمه بالقوة والجبروت . الحب متى ملك النفس ملك عليها مشاعرها جميعا ، فلا يعود المحب يريد غير مايريد الحب ، أو يشعر بغير ما يشعر به حبيبه .. فاسكتى يا سابين ولا تزيدى فؤادى من حديثك جمرا على جمر !

* * *

◆ فاذا كان المنظر التالى رأينا هوراس الاب قد جاء من الميدان ، وابتدر المرأتين قائلا : « ماكنت أريد يابنتى ان احمل لكما من الانباء ما أحمل ، ولا كنت أود ان أعلنها لكما لولا علمى بانها ستصل اليكما ان عاجلا أو آجلا . لقد شاءت الآلهة أن يقتل اخوتكما ، وهم الآن يؤدون واجبهم ! »

سابين : ويلاه ، ويلاه ! هل هذا ماحكمت به الآلهة ؟ كنت أحسبها أقرب

الى العدل والرحمة ! الآن لاصبر ولا عزاء ، فاتركنا يا أبت نخوض بحرعبراتنا ولا تلمنا على ضعفنا وانكسارنا ، فنحن لانملك من الشجاعة مايملك الرجال . وليس لنا من حيلة غير ذرف الدموع وتصعيد الزفرات

هوراس الاب : انا لا ألومك ياابنتى على ماتفعلين ، لكننى احاول النظر الى الامور بغير العين التى تنظرين بها اليها .. فلكم تمنيت ان ارتقب نصر ابنائى غير ملطخ بدم ابناء كورياس ، كيما تكون لفوز روما لذة لايشوبها الالم .. لكن للآلهة حكمة تعلو فوق افهام الاحياء ، ولا يسعنا الا الرضى بها والرضوخ لاحكامها .. ولتذكرا يا ابنتى انكما من بنات روما ، ولتوجها افكاركما الى انتظار نصرتها والابتهاج بمجدها وفخارها ، فلقد وعدتنا الآلهة باليوم الذى يرتفع فيه رأسها فوق رؤوس الامم قاطبة وتضطرب فيه تحت أقدامها شعوب الارض جميعا .. ولا بد أن تنجز الآلهة ماوعدت !

ولا تلبث ان تدخل جوليا ، فيسألها الاب فى لهفة عن الانباء .. ولكن أية أنباء :

جوليا : لقد هزمت (البا) روما وخذل فى الحرب أبناؤك فمات اثنان منهم ولم يبق غير زوج سابين !

هوراس الاب : يالها من نهاية مؤلمة لحرب مشئومة . روما تخضع لالبا ويبقى واحد من أبنائى على حياته ليشهد هذا الخضوع ؟!.. لا ، لا ، انهم خدعوك ياجوليا ، فاما ان لاتكون روما قد هزمت واما ان يكون ابنائى قد قضوا جميعا ! انا اعرف نسلى وأعرف انه لايوجد بينهم من يجهل واجبه فيضن على بلاده بآخر قطرة من دمه

جوليا : لكن ذلك ماحدث ، وشهده الالوف من رجالنا . لقد أبلى فى القتال بلاء محمودا وثبت على شجاعته ثباتا عجيبا الى ان هوى رأسا أخويه أمام عينيه، فلما رأى نفسه وحيدا بين خصوم ثلاثة لم يسعه الا ان يلوذ بالفرار ناجيا بحياته .

الاب : ياللآلهة ! وهل بعد هذه الخيانة الشنعاء تركه الجنود ينجو بحياته ولم يفتكوا به انتقاما لشرفهم من العار الذى ألحقه بهم فراره ؟ ياللنذل الخائن!

كاميل : واحسرتاه عليكم يا اخوتى الاعزاء

الاب : مهلا ياكاميل ، لاتبكى اخوتك جميعا . ان اللذين ماتا حاملين لواء الشرف لايليق بنا بكاؤهما فهما الآن ينعمان بمجيد الذكرى ، فليجلل رمسهما بالزهور ولتنتثر حول قبرهما الرياحين . اى ولدى العزيزين ، لقد رفعتما هامة ابيكما فوق هامات الرجال وكنتما مثالا للاباء وعنوانا للتضحية ، فهنيئا لكما الاستشهاد فى ميدان الشرف والفخار . لقد أبيتما أن تريا بلادكما الا عزيزة حرة ، فكان لكما ما أردتما وتواريتما عن الانظار حين بدأ نجم وطنكما فى الافول !.. أجل ، لاتبكى اخوتك جميعا ياكاميل بل ابكى فقط اخاك الآخر

هذا الذى جلب العار علينا وعلى بلادنا . نوحى على من قدم حياته الحقيرة على شرف اسرة نبيلة ومجد أمة بأسرها ! اذرفى الدمع سخينا على اسرة كانت درة فى جبين الدهر ، فأمست بنذالته لطخة فى صفحة التاريخ !

جوليا : وماذا كنت تريد ان يصنع واحد ازاء ثلاثة ، بالغا مابلغ من الشجاعة والاقدام ؟

الاب : كان يجب ان يموت . كان يجب ان يقاتل حتى يقتل .. فان دقيقة واحدة تبقاها روما حرة ، لاثمن من أعمارنا جميعا ؟ ان عاره قد دنس شيخوختى البريئة ولوث هامتى البيضاء . وكل لحظة تمتد بها حياته بعد خيانته ستزيد فى ثقل عاره وعارى ، فلست أطيق ان أعيش مطأطىء الرأس خزيا وخجلا .. ولا مفر من ان أضع حدا لهذه الحال التعسة واقتص للبلاد من ولدى الذى جنى على امته وعلى أسرته وعلى نفسه جناية منكرة لايليق ان تبقى بغير عقاب

سابين : لا تطع حماسك الى النهاية يا أبتاه فتزيد على أسباب شقائنا سببا جديدا !

الاب : أين أنت من مصيبتنا ياسابين ، وانت لايلحقك منها غير النذر اليسير؟ لقد أبقت السماء على حياة اخوتك وزوجك ، وصيرت شعبنا عبيدا لشعبك ، فماذا نالك من المصيبة ؟.. على ان شفاعتك لزوجك الخائن لن تجديه نفعا ولن تدفع عنه عقابه ، فانى أشهد الآلهة على انه لن تغرب شمس هذا النهار قبل أن يغسل بدمه عار خيانته (ويخرج الاب مسرعا)

سابين : فلنتبعه مسرعات فان الحنق أخذ منه كل مأخذ وأخاف ان يشط به عن جادة التعقل والصواب . اتبعانى فانه يلوح لى انه لاتزال لنا فى كأس الشقاء بقية باقية علينا ان نتجرعها !

الفصل الرابع

◆ فاذا رفعت الستار عن الفصل التالى رأينا كاميل قد لحقت بأبيها وراحت تستعطفه كى يعفو عن ابنه الاكبر « هوراس » ، مؤكدة له ان روما سوف تكون أرأف به منه ، وان الكثرة تفل البطولة ، بحيث يكون من الحمق تقديم الرقبة للمنجل ووقوف المرء فى وجه المنايا !.. لكن الاب يرفض شفاعتها ويصر على ان الدم الذى أباه ابنه على وطنه فى ميدان الشرف سوف يبذله راغما فى موقف القصاص !

وهنا يقبل عليهما الفارس الرومانى « فالير » - الذى يعشق كاميل وينافس كورياس فى حبها - فيقول مخاطبا الاب : « اننى موفد اليك من قبل مولاى صاحب الجلالة كى أقدم لك عزاءه السامى وأعبر عن ... »

الاب (مقاطعا) : كفى بشرفك لاتعبر عن شىء ، فحسبى عزاء ان ولدى قد ماتا حاملين علم الجهاد لم تلطخ جبينهما وصمة عار

فالير : اذا حق للذين ماتا الثناء والاعجاب ، فقد وجب أيضا للذى بقى الاكبار والتكريم . جميعهم قد ابلوا فى الجهاد أحسن البلاء

الاب : ليت الثالث كان قد مات حتى كانت تنطوى صحيفة بيت هوراس على خير ماتنطوى عليه صحائف الاسرات

فالير : عجبا لك ، كيف تنفرد وحدك دون الشعب عامة بلوم ابنك الباقى بعد ما أظهر من البسالة فى القتال ؟!

الاب : فلتندهش ماشئت يافالير .. أما أنا فسأحتفظ بحقى فى الاقتصاص منه لشرفى ، قصاصا يعيد لبيت هوراس رونق مجده القديم

فالير : ولكن علام القصاص ، وما هو الذنب الذى تأخذه على ولدك ؟

الاب (بتهكم) : لعمرى انه قد برهن بهربه على شجاعة نادرة وبطولة خارقة !

فالير : بلا شك . لقد كان هربه عن شجاعة نادرة وبطولة خارقة !

وعند هذا ندرك ان فى الامر « سوء تفاهم » قد التبس أمره على الرجلين ، سيما حين يقول فالير متعجبا : « لست ادرى بحق الآلهة لماذا يغضب أو يتألم والد البطل الذى أنقذ الوطن من مخالب الاسر وقاد روما الى مواطن الفوز والانتصار ؟ » .. فيقاطعه الاب ثائرا : « أى شرف تعنى وأى انتصار ؟ أو لم تهزمنا (البا) ؟ وهلا حقت لها السيادة علينا ؟ »

فالير : ماذا ؟ أكنت تعتقد ان (البا) قد هزمتنا ؟ ألم يبلغك اذن ما كان من أمر استئناف القتال بعد قتل ولديك ؟!

الاب : كل ماأعرف ان ثالثهما لم يقو على مواصلة القتال فباع وطنه وفر هاربا !

فالير : اذن فأنت لم تعرف بقية ماحدث ، وكيف كان هربه حيلة أوحى بها اليه مجد روما وسؤددها فى الساعة التى كان فيها نصيبها فى كفة ميزان !؟

الاب : ماذا تقول ؟ هل انتصرت روما ؟

فالير : أجل ، لقد انتصرنا وربحنا المعركة ، فاسمع مافعله ابنك الذى ترميه بالخيانة والجبن وعقوق الوطن : لقد ظل يقاتل الى جانب اخويه حتى قضت السماء فيهما قضاءها . وعندما رأى ابنك الثالث نفسه وحيدا بين ثلاثة من الشجعان شعر انه لن يستطيع التغلب عليهم مجتمعين ، وأخذ يقلب وجوه الرأى للخلاص من هذا المأزق فلم ير خيرا من ان يتصنع الهرب حتى يتفرق خصومه ويتمكن من ان يلقى كل واحد منهم بمفرده . وقد جازت الحيلة فعلا على أعدائه فظنوه قد ولى هاربا ، واذ ذاك تبعوه بشىء من التثاقل متفرقين عن بعضهم بمسافات متفاوتة ، بنسبة ما كان بكل منهم من الجراح .. فلما نظر وراءه رأى

كلا منهم على مسافة من أخيه تمكنه من مقاتلته والاجهاز عليه قبل وصول الآخر ، فتشدد وازداد نشاطا وقوة ، وانتظر أولهم ـ وكان كورياس خطيب ابنتك ـ فكبر على هذا ان يقف هوراس فى انتظاره كأنه لايحفل به ، فقاتله قتالا عنيفا ٠٠ ولكنه كان خائر القوى من تأثير جراحه ومن اجهاده نفسه للحاق به ، فما لبث ان بدت عليه علائم الضعف والخور ٠٠ وعند ذلك انتشر الذعر فى صفوف (البا) وأخذ جنودها يهيبون بالثانى ان يدرك اخاه ، فجد هذا فى العدو ٠٠ ولكنه حين وصل اليه كان كورياس قد هوى صريعا عند قدمى هوراس !

كاميل : أواه !

فالير : على ان ذلك لم يثن من عزم اخيه بل زاده شجاعة فأخذ يقاتل مستبسلا مستميتا ، ولكن الشجاعة عندما تخور القوة مدد ضعيف وعون ضائع ٠٠ وأخيرا سقط بجوار أخيه ميتا ، وسط ضجيج البكاء والنحيب من جيش (البا) ، وضجيج الابتهاج والتهليل من جيش روما !٠٠ واذ رأى هوراس نفسه قد أدى الشطر الاول من واجبه ، نشط الى اداء الشطر الباقى فصاح عاليا : « لقد قتلت هذين الاخوين فداء لاخوى ، والآن فلاقتل الثالث فداء لروما ! » ٠٠ وللحال طار اليه ، وكان الخصم الاخير يسير متحاملا وقد أعيته الجراح وانهكه الالم ، فتلقى المسكين طعنة هوراس القاضية مقدما نفسه للموت لقمة سائغة ،كما تقدم الذبيحة عند عتبة الهيكل !

الاب : أى ولدى العزيز ، متى أراك لاعانقك وأذرف على جبينك الوهاج ومحياك الظافر دموع الفرح ، فأغسل بها ما أثمت به فى حقك من شكى فى وطنيتك ؟ متى أراك ياولدى لانوب فى تقبيلك عن امتك التى رفعت هامتها ، وعن آبائك واجدادك الذين انعشت ببطولتك عظامهم فى مثواها ؟ تعال الى ياولدى قبل ان يقتلنى الفرح !

فالير : بعد قليل تشفى غلتك وتهنأ بلقاء ولدك ٠٠ انه سيجىء الى هنا فى صحبة الملك عما قريب ، فان جلالته لم يكتف بأن أوفدنى لتبليغك عزاءه وتهنئته بل قال حفظته الآلهة انه سيزورك بشخصه ليعرب لك عما يخالج الامة بأسرها من عواطف الامتنان لك ولبنيك !

الاب : كثير على جدا ان يتنازل صاحب الجلالة بالقدوم الى ، وقد كان مجيئك وحده كافيا ، فان ابنائى لم يفعلوا أكثر من الواجب

فالير : ان العاطفة التى تدفع مولاى للقدوم اليك لهى عاطفة روما بكل من فيها ، فهى تدين لبيتك الكريم بفضل تحريرها من الرق الذى كان متوقعا لها !

واذ ينصرف فالير ، وينفرد الاب بابنته كاميل ، التى تنهمر دموعها حزنا على خطيبها الشهيد كورياس ، يناشدها ابوها ان تكف عن البكاء ، فان الشرف العظيم الذى اغدقته الآلهة على اسرتها لهو شرف تصغر امامه حياة الافراد وتهون ازاءه قيمة الضحايا ٠ وكفى بفوز روما على (البا) سببا يستمرئان

لاجله طعم الالم !٠٠ ويمضى الاب فى محاولة تهدئة ثائرة ابنته فيقول انها لم تفقد بموت كورياس الا رجلا ، فى حين لايطمع خيررجال روما الآن فى شرف أعظم من شرف الحصول على يدها !٠٠ أما سابين المسكينة فانهـا فقدت كل شىء : فلقد خذلت بلادها ، ودارت الدائرة على اخوتها الثلاثة ، ويزيد فى خطبها ان منيتهم كانت على يد زوجها !٠٠ أفلا ترى كاميل أن سابين أحق منهـا اذن بالانتحاب وأجدر بالبكاء ؟٠٠ ان الاب ذاهب اليها الآن ليقص عليهـا الخبر ويخفف وقعه عليها ، وهو يأمل ان يتغلب حبها لزوجها على آلامها ٠ وقبل ان ينصرف ، يوصى ابنته بأن تتجلد اذا جاء أخوها هوراس ، فتتجنب ان تفصح ملامحها عن الكآبة والكدر ٠٠ ولتذكر انه يجدر بهم الاحتفاء به وتكريم اخوتها الثلاثة فى شخصه ، جزاء ما احرز للوطن من مجدر وفخار !

لكن كاميل تسخر بعد انصراف أبيها من مطالبته اياها باخفاء لوعتها وأساها، كأن قلبها لم تمزقه الطعنة التى طعنت فؤاد حبيبها !٠٠ يالهم من طغاة قساة ، قد تحالفوا مع القدرعلى تعاستها وشقائها ، ثم جاء أبوها الآن ينكر عليها ان تعبس فى وجه أخيها ويريدها على ان تسر وتفرح لمقدمه وفوزه ، فأية قســوة هذه التى ترغم القتيل على ان يضحك فى وجه قاتله ؟!

وتمضى كاميل تناجى نفسها : « يا للآلهة ٠ لقد كان يهون على ان أفجع فى اخوتى وبلادى ويبقى لى كورياس وحده دون الناس جميعا !٠٠ كم من قصور شاهقة بنيتها من أمانى الحب ، فلم تلبث الاقدار الغاشمة ان دكتها وقوضتها٠ كنت أنتظر ان يعود الى حبيبى بطلا ظافرا ، فاذا به يعود جثة هامدة !٠٠ كنت أنتظر ان تطرق سمعى انباء انتصاره ، فوقر أذنى نبأ مصرعه تحمله الى ألسنة شامتة مغتبطة ٠ وفوق ذلك يفرضون على أن أسر وأطرب ، وان أهش فى وجـه من صرع حبيبى وقتل فؤادى ابتهاجا بحسن بلائه ونصرته ، ناسية خلو حياتى من جمال حياتى ٠ أف لقوم قسـاة يريدون من الطائر المذبوح أن يرقص ومن القلب الكسير أن يتهلل !٠٠ ايه ايتها الاحزان ، افعلى بى ماشئت ان تفعلى ٠ مزقى من فؤادى ماشئت ان تمزقى ٠٠ فقـد ذهب الحبيب وذهب بذهابه كل شىء ! ليأت ذلك الظافر غليظ القلب، فسألقاه كما يلقى الناس القتلة السفاحين ٠٠ سأقابله بالمقت والازدراء ٠ سأغض من بهـاء نصرته ٠ سأكسر من شكيمة زهوه ٠ سأريه نفسه المجرمة المستترة وراء نفسه المنتصرة !

« هاهـو ذا قادم ، فلاعـد نفسى لملاقاته ، بمـا تلاقى به العاشـقة قاتل عشيقها ! »

فاذا دخل « هوراس » ابتدر اخته « كاميل » بالتحية ، مفاخرا بعودته ظافرا يحمل اكليل الغار فوق جبينه ويضع سيوف الاعداء تحت قدميه ! ٠٠ « بهذه اليد قد رفعت هامة روما ، وبها سحقت رأس العدو ٠ بهذه اليد تقرر مصير البا وروما ، وبها أيضا تقرر مصير بيتى هوراس وكورياس !٠٠ عليك اذن ان تحيى الظافر المنتصر بما يليق به من التجلة والاكرام ! »

كاميل : بل احييك بالدموع واقابلك بالزفرات ؟

هوراس : ليس هذا وقت ارسال الدموع وتصعيد الزفرات. ان روما لاترغب في ان تشوب افراحها شائبة . اما اخوانا فقد أريق من الدماء في سبيلهما مالا تعد دموعك بازائها شيئا مذكورا . ومتى ثار الانسان لعزيزه فهو لم يفقده !

كاميل : اذن فلن أبكي اخوي بعد ، مادمت قد انتقمت لهما احسن انتقام . وأما حبيبي كورياس فمن ينتقم لي من قاتله ، حتى انساه لفوري ؟!

هوراس : ماذا تقولين ايتها التعسة الشقية ؟!

كاميل : أقول : واحسرة عليك ياكورياس !

هوراس : يالها من جرأة منكرة ، ويالك من اخت وقحة !.. ألا تزال ذكرى عدو الوطن تخالج فؤادك ؟ وهل بلغت بك الخيانة الى الحد الذي تفكرين معه في الثأر لحبيب لك هو عدو لبلادك !.. أما كان يخلق بك ان تحاولي شيئا فشيئا نسيان غرامك ، وألا تتركي نزوات نفسك تشط بك عن جادة التعقل والرشاد ؟ ألا هدئي ثورة احزانك واطرحي عنك عبء آلامك ، ثم كفكفي دمعك واذكري انتصار اخيك وارتفاع شأن بلادك. ولتكن افراح الوطن العامة مستولية عليك . ذلك خير لك من اثارة غضبي وتعريض نفسك لعاصفة استيائي !

كاميل : ان كنت تريدني ان أنتصح بنصحك فاعطني قلبا غليظا مثل قلبك ، أو أعد لي كورياس حيا ! فان لم يكن ذلك في وسعك فاتركني نهبا لآلامي وأحزاني . لقد كان كورياس معبود نفسي حيا ، فكيف أستطيع ان أمنع نفسي من البكاء عليه ميتا ؟.. لاتنتظر ان تراني كما تركتني أختا تدين لاخيها بحقوق الاخاء ، فلن ترى بعد في الا عاشقة قد جرحت في موطن الهوى من فؤادها ورزئت في سبب هنائها ، فتبدلت شبحا مخيفا يلازم كالظل من سلبها السعادة والهناء!

ايها الوحش المتعطش للدماء ، كيف تريد ان تقهر القلوب على ان تخفق بغير مايخالجها من العواطف ؟ وكيف تمنع مسيل دموع وقفت في منفرج الجفون ؟ أيموت شقيق الروح ويطلب الى أن أنسى مصرعه ، ذاكرة فقط فوز شقيق الجسد ؟ ألا فلتقترن بالحزن والشقاء حياتك ، ولتهو من عليائك كما يهوى الطائر ادركه السهم في قمة صعوده . لا بل أرجو الآلهة ان تقودك الساعة الى ارتكاب فعلة منكرة يتلطخ بها نقاء شرفك الذي تعتز به ، فتنزل عن اوج عزك ونصرتك في الساعة التي بلغت فيها ذلك الاوج. أواه ، انى أود لو تتمتع نفسي بالشماتة فيك ساعة .. ثم أموت !

هوراس : ياللسماء ! ان الدم ليجري ملتهبا في عروقي.. كاميل ، أتحسبينني فقدت الاحساس وتجردت من الشعور حتى اغتفر لك كل هذا الغلو وهذا الاحتقار ؟ اعود فأكرر لك النصح ياكاميل ، اذكري انك لروما قبل ان تكوني لحبيبك !؟

كاميل : روما !؟.. روما سبب تعاستي وعلة شقائي ! روما التي ولدتني

ونبذتنى ، والتى تكرمك لانك قتلتنى ! .. ألا ليت جاراتها يتألبن عليها ويتحالفن جميعا للفتك بها ، فتدك اركانها ويتهدم بنيانها قبل ان يثبت بين الامم كيانها ! ليت الشرق يتحد فى ذلك مع الغرب . ليت مائة أمة تتجمع فى اطراف العالم وتجىء من وراء الجبال والبحار لتهشمها فلا تبقى فيها حجرا على حجر ! ليتها تثور على نفسها فتهدم جدرانها بمعاول بنيها . ليتنى ارى العاصفة بعينى تنقض عليها فتفنيها ، فتمسى انت بموتها رمادا مسحورا ، واقواس نصرك ترابا مداسا . ليتنى أشهد كل هذا الخراب يحل بها وأرى آخر أهلها يسلم روحه تحت قدمى .. ثم أموت بعد ذلك شماتة وفرحا !

وأمام هذا الطوفان من عبارات التهجم والاستفزاز ، يضع هوراس يده على مقبض سيفه ، ثم يهم بقتلها .. فتحاول الاختفاء .. فيقتلها ويقول :

هوراس : ويحك ، ويحك . هذا كثير . لقد بلغ السيل الزبى ، فاذهبى الى الجحيم لتلقى هناك من تحبين !

كاميل (وراء المسرح ، وقد أصابتها الطعنة) : آه أيها السفاح !

هوراس (يعود الى المسرح) : كذلك تختتم حياة كل من يمالىء أعداء الوطن ؟

ويخف اليه المدعو « بروكول » ، حامل سيوفه ، هاتفا فى جزع : « ماذا فعلت ياهوراس ؟ » .. فيجيبه فى هدوء : « فعلت ما أوحاه الى الواجب ، وأجريت العدالة مجراها . ان من يعتدى على الوطن هذا الاعتداء الصارخ ، يجب ان يلقى هذا الجزاء الصارم ! »



بروكول : ولكنها أختك ، وكان يجب ان تكون ازاءها أرحب صدرا !

هوراس : انى أنكرها وأنكر أخاءها ، ولا أشك فى ان أبى لا يقبل بعد ذلك بنوتها . فان من يجحد وطنه يجحد بالتالى أسرته . وانه لخير لمثل هذا العضو الاشل ان يبتر عاجلا من جسم الامة صونا له من زراية الوطن ، ولانه خطر يجب القضاء عليه قبل ان ينمو ويستفحل !

وتنضم اليهما « سابين » ، التى تخاطب زوجها فى قسوة وتهكم :

سابين : مابقاؤك بعد فى هذا المقام ؟ تعال ومتع ناظريك بمرآى أختك وهى تسلم الروح بين يدى أبيها . تعال وشاهد دم بنت هوراس يجرى بين قدميك اشباعا لنقمتك وغضبك . واذا لم يكفك ما أرقت من دم هوراس فى تطرفك فى حب بلادك ، فقرب على مذبح شهوتك الوطنية هذه الواقفة أمامك ، فهى آخر بقايا بيت كورياس .. ذلك البيت الذى قام فى وجه بلادك فكان خليقا منك بالنقمة . انك قد أسرفت فى سفك دماء أهلك فلا تضن بالسفك على دماء أعدائك !.. هيا فالحقنى بكاميل ، فانى أشاطرها الفعلة التى زعمتها جرما . بل انها انما كانت تبكى واحدا من بيت كورياس ، وأما أنا فأبكى ثلاثة منهم ، بكاء لاينقطع ولا تردنى عنه رهبة من غضبك !

هوراس : سابين ، خففى لوعتك وكفكفى دمعك ، فان لم يسعك ذلك فلا أقل من ان تخفيها عنى . أنا زوجك الظافر فى حومة الوغى جاءك يقدم لك نصره وفخاره هدية ثمينة ، فتقبلى هديته وشاطريه شرف انتصاره . ذلك أجدر بك من ان تلقيه بالبكاء والحسرات . كونى زوجة وفية لمن بقى بين الاحياء ممن تحبينهم ، فذلك أولى من توجيه كل وفائك لمن صار من أحبائك بين الاموات !.. واجبك ان تكونى زوجة أكثر منك أختا ، وان ترتفعى بعواطفك حتى تتصل بعواطف ابتهاجى وابتهاج الوطن جميعا ، لا ان تريدينى على ان أنزل بعواطفى الى حد ان أبكى معك أعداء بلادى !.. اننى أحبك بكل ما لجوارحى من قوة ، وأحس بما يكوى فؤادك الآن من ألم ، ولكن تمثلى بشجاعتى تهن عليك الصدمة .واشتركى معى فى مجدى تنسى بذلك وطأة النكبة . والا هل كنت تؤثرين ان يكون زوجك خائنا لبلاده على ان يكون غيورا على سلطانها ، دأبه الثأر لمجدها ؟!

سابين : انى أقدر بلاءك المجيد فى سبيل بلادك ياهوراس ، لكنى أعجز كل العجز عن اللحاق بك فى مضمار الشجاعة . وان كان لابد لى – كزوجة رومانية – ان أفوق البشر وأقتدى بمثالك ، فلا يسعنى الا التحلل من رومانيتى والتجرد منها . نستطيع ان نشارك الشعب فى أفراحه خارج البيت ، ومتى احتوتنا جدران هذه الدار بكينا من فقدناه ! عليك ان تترك عند دخولك الى هنا تاج فخارك الى جانب الباب ، لكى تمزج هنا دموعك بدموعى . ذلك أقصى مايحكم به العقل على الوجدان ، والا فلا تنتظر منا ان نجاريك فى غلظتك ووحشيتك ، ولا تطمع فى ان تتحجر عواطفنا كعواطفك ، أو تبلغ بنا الانانية مابلغت بك !.. فان لم يرق لك ذلك فاجهز على ، نقمة منك على بكائى يوم انتصارك ، وعلى رثائى لخصوم بلادك !.. أجهز على بسيفك سريعا ، لالحق بكاميل فى عالم السكينة والهدوء . ولكن ويحى ، أرانى لم أستفز حفيظتك ولم أتمكن من اثارة غضبك . يا لوفرة حظك يا كاميل ! لقد عرفت كيف تغضبينه فنلت منه ماكنت تبتغين ، واستعضت عن بلواك راحة وسلاما

أى زوجى العزيز .. اذا لم يكن لى نصيب من غضبك أستريح به من حياتى ، فلتقض على ، حبا ومنة وكرما . اقتلنى ، ان حنقا منى ، أو شفقة على ! اننى أستحق الموت لعجزى عن تغليب سرورى بفخارك على حزنى لفقد أخوتى ، وانى لاطلب الموت رحمة بى . اقتلنى ، اقتلنى ، نعمة أو نقمة . اقتلنى مشفقا أو ساخطا . وسواء أجاءنى الموت من يد العدالة أو من يد الرحمة ، فانه على يديك شهى لذيذ !

هوراس : ايه أيتها الآلهة ، ما أظلمك وما أقساك حين تتيحين للمرأة ان تملك كل هذا الجبروت على أكبر القلوب وأكرمها ! ان شجاعتى قد بدأت تخوننى ، وما من سبيل الى تجنب السوء أجدى من الهرب . أستودعك الآلهة ياسابين .. لا تسعى الى الا راضية مسرورة . (يخرج)

سابين (بمفردها) : انه قد مضى الى حيث يفرح ويسر ، وتركنى هنا أئن وأبكى . لم أستطع ان ألهب غيظه على كى يثأر منى .. أو أن أكتسب عطفه على كى يريحنى من نكد حياتى . ولئن لم أفز منه بطعنة تقطع حبل شقائى فسوف أقطعه بنفسى ، وآتى بحياتى التعسة الى ختام سريع !

الفصل الخامس

◆ **فاذا** كان الفصل الاخير ، رأينا هوراس الأب وهوراس الابن يتحدثان ، فيدعو الأب ابنه الى نسيان حادث قتل كاميل بعض الوقت ، كى يتأمل معه حكم السماء على أعمالهما ..وهو يخرج من هذا التأمل بأن الآلهة حين ترى كبرياء البشر قد جاوزت حدودها فانقلبت الى صلف وزهو واعتزاز ، تعمد الى كبح جماح خيلائهم ، وتتقاضى غاليا ثمن تبجحهم وغرورهم ، فتمزج أفراحهم بالآلام ، وتلوث بطولتهم بشبهة الغدر ! .. ثم يستطرد الشيخ :

الأب : اننى لا أرثى كاميل ، فانها كانت مجرمة حقا ، وقد نالت جزاءها الحق .. وانما أنا أخجل من نفسى لاننى أنجبت مثل نفسها المجردة من حلية الوطنية ! .. **كما يؤلمنى انك باندفاعك في حماسك الوطني واصرارك على الاقتصاص من أختك ، قد لوثت سمعتك بأن قتلت امرأة ، وامرأة هى**

شقيقتك !٠٠ لقد كنت أوثر ان تبقى جريمتها بغير عقاب ، على ان يأتيها العقاب على يديك !

هوراس : أبت ٠ اليك عنقى فاقتص منه لدم ابنتك وشرف أسرتك ، مادمت تعتقد أننى أسرفت فى الشعور بالوطنية الى حد الانزلاق الى حمأة الاجرام ، اذ أبحت لنفسى التصرف فى حياة ليس لى حق التصرف فيهـا !٠٠ اننى لم أطق ان أرى الجريمة تصدر عن سليلتك ، فكيف تطيق أنت ان تساء سمعة بيتك ؟ ان مثلك خليق به ان يكون صارما فى كل مايمس الشرف ، ولو اقتضاه ذلك أن ينسى الحنان الابوى

الأب : بل الاجدر بمثلى ان لا يكون شديد القسوة ، سريع العقاب ٠٠ أو ليس يجمـل بمن كان فى موقفى ان يترفق بأبنائه ، اشفاقا عـلى شيخوخته المتداعية من ان تهوى اذا ما أصبحت بغير تكأة أو سند ؟٠٠ اننى أنظر اليك يابنى بعين العاطفة ، وانت تنظر لنفسك بعين الواجب ٠٠ ولكن ، هوذا الملك قادم ، وهذه حاشيته تتقدمه

ويدخل الملك « تول » ورسوله الفارس « فالير » وبعض رجال الحاشية ، فيستقبلهم الأب مرحبا ، معربا عن ان داره الحقيرة غير جديرة بأن تطأها قدما مليكه المعظم ٠٠ ويهم الأب بأن يجثو على ركبتيه اجلالا لمولاه ، لكن هذا يدعوه للنهوض فورا ، مشيدا بالتضحية البالغة التى أنقذ بها أولاده المملكة ، قائلا انه بحضوره لا يفعل أكثر مما يقتضيه عرفان الجميل ان يفعل ٠ وبعد ان يبدى اعجابه بشجاعة الشيخ وصبره عـلى فجيعته فى ولديه ، يعرب عن تأثره البالغ للحادث الجـديد الذى سمع نبأه قبل حين ٠٠ حادث مصرع ابنة مضيفه على يد شقيقها الظافر ٠ ويقول : « ولعمرى لست أدرى كيف يجد الثبات اليك فى مثل هذه الخطوب سبيلا !؟ »

الأب : مولاى ٠ انى أحتمل المصيبة صابرا متجلدا

الملك : هذا خير ما تقدمه الحنكة للشيخوخة الضـعيفة من

فضل .. فاذا كنت تجــد فى مشاطرتى لبلواك شــيئا من السلوى فاعلم اننى مشاطرك اياها من أعمــاق نفسى ، وان نصيبى منها هو بمقدار محبتى لك وتقديرى لافضالك !

وهنا يتدخل الفارس « فالير » فى الحديث ، فيدعو الملك الى أن يطرح عاطفة الشفقة جانبا حين تجب الصرامة والقسوة، فان الامة وان دانت لمولاها لا تغفل أبدا عن مطالبته بمكافأة المخلصين من أبنائها ومعاقبة الآثمين .. ويســتطرد قائلا : « وأمامك يا مولاى جريمة تستحق العقاب ، فلا .. »

الأب (مقاطعا) : ماذا ؟ أتريد الملك على ان يسوق أبطاله من ساحة المجد الى ساحة الاعدام ؟!

الملك : دعه يتم كلامه ، فانى أزن كل قول وأجرى العدالة مجراها . والذى آلم له ان القانون لايعفى حتى أبطال البلاد من ان يؤخذوا بما قدمت أيديهم ، وانه يسمح لمثل فالير بأن يقيم الدعوى على مثل ولدك !

فالير : أرجو اذن ان يسمح لى مولاى بأن أخاطبه بلســان الغيرة على العدل والحرص على اقامته . نحن لا نحقد عــلى هوراس لما نال من مجد ولا نحسده على ما استحق من فخار ، فهو قد أبلى فى سبيل الوطن بلاء مجيدا وخليق بالامة ومليكها على رأسها أن تجزيه على بلائه خير الجزاء . ولكنه وقد اقترف هذه الجريمه المنكرة ـ جريمة قتله أخته المسكينة ـ خليق ولا شك بالعقاب .. فعليك يا مولاى ان تصون عظمة الملك من ان يطاولها غرور الفرد . عليك ان تحمى الامة من غلواء جنــدى لعبت بحجاه حمى الظفر وأخذته عزة الانتصار !.. لقد كان قيام الحرب شؤما عــلى أكثر أسرات الامتين ، بحيث لم تكد تنجو أسرة من حزن على قريب أو نسيب . ومع ذلك ماسمعنا ان هذا الحزن جريمة عقوبتها القتل !.. ولا سمعنا ان أخــا يرى أخته العاشقة قد اهتاجها موت حبيبها وموت آمالها فى وقت معا ، فينقض عليها فى غير شفقة ولا رحمة ليستل بطعنة

واحدة روحها من بين جنبيها !٠٠ **فاذا كان هذا الوحش قد أخذ أخته بجرم عواطفها ، فهلا يأخذه القانون بجرمه ؟٠٠ أم لعله خلص روما من ربقة الغير ليستعبدها لنفسه ؟٠٠ أمن الآن يحصى علينا أنفاسنا واختلاجات صدورنا ؟!**

ويمضى « فالير » فى اثارة الملك ضد هوراس ، فيصور له بشاعة الجريمة تصويرا بليغا ، مؤثرا ، يتدفق من لسان ذرب ، وينبع من قلب يفيض حقداً على الرجل الذى حرمه من المرأة التى كان يطوى ضلوعه على غرام بها دفين ! ٠٠ ثم يستطرد الفارس الموتور : « ولتثق ياصاحب الجلالة من ان حظ روما كان أفعل أثرا فى تحويل كفة النصر اليها من ذراع هذا الجندى ٠ وليس أدل على صحة ذلك من ان الآلهة التى قيضت له النصر قد سمحت بألا ينقضى يوم فوزه قبل ان تلوث صحيفة شرفه بجريمة منكرة دفعته اليها حميته المتطرفة ٠٠ فما ان يهتف بحياته حتى ينادى بموته ٠ وها هو ذا يقف فى هذا المكان أول رومانى قتل شقيقته !٠٠ فاقض يا مولاى بما تمليه عليك العدالة ، ارضاء للحق واتقاء لغضب الآلهة ! »

ويفعل الاتهام فعله فى نفس الملك الذى كان يشيد منذ لحظات ببطولة « المتهم » وأفضاله على الدولة ، فيسأله موجسا : « بماذا تدافع عن نفسك ؟ »

هوراس : علام الدفاع يا مولاى ، وقد فصلت الدعوى أمام عدالتكم ؟٠٠ ان دماء الفرد ملك لاميره ، ومن الاجرام — فى رأيى — ان يداخل المرء شك فى حرص الامير على ان لاتسفك نقطة منها لا تقتضى سفكها العدالة ٠ فاصدر اذن يا مولاى حكمك ، وأنا على تمام الأهبة للطاعة والخضوع ٠٠ **ان سواى يهوى الحياة ، ولكنى زاهد فيها ، وبودى ان أموت الساعة مكتفيا من المجد بما أصبت !٠٠** اننى لا ألوم فالير على مطالبته باعدامى ، فهو عاشق أختى ولا تثريب عليه اذا هو ثأر لها منى !٠٠ ان الشجاعة يا مولاى قلما تجد اجماعا على تقديرها ،

فكثيرا ما يكون للظروف المحيطة بجلائل الاعمال أثر كبير فى تصويرها ، والشعب لا يبصر من الامور العامه الا ظواهرها ، وعلى هذه الظواهر يبنى حكمه . فاذا قام فيهم بطل وأدى خدمة هى المعجزة بالذات ، أرادوه على ان يقيم على صنع المعجزات ، وأحسوا بخيبة أمل نحو كل صنيع يأتيه ويكون أقل من تلك المعجزة جلالا ، وكأنما الشعب يجهل ان مواقف البطوله تختلف فى الروعة باختلاف الظروف !

ويعود فيعرب عن رغبته فى ان يموت لتوه ، ابقاء على ما أحرز من مجد يود ان يذكره به الناس ، واشفاقا من ان ترديه نشوة النصر فى هوة الهوان .. وهنا تتدخل زوجة « المتهم » ، فتقول :

سابين : مولاى ، استمع الى الحزينه سابين ، وانظر فى أعماق نفسها آلام أخت وشجون زوجة .. لست أبغى ان أنتزع مجرما من يد العدالة ، فان العقاب حق على من أجرم ، وانما أتوسل الى مولاى ان يقتلنى بدلا من هذا المجرم النبيل .. نحن ياسيدى نفس واحدة شطرت الى نصفين ، وها أنذا أقدم الشطر الاعز والانقى ليوفى العدالة حقها .. بل ان العدالة تتقاضى هذا الحق مضاعفا بموتى ، لاننى أعلم ان زوجى يحبنى الى حد يمكن ان يقال معه انه يعيش بى أكثر مما يعيش بنفسه .. **ألا تأمل يا مولاى كيف وزع القدر عواطفى بين بغض هوراس قاتل أخوتى ، وحب هوراس زوجى الشجاع !.. كيف يمكن للقلب ان يحب ويبغض شخصا واحدا ، فى آن واحد !.. كيف أؤدى واجب الوفاء لذكرى أشقائى ، فى الوقت الذى أؤدى فيه واجب الوفاء لزوجى ؟..** بحقك يامولاى انقذ نفسى الحيرى .. ان بوسعى ان أجهز على نفسى بيدى ، ولكن موتى يكون أشهى لدى اذا أنا اعتقت به زوجى من موقف الهوان ، وكفرت به عن موت شقيقته ، وحفظت به لروما بطلا من خير أبطالها !

الأب : لعمرى يا مولاى ، كأنما تآمر هؤلاء الثلاثة على شيخوختى الضعيفة ، واجمعوا كلمتهم على ابادة أسرتى بقتل آخر فرع من سلالتى

ويتحول الى سابين فيقول لها ان رغبتها فى الموت ليست صادرة الا عن شوق للحاق باخوتها ، ولو انها استوحت أرواحهم الرأى ، لوجدتهم يلومونها على كل هذا الحزن ٠٠ « ان اخوتك الآن ينعمون بسعادة الاستشهاد فى سبيل الوطن ٠٠ فعليك ياسابين ان تقتدى بهم فى الشجاعة وأداء الواجب! »

ويتجه بالخطاب الى الملك مدافعا عن ابنه : « **ان ابنتى بلغت من الحماقة بحيث جاهرت بالحب لاعداء الوطن ، وبايثار حياتهم على نصرته ، فكفرت بالقومية ، وتمنت للامة شر المصائب ٠٠ فأى نفس شريفة لا تستثيرها هذه القحة وهذا الغدر ؟٠٠ وأى عقاب يوقع على من يجتث هذه الجرثومة الفاسدة من جسد الامه ؟٠٠** لقد قوى حب روما فى نفس هوراس ، على حبه لاخته ، ولو انه كان أقل وطنيه ، لاصبح فى رأى فالير بريئا ! » ٠٠ ويؤكد للملك انه يؤثر الشرف على كل شىء ، ولو انه رأى ابنه مجرما لكانت يده أسبق الى معاقبته من يد العدالة ، ثم يقول :

الأب : ومنذا الذى أقام فالير وكيلا عنى للمطالبة بثأر ابنتى ؟٠٠ من الذى وكل اليه ان يعنى بشئون أسرتى ؟٠٠ وما الذى يحدوه الى أن يكون أكثر اهتماما بمقتل كاميل من أبيها ؟٠٠ أصحيح ما يهرف به من انه يخاف على الامة من بطش هوراس ؟٠٠ (ويتحول بالخطاب الى فالير) هدىء من مخاوفك على الامة ان كنت حقا من الخائفين ٠٠ لا ، بل اكبح شنآنك ان كنت لنا من الحاسدين !٠٠ انك لن تسقط أكاليل الغار عن رأس هوراس ، ولن تنال من جلال فوزه وظفره ٠٠ وأنتم أيها الرومانيون ، أتطيقون آن يشنق الرجل الذى لولاه لكفت روما العظيمة عن ان تكون روما العظيمة ؟٠٠ **نبئنا يا فالير ، أى**

مكان تختار لاقامة المقصلة لهوراس ٠٠ أبين جدران هذه المدينة ، وأصوات الآلاف الهاتفة بحياته ما زالت تتجاوب فيها ؟٠٠ أم وسط الساحة المخضبة بدماء الكورياسيين التى لم تجف بعد ؟٠٠ أم هناك بين قبورهم الثلاثة لتشهد القبور للبطولة بما أنكره عليها البشر ؟٠٠ أينما أجلت الطرف لم تقع الا على آمارات مجده وفخاره ، ولن تجد المكان الذى يشاطرك السخط على هوراس ، فيقبل ان تقام له فيه مقصلة!

ومرة أخرى ، يتحول الاب الى الملك قائلا : « لسوف يحول مولاى دون ذلك بعدله وحكمته ٠٠ هذا هوراس مازال قادرا على ان يجاهد فى سبيل روما كما جاهد فى الماضى ، وهذه روما لم تزل فى حاجة الى بسالة أبطالها ٠٠ لقد أنجبت للوطن أبناء أربعه ، قضى منهم فى سبيله ثلاثة ، وكل رجائى ان يحتفظ الوطن بالاخير منهم كى يموت من أجله ! » ٠٠ ثم يلتفت الى هوراس قائلا :

الأب : ألا اعلم ان رأى الشعب فى الشخصيات الفذة غالبا مايكون خاطئا ٠٠ ولقد عهدناه يعقد الغبار كثيفا ـ فى بعض الاحيان ـ حول سمعة العظماء ، ثم لا تلبث السحب ان تنقشع ، ويصفو الجو ، فاذا العظيم عظيم ، واذ الغبار هباء قد تلاشى

فالير : ليسمح لى مولاى الملك ٠٠

الملك : ان أقوالك لاتزال تتردد فى أذنى ٠٠ ولو ان أقل القوانين صرامة طبق على هذه الجريمة ، لكان هوراس أهلا للموت ٠ ولكننا حين نقرن قيمة الجريمة بقيمة الجانى ، نجد الجرم على شناعته يتضاءل اذا ما ذكرنا الجانى وما قدم سيفه ويمينه للوطن ٠ اننى بفضل ذينك السيف واليد أبسط الآن سلطانى على دولتين ، وأمسك بيمينى صولجانين ٠٠ ألا ماأقل الذين يفتدون ـ بحبات قلوبهم ـ عروش ملوكهم وعظمة أوطانهم !٠٠ **أمثال هؤلاء هم قوة الملوك ، وذخيرة الوطن ، وهم**

خليقون بأن ينعموا بنصيب مما يتمتع به الملوك من سمو فوق القانون !٠٠ أجل ، كيف لا يتسع صدر روما لما يأتيه منقذها فى سبيل تقديسها ؟٠٠ ان روما هى التى أوقدت فى صدرك يا هوراس هذا الحماس الذى دفعك الى اتيان ما يعده القانون جرما ، فعليها اذن ان تسيغ هذه الجريمة التى كانت هى مصدر شرارها !٠٠ **ولتعش أنت لامتك ، ولتفخر بسيفك، ولتته على وطنك بوصفك أكبر لؤلؤة فى تاجه ٠٠ ولتمح من قلبك كل ضغن وموجدة** ٠٠ وأنت ياسابين ، عليك ان تقيمى الدليل على انك حقا أخت أولئك الشجعان البواسل ، فلا تسترسلى فى الحزن والاسى عليهم ، بل انصرفى بكل جوارحك الى حب زوجك العظيم !

وتسدل الستار الختامى والملك يقول : « ليدفن جثمان كاميل ٠٠ اننى أتألم لها ، ولعلى أحقق أمنية كانت تجيش فى صدرها ، اذ آمر بأن يضمها مع حبيبها قبر واحد ! »



MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

فى قبضة « ديوان التفتيش » الرهيب !

◆ تركنا « كازانوفا » فى الحلقة الماضية ، وقد وقع فى قبضة « ديوان التفتيش » ، تلك الاداة الرهيبة التى ارتكبت أبشع الجرائم فى العصور الوسطى باسم محاربة الكفر والزندقة !٠٠ ونقل أمير العشق والمغامرة الى « سجن الرصاص » ، أفظع سجون (البندقية) اذ ذاك ، فما لبث أن شرع يرسم خطة للفرار ، وحفر أرض الغرفة تحت سريره ٠٠ ثم اختار للفرار ليلة ٢٧ أغسطس ٠ وفى ٢٥ أغسطس ، صدر الامر بنقله من زنزانته الى غرفة أخرى ٠٠ وكان معنى ذلك ان سره غدا معرضا للافتضاح !

والآن ، تعال نخض مع « كازانوفا » هذه المغامرة المشوقة !

فى صحبة الخوف القاتل !

◆ كان من العبث أن أعصى الامر ، فتركت السجان يقودنى الى الغرفة الجديدة ، وانا لا أكاد أقوى على جر قدمى ٠ ومضينا فى الردهات الضيقة ، ثم صعدنا درجات ثلاث ، واجتزنا بهوا ، دلفنا منه الى ردهة أخرى أضيق من السابقات ٠٠ وفى نهايتها ، كان باب غرفتى الجديدة ٠ وكانت تسد نافذتها شبكة حديدية ، لم تمنعنى من ان أسرح بصرى فأرى شطرا كبيرا من مدينة البندقية ٠ وكان العزاء الوحيد لى فيما بعد ، هو أن نسمة عليلة كانت لا تفتأ تنساب الى الغرفة خلال هذه النافذة !٠٠ وتركنى السجان ، وذهب لينقل متاعى من الغرفة الاخرى ، ولكنه لم يعد !٠٠ وقضيت ساعتين وأنا نهب للمخاوف والهواجس القاتلة ، فقد كنت أعرف أن فى السجن تسع زنزانات تحت سطح الارض ، يزج فيها بالتعساء الذين يقضى عليهم زبانية « ديوان التفتيش » بالموت البطىء !

وما لبث « لورنس » ـ كبير السجانين ـ ان أقبل وقد امتقع وجهه لفرط الغضب المشوب بالخوف ، فأمرنى بأن أسلمه المعول الذى حفرت به أرض الغرفة القديمة ، وأن أفضى اليه باسم السجان الذى أمدنى به ٠ واذ أنكرت ، أمر رجاله بأن يفتشونى ، ثم تحولوا ينقبون فى حشيتى ووسادتى ، ومقعدى الوثير ، دون أن يخطر لهم ببال ان الاداة التى كانوا ينشدونها انما كانت مخبأة فى حشو المقعد !٠٠ وعندما ابتعد أعوان « لورنس » قلت له : « لو اننى سئلت فلن أتورع عن أن أقول انك أنت الذى أحضرت لى معولا ، واننى رددته اليك ثانية ! »

السجان يتذلل للسجين !

◆ وكان رده سيلا من الشتائم الصاخبة ، ثم أحكم اغلاق النافذة ، فمنع عنى النسائم العليلة ، عقابا لى ، وهو فى غيظ بالغ . حتى اذا أقبل الصباح التالى ، أحضر لى قدرا من الماء وآخر من النبيذ ، كانا من القذارة بدرجة غثيت لها نفسى . كذلك كان الغداء أسوأ غداء . وقضيت يوما من أقسى الايام ، فلما تكررت هذه المعاملة فى اليوم التالى ، استجمعت جرأتى وقلت له : « هل صدرت اليك الاوامر بقتلى جوعا ؟ .. الى بورق وقلم لاكتب لسكرتير الديوان ! » .. بيد انه لم يحفل بى ، وظل يصم أذنيه عن سماع شكاوى واحتجاجاتى

وظللنا على هذه الحال ثمانية أيام ، ثم خطرت لى فكرة لاجبره على التحول عن مسلكه . فانتهزت فرصة وجود أعوانه فى الغرفة - فى اليوم التاسع - وطلبت اليه ، على مسمع منهم ، أن يقدم لى حسابا عن النقود التى كانت تودع لديه باسمى .. وارتبك ، ثم وعدنى بأن يعد لى قائمة الحساب . فلما كان الصباح التالى ، أقبل يحمل سلة مليئة بالليمون ، وبطة مشوية - أرسلهما لى السيد براجادين - وزجاجة ماء كبيرة .. وقدم لى قائمة حساب ، رأيت منها انه كان مدينا لى - رغم اختلاساته - بأربعة دنانير ، فقلت له : « اعط ثلاثة لزوجتك ، ووزع الرابع على زملائك ! »

وأذاب هذا الكرم جموده وقسوته ، فما لبث ان سألنى فى فضول : « قلت انك ستتهمنى بمساعدتك ، اذا أنا أبلغت الحادث الى سكرتير الديوان . فكيف كانت تلك المساعدة ؟ » .. فشرحت له كيف اننى استخدمت الخيط - الذى كان يحيط بما حمل الى من حزم - فى صنع فتيل ، وكيف اننى استخدمت الزيت المتخلف من السلطة وقودا ، ومن ثم حصلت على «مسرجة» بفضل اهماله !.. فهتف جزعا : « ياالله !.. ان السكرتير ماكان ليفلتنى من العقاب !.. اننى مسكين وأب أطفال فلا تخرب بيتى ياسيدى ! »

راهب فى السجن .. بتهمة اغواء الفتيات !

◆ وهكذا سادت بيننا هدنة . وفى ذات يوم ، طلبت من « لورنس » أن يبتاع لى بعض الكتب ، فقال لى : « حرام أن تبدد كل نقودك فى شراء الكتب .. ان لديك مجلدات كثيرة فرغت من قراءتها ، وفى وسعى ان أستبدل لك بها كتبا أخرى من سجين آخر .. أتظن انك الوحيد الذى يقرأ الكتب العلمية فى هذا السجن ؟ »

وأعطيته - على سبيل التجربة - أحد الكتب ، فما لبث ان عاد لى بكتاب آخر ، من سجين فى غرفة مجاورة . وأوحت لى هذه التجربة بفكرة التراسل

متخـذا من المربى مدادا . وعندما فرغت من قراءة الكتاب ، اقتطعت قصاصـة من ورقه ، كتبت عليها ستة أبيـات من الشعر باللاتينية ، ودسستها تحت غلاف الكتاب .. فلما رده « لورنس » الى صاحبه ، وأحضر منه كتابا آخر ، وجدت فى هذا قصاصة مدسوسة ، وقد جاء فيها :

« نحن اثنان فى زنزانة واحدة ، ويسرنا أن نتبادل الرسائل معك . اسمى مارين بالبى ، وانا راهب من نبلاء البندقية . أما زميلى فهو الكونت أندريا اسكوينى ، من (أودينه) . ولكن على حذر من أن يفطن لورنس الى تراسلنا »

وكتبت لهما بدورى عن نفسى وعن قصة اعتقالى ، وجهلى بأسباب زجى فى السجن . فرد « بالبى » ساردا قصته فى ست عشرة صفحة . فقد قضى عليه بالسجن أربع سنوات ، لانه أغوى ثلاث فتيات ، وتجرأ فعمـد أبنـاءه منهن ونسبهم الى نفسه !

خطة جديدة للهرب !

◆ وأوحى الى التراســـل بالامل فى الخلاص . وكان الحراس يتفقـدون جدران حجرتى كل يوم ، خشية أن أكرر المحاولة السابقة ، فلم يكن فى وسعى أن أقوم بجهد ما دون أن أتعرض للافتضاح . لذلك خطر لى ان أقوم بالمحاولة بطريق غير مباشر .. وهكذا أخذت أوحى الى الراهب خلال رسائلى بالفكرة . ووعدته بأن أرسل له الاداة التى اخترعتها للحفر ، لكى يفتح ثغرة فى سقف حجرته ـ بالتعاون مع زميله ـ وأخرى فى الجدار الذى يفصـل غرفتى عن غرفتهما ، فاذا تم ذلك ، فليـدعا لى بقيـة الخطة ، على أن يعدا بأن يطيعـا توجيهاتى . و رد الراهب بأن هذا لن يمكننا من أن ننفذ الى أكثر من الفراغ الذى يقع تحت السقف المحدودب . فكان جوابى : « اننى قد عملت لكل شىء حسابا ، فاطلب الى لورنس أن يبتـاع لك أربعين صورة كبيرة من الصـور الدينية ، وعلقها على الجدران وألصق بعضها بالسقف ، وبهذا تبعد الشبهات ، وتخفى الثغرتين »

وبعد أن تم ذلك ، سألت « لورنس » ذات يوم ان يحمل الى الراهب طبقا مليئا الى حافته بالحساء ، مع بعض الكتب .. ووضعت الطبق فوق الكتب فاضطر الرجل الى أن يسير بحذر والى أن يوجه كل انتباهه وعنايته الى تفادى انسكاب شىء من الحساء على الكتب ، ومن ثم لم يفطن الى اننى أخفيت أداة الحفر فى نسخة كبيرة من التوراة كانت بين تلك الكتب !

وشرع الاب « بالبى » فى العمل فورا ، فلم تنقض ثمانية أيام ، حتى كان قد أحدث ثغرة فى السقف ، كان يخفيها خلال النهار بصـــورة كان يلصقها بلباب الخبز . وفى الثامن من أكتوبر ، شرع فى نقب الجدار الذى يفصـل بيننا ، ولكن العملية كانت شاقة عسيرة ، استغرقت حوالى تسعة أيام . وفى

اليوم الذى أوشك فيه العمل أن يتم ، عمد القدر الى معاكساته المعهودة ، اذ فوجئت بلورنس واثنين من أعوانه يقودون شخصا ضئيل الجسم ، زرى الملبس ، مقيد الذراعين . واعتذر رئيس الحراس لاضطرارهم الى أن يفرضوا على شريكا فى غرفتى .. وكدت أجن لوجود هذا الشريك ، ولكنى لم أجد بدا من الرضوخ . ومن ثم عمدت الى كسب وده ، بأن أخذت أشركه معى فى غذائى ، لانه كان بادى الفقر

وما لبثت أن فهمت أن الرجل كان جاسوسا ، ولكنه كان جشعا لايقنع بسيد واحد ، فسهل على اجتذابه . وكان فوق هذا ساذجا ، فسرعان ماتظاهرت أمامه بالتقوى ، فاذا بالروح الدينية تستهويه ، حتى انه استغرق فى الصلاة منذ اليوم الاول . وكتبت الى الاب « بالبى » أسأله ان يرجىء بقية العمل ريثما أعدل خطتى . ثم سألت « لورنس » أن يبتاع لى صورة للقديس فرانسيس ، وصليبا ، وأربعة أمثال ما اعتاد ان يحضره لى من نبيذ.. وعلقت الصورة الى الجدار ، فى المكان الذى كان مقدرا أن تفتح الثغرة فيه

(يتبع)

« مطبوعات كتابى » تقدم لك فى منتصف سبتمبر :

چين إير

لشارلوت برونتى

الجزء الثالث
والأخير



JANE EYRE BY: CHARLOTTE BRONTE



العودة من موسكو ! لوحة « ناطقة » تمثل مأساة هلاك جنود نابليون فوق الجليد أثناء ارتدادهم عن موسكو .. وهي للرسام الفرنسي « بواسار دي بواسدنييه »



لوحة نادرة تمثل الامبراطورة « مارى لويز » ـ الزوجة الثانية لنابليون ـ
وهى للفنان « جيرار » (١٧٧٠ ـ ١٨٣٧) ، ومعروضة بمتحف اللوفر